التوجيه اللغوي

لقراءة إبراهيم بن يزيد النخعي

المتوفى سنة ست وتسعين من الهجرة

أ.د/عبد العزيز عبد الحفيظ الخولي

أستاذ أصول اللغة المساعد

بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود

التوجيه اللغوي لقراءة إبراهيم بن يزيد النخعي المتوفى سنة ست وتسعين من الهجرة

عبد العزيز عبد الحفيظ الخولي
قسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود- جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: AbdulAzizAl-Khouli.34@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

١ـ تناول البحث قراءة أحد أعلام القراء والتابعين ،والذى أخذ القراءة من أوائلهم كما التقى ببعض صحابة رسول الله ﷺ هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعى المولود سنة ست وأربعين للهجرة النبوية الشريفة والمتوفى سنة ست وتعسين للهجرة ،وقد قمت بجمع قرأت للقرآن المتواتر منها والشاذ وبلغ ما جمعتة نحو عشرين ومائة قراءة قمت بتوجيهما وتوجية ما يقابلها من المتواتر، وقام التوجية وفقاً لمستويات لغوية أربعة صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية ، وكان نصيب التوجية الصوتى لهذة القراءات ثلاث وثلاثين قراءة، والتوجية الصرفى إحدى وعشرين، والتوجية النحوى تسع وعشرين ، والدلالى سبعة عشر قراءة .

٢. قسمت البحث وفقاً للمستويات السابقة الى مباحث هى :

١. المبحث الأول : التوجية الصوتى لقراءة النخعى ، وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب هى :

المطلب الأول : الإبدال بين الحركات .

المطلب الثانى: السكون والحركة.

المطلب الثالث: الإتباع الحركى.

المطلب الرابع: الحذف مقابل الزيادة.

المبحث الثانى: التوجيه الصرفى لقراءة النخعى وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفعل الماضى وما يقابله.

المطلب الثانى: الاشتقاق

المطلب الثالث: اختلاف صيغ الجمع.

المطلب الرابع: الإفراد مقابل الجمع والعكس

المبحث الثالث: التوجيه النحوى لقراءة النخعى.

المطلب الأول: قراءة واحدة شاذة.

وفى المطلب الثانى: ثلاث قراءات.

المطلب الثالث: وفيه ثلاث قراءات

المطلب الثالث: وفيه اثنتا عشرة قراءة منها واحدة موافقة لقراءة الجمهور.

المطلب الرابع وفيه خمس قراءات واحدة متواترة وأربع قراءات شاذة.

المطلب الخامس: وفيه أربع قراءات واحدة متواترة.

المبحث الرابع التوجيه الدلالى لقراءات النخعى:

المطلب الأول: اختلاف المعنى لاختلاف الجذر وفيه ثمانى قراءات اثنتين متواترتين

المطلب الثانى: اختلاف المعنى لزيادة والنقص فيه تسع قراءات كلها شاذة.

والله من وراء القصد والهادى إلى طريق الرشاد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية. التوجيه اللغوي. قراءة إبراهيم بن يزيد النخعي.

Linguistic guidance for the reading of Ibrahim bin Yazid Al-Nakhi, who died in the year 96 of Hijra

Abdul Aziz Abdul Hafeez Al-Khouli
Department of Language Origins, Faculty of Arabic Language, Itay Al-Baroud, Al-Azhar University, Egypt.
Email: AbdulAzizAl-Khouli.34@azhar.edu.eg

Abstract: Langauge orientation of Recitaion Ibrahim Al_Nakhie
"●The subject matter of theis study is" langauge orientation of Recitaion Ibrahim Al_Nakhie
Ibrahim Al_Nakhie is Ibrahim Ibn Yazid Ibn Qais Ibn Al_Aswad Al_Nakhie, one of the major
followers.He was born in 46H
He was one of the sunni and narrated Quranic recitaions a number of followers like Alqmah
Ibn Qais shuraih Ibn Al_Hareth
Abd Al_rahman Ibn Yazid, and Abd Al_rahman Al_salmy
.He met lady Aisha and Anas Ibn Malek Hawever, he didn't from them He died in 96.H
Langauge orientation of his recitaion to the Holy Quran, learnt from major followers, in
cludes khnowing each side of his recitation
Successive, or grotesque and authentic or inexact relevatis the research basically aims at
.knowirg how such recitaion to Arabic langauge levels
It includes an introduction clarifying the importance of the subject matter,the choice
purposes and the difficuilts I have ever faced
The current research is divided accordrrg to Arabic langauge levels.

Key words: Quranic readings. Language guidance. Reading Ibrahim bin Yazid Al-Nakha'i.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى أصحابه الغرِّ الميامين، ومن اتبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد

فقد أنزل الحقُّ -سبحانه وتعالى- على قلب نبيِّه محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- كتابًا مباركًا؛ ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور الهدى والإيمان، وهو آخر رسالات الله من عليائه إلى البشرية لهدايتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وهو أفضل كلامٍ وأوضح بيانٍ، له فضل على سائر الكلام كفضل الله الواحد المنَّان على سائر خلقه.

ولمَّا كان القرآن الكريم بهذه المنزلة العالية، والدرجة الرفيعة، تعهَّد الله بحفظه وفرضه على عباده، ويسَّر لهم سبيل ذلك، فسخَّر لعمله وحفظه رجالًا لا تلهيهم تجارةٌ، ولا بيعٌ عن ذكره، والقراءات القرآنية هي الكيفية لأدائه؛ وذلك بتلقي الصحابة -رضوان الله عليهم- القرآن الكريم من رسول الله -ﷺ- بقراءاته، ورواياته، فلم يُضَعْ منه جملة، ولم تُغْفَلْ منه كلمة، ولم يسقط منه حرف، أو حركة، أو أقل، أو أكثر، ونقله عن الصحابة التابعون على وجهٍ من الإحكام، والدقَّة، والإتقان كما نطق به الرسول -ﷺ-.

والقرآن الكريم بهذا كما هو المصدر الأول للتشريع هو كذلك المصدر الأول للاحتجاج به في العربية بقراءاته المتواترة، وحتى وغير المتواترة، فقد نقلت عن عرب خُلَّص قبل نهاية عصر الاحتجاج اللغوي، فالقرآن الكريم هو أوثق المصادر، وشواهده أوثق الشواهد على ظواهر العربيَّة؛ إذ اعتمد على المشافهة، والرواية، والنقل الدقيق؛ لذا فهو المصدر الأول في الاحتجاج اللغوي، ومعرفة اللهجات العربيَّة بقراءاته المتواترة، والشاذة، هذا بالإضافة إلى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الدرجة العالية من الفصاحة، والبلاغة، وروعة البيان.

ولمَّا كان القرآن الكريم بهذه الدرجة، بل بأعلى ممَّا يتصوَّر من قمة الإعجاز، وجدتُ نفسي مشدودةً إلى أن تطرق بابًا لخدمة هذا الكتاب، وأن نضيف لبنةً في صرحه الممتد الشامخ، فاستخرت الله أن أقوم بدراسةٍ حول قراءات القرآن، فاخترت أن أقوم بدراسةٍ في التوجيه اللغوي لقراءات أحد التابعين، **هو القارئ العظيم إبراهيم النخعي**، حيث لم يسبقني أحدٌ إلى جمع قراءاته، ودراستها على حدِّ علمي حتى الآن.

وقد دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع والكتابة فيه عدَّة أسبابٍ، منها:

١- أنَّه يتعلق بكتاب الله -عزَّ وجلَّ- وفي دراسته معايشة له.

٢- الوقوف على مدى الدقَّة والأمانة التي اتَّصف بها أمثال: إبراهيم النخعي في النقل، والرواية، والمشافهة.

٣- ما لاحظته من جمع هذا الرجل بين قراءاتٍ متواترةٍ جاءت على ألسنة القرَّاء السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، وقراءاتٍ شاذَّةٍ لم ترد على ألسنتهم.

٤- أثر هذه القراءات في الدرس الصوتي، والتركيبي، والبنيوي، والدلالي.

٥- إحساسي بحاجة القراءات القرآنيَّة المتواترة والشاذة إلى مزيدٍ من الدراسات اللغويَّة والتوجيه لها.

وكان من أهم صعوبات البحث: عدم وجود قراءات إبراهيم النخعي في كتابٍ واحدٍ، بل هي متناثرة في ثنايا كُتب القراءات الشاذَّة، وكتب التفسير التي تُعْنى بهذا الجانب، فقمت بجمعها، وتصنيفها حسب المستويات اللغويَّة المختلفة، ثمَّ وضعت عنوانًا لكلِّ مطلبٍ، وكلِّ قراءةٍ قرأها النخعي، وقابلتها بقراءة الجمهور، أو قراءة حفص عن عاصم، وإذا وافقت قراءة حفص قابلت قراءته بأخرى متواترة.

اعتمدت في توثيق القراءات على مصادرها الأصليَّة من كتب القراءات، وكتب التفسير، كما اعتمدت على كتب اللغة؛ كـ«معاني القرآن للفرَّاء»، و«معاني القرآن للأخفش»، و«معاني القرآن وإعرابه للزجَّاج»، و«معاني القرآن

للنحَّاس»، وكذا إعراب القرآن له، وكذا كتب النحو، والصرف، والمعاجم اللغوية.

واقتضت طبيعة البحث أن تظهر خطته كالتالي:

- **المقدمة**؛ وفيها تحدَّثتُ عن أهمية البحث، ودوافعه، ومنهجه.
- **التمهيد**: بين يدي البحث وقسَّمته إلى:

١- إبراهيم النخعي، وسيرته، وعمَّن أخذ عنهم.

٢- الحياة الاجتماعيَّة والعلميَّة في عصره.

٣- مفهوم القراءات وأنواعها.

٤- القراءات القرآنيَّة والمستويات اللغويَّة.

ثمَّ تبع التمهيد أربعة مباحث؛ يندرج تحت كلٍّ منها عددٌ من المطالب:

- **المبحث الأول**: التوجيه الصوتي لقراءات النخعي.

واشتمل على المطالب الآتية:

١- الإبدال بين الحركات القصيرة والطويلة.

٢- إسكان المتحرِّك.

٣- الإتباع الحركي.

٤- الزيادة والحذف.

٥- التخفيف والتضعيف.

- **المبحث الثاني**: التوجيه الصرفي لقراءات النخعي.

واشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول**: الفعل الماضي وما يقابله.
- **المطلب الثاني**: اختلاف المعنى لاختلاف الصيغة.
- **المطلب الثالث**: الاشتقاق.
- **المطلب الرابع**: اختلاف صيغة الجمع.
- **المبحث الخامس**: الانفراد مقابل الجمع والعكس.

- **المبحث الثالث**: التوجيه النحوي لقراءات النخعي.

واشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول:** ما يتعلَّق بالمبتدأ والخبر.
- **المطلب الثاني:** ما يتعلَّق بالفاعل.
- **المطلب الثالث:** الفعل الماضي بين البناء للفاعل أو المفعول، وأثر ذلك على الفاعل ونائبه.
- **المطلب الرابع:** الفعل المضارع بين البناء للفاعل والمفعول، وأثر ذلك على الفاعل ونائبه.
- **المطلب الخامس:** الجملة بين الاستثناء، والاتصال، والعطف.
- **المطلب السادس:** المفعول بين الحذف والإثبات.
- **المبحث السابع:** متفرقات من أبواب النحو.

- **المبحث الرابع:** التوجيه الدلالي لقراءات النخعي.

واشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول:** اختلاف المعنى لاختلاف الجذر.
- **المطلب الثاني:** اختلاف المعنى للإدراج، أو الزيادة، أو النقص.

ثمَّ جاءت خاتمة البحث، وفيها بدت أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

ثمَّ جاءت الفهارس الفنيَّة التي تُسهِّل للدارس الوصول إلى ما أراد في البحث.

التمهيد

بين يدي البحث

١- إبراهيم النَّخَعِيّ وسيرته:

نسبته:

هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع، النخعي، من مذحج، يكنى أبا عمران الكوفي، كان أعور، وأمه مليكة بنت يزيد، أخت الأسود بن يزيد، وعبد الرحمن بن يزيد(١).

واسم النخع –بسكون الخاء– وهو: جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلانة بن سبأ، وسمى جسرًا بالنخع؛ لأنَّه انتخع من قومه، أي: بعد عنهم، ونزل بيشة، فكثر أولاده حتى صاروا قبيلة كبيرة نسبت إليه، وهم من مذحج باليمن.

وقد دخل النخع في الإسلام في حياة الرسول –ﷺ– ثمَّ نزلوا الكوفة، ومنها انتشر ذكرهم، وقد دعا الرسول –ﷺ– للنخع، فقال: «اللهمَّ باركْ في النَّخع»(٢)، فأجاب الله –تعالى– دعاء رسوله، فأخرج من النخع رجالًا كان لهم مكانهم وأثرهم منهم: علقمة بن الأسود، الذي قال فيه ابن مسعود: «ما أقرأ شيئًا، وما أعلم شيئًا إلا علقمة يقرؤه ويعلمه»(٣)، وكذلك الأسود بن يزيد الذي

---

(١) ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى: ٦/٢٧٠– ٢٨٤، والتاريخ الكبير: ١/٣٣٣– ٣٣٤، وحلية الأولياء: ٤/٢١٩، والمعارف لابن قتيبة: صـ٤٦٣، والجرح والتعديل: ٢/١٤٤، ووفيات الأعيان: ١/٢٥، وتهذيب الكمال: ٢/٢٣٣، وسير أعلام النبلاء: ٤/٥٢٠، ومرآة الجنان: ١/١٩٨.ن وطبقات القراء: ١/٢٩، وتهذيب تهذيب الكمال: ١/٦٠، وتهذيب الكمال: ١/١٧٧، وشذرات الذهب: ١/١١، والأعلام: ١/٨٠.

(٢) ينظر الأنساب للسمعاني: ٥/٤٧٣، وتهذيب الأسماء واللغات: ١/١٠٤، واللباب في تهذيب الأسماء: ٣/٣٠٤، وجمهرة أنساب العرب، لابن حزم: صـ٤١٥.

(٣) معرفة القراء الكبار: ١/٥٢، وغاية النهاية: ١/٥١٦.

تقول فيه عائشة –رضي الله عنها–: «ما بالعراق رجل أكرم عليَّ من الأسود»، وغيرهما(١).

نشأته:

وُلِد سنة ست وأربعين للهجرة تقريبًا في مدينة الكوفة، وكان رجلًا نحيفًا أعور، وسبب عوره بياض أصاب عينه في صغره، فحجبها عن الإبصار(٢)، ويروى عنه في ذلك أنَّه قال لسليمان الأعمش، وأراد أن يماشيه: إنَّ الناس إذا رأونا معًا قالوا: أعور وأعمش، قال: ما عليك أن يأثموا ونؤجر، قال: ما عليك أن يسلموا ونسلم(٣).

كان أبوه يزيد بن الأسود راويًا للحديث، وخالاه: الأسود بن يزيد الفقيه الزاهد، وعبد الرحمن بن يزيد المحدِّث المشهور، وعم أمه هو علقمة بن قيس، زاهد أهل الكوفة، وعالمها، وفقيهها، وهؤلاء هم الذين رعوا إبراهيم وأحاطوه بالعناية التي كان لها أكبر الأثر في حياته(٤).

مذهبه العقدي:

كان النخعي –رحمه الله– من أهل السُّنَّة يرفض دعوة المرجئة، ويبغضهم بغضًا شديدًا، حيث قال: والله إنَّهم أبغض إليَّ من أهل الكتاب، كما رفض دعوة الخوارج؛ لسذاجة فهمهم لكتاب الله، وتكفيرهم المسلمين، فهو القائل:

(١) الطبقات الكبرى: ٧٦/٦، ووفيات الأعيان: ٢٦/١، ومرآة الجنان: ١٩٩/١، وغاية النهاية: ١٧١/١.

(٢) ينظر الطبقات الكبرى: ٢٧٠/٦، وتهذيب الكمال: ٢٣٣/٢، ومقال: «إبراهيم النخعي صيرفي الحديث»، للأستاذ/ أحمد تقي الدين، المنشور بمجلة الأزهر الشريف، عدد ذي الحجة ١٤١٩هـ.

(٣) عيون الأخبار: ٥٦/٤.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٥٢٠/٤، وتهذيب التهذيب: ١٧٧/١، وطبقات الحفاظ: صـ٢٩.

أصحاب الرأي أعداء أصحاب السنن، وكان ينال من الحجَّاج، ويكرهه كرهًا شديدًا؛ لذا سجد عندما بشر بموته(١).

شيوخه:

روى النخعي عن جملة من التابعين، منهم: علقمة بن قيس(٢)، وعبيد بن نضيلة(٣)، والأسود ابن زيد(٤)، وشريح بن الحارث(٥)، وسويد بن غفلة(٦)، وعبد الرحمن بن يزيد(٧)، وأبي عبد الرحمن السلمي، كما دخل على عائشة أم

(١) الطبقات الكبرى: ٢٧٤/٦، وحلية الأولياء: ٢٢٤/٤، وتاريخ الإسلام: ٣٣٥/٣.

(٢) **هو**: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، النخعي، الهمداني، أبو شبل، خال إبراهيم، تابعي، فقيه العراق، يشبه ابن مسعود في سمته، وُلِدَ في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وروى الحديث عن الصحابة، وقرأ عليه يحيى بن وثاب، وعبيد بن نضيلة، وغيرهما، تُوفي بالكوفة سنة ٦٢هـ. (ينظر ترجمته في معرفة القراء الكبار: ٥١/١، وغاية النهاية: ٥١٦/١، والأعلام: ٢٨٤/٤).

(٣) **هو**: عبيد بن نضيلة، أبو معاوية الخزعي، الكوفي، تابعي، ثقة، أخذ القراءة عن عبد الله بن مسعود، وروى عنه يحيى بن وثاب، والنخعي، كان مقرئ أهل الكوفة في زمانه، توفي سنة ٧٥هـ. (ينظر ترجمته في غاية النهاية: ٤٩٧/١– ٤٩٨).

(٤) **هو**: الأسود بن يزيد النخعي، أبو عمرو، أخذ القراءة عن ابن مسعود، وقرأ عليه إبراهيم، ويحيى بن وثاب، كان رأسًا في العلم والعمل، توفي سنة ٧٥هـ. (ينظر الطبقات الكبرى: ٧٠/٦، ومعرفة القراء الكبار: ٥٠/١، والمعارف: صـ٤٣٢).

(٥) **هو**: شريح بن الحارث بن قيس، الكندي، أبو أمية، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، توفي بالكوفة سنة ٧٨هـ. (طبقات ابن سعد: ٩٠/٦، وحلية الأولياء: ١٣٢/٤، والأعلام: ١٦١/٣).

(٦) **هو**: سويد بن غفلة الجعفي، معمر، كان فقيهًا إمامًا، توفي سنة ٨١هـ. (الأعلام: ١٤٥/٣).

(٧) **هو**: عبد الرحمن بن يزيد، الأنصاري، المدني، من رجال الحديث الثقات، ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز، توفي بالمدينة سنة ٩٨هـ. (تهذيب التهذيب: ٢٩/٦، والأعلام: ٣٤٢/٣).

المؤمنين –رضي الله عنها– وأدرك أنسًا –رضي الله عنه–، ولم يسمع منهما(١).

تلاميذه:

استطاع النَّخَعي أن يستقطب وجوه الكوفة وأعيانها الذين يجتمع الناس حولهم، ويرجعون إليهم، حيث وجدوا فيه العلم الصحيح، والإخلاص في القول والعمل، فحملوا عنه العلم، وهو ابن ثماني عشرة سنة(٢).

منهم: منصور بن المعتمر السلمي(٣)، والمغيرة بن مقسم(٤)، وعطاء بن السائب، والأعمش(٥)، وعبد الله بن عون المزني(٦)، وطلحة بن مصرف الهمداني، وزبيد بن الحارث اليامي(٧)، وغيرهم، وقد روى له الجماعة(٨).

مكانته:

أجمع مترجمو النخعي على سمو مكانته خُلُقًا، وعلمًا، فهو عندهم التقي، الحفي، الفقيه، الرضي، كان للعلوم جامعًا، ومن نخوة النفوس واضعًا، وعن

---

(١) تهذيب التهذيب: ١٧٨/١، وتهذيب الكمال: ٢٣٧/٢.

(٢) عيون الأخبار: ٢٣/١، والمعارف: صـ٤٦٣.

(٣) **هو**: منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي، ثقة، ثبت في الحديث، توفي سنة ١٣٢هـ. (الأعلام: ٣٠٥/٧).

(٤) **هو**: المغيرة بن مقسم، أبو هاشم الكوفي، العمي، توفي سنة ١٣٣هـ. (غاية النهاية: ٣٠٦/٢).

(٥) **هو**: سليمان بن مهران، الأسدي، الكوفي، من قراء الطبقة الثالثة من التابعين، توفي سنة ١٤٨هـ. (ينظر تهذيب التهذيب: ٢٢٢/٤، وتاريخ بغداد: ٣/٩).

(٦) **هو**: عبد الله بن عون بن أرطبان المزني بالولاء، شيخ أهل البصرة، من حفاظ الحديث، توفي سنة ١٥١هـ. (تذكرة الحفاظ: ١٤٧/١، والأعلام: ١١١/٤).

(٧) **هو**: أبو عبد الرحمن زبيد بن الحارث، الهمداني، ذو خشية ومهابة، وتوكل، وقناعة، كان بالدنيا وعروضها مستهينًا، وللقرآن وفروضه مستبينًا، وهو من أقران طلحة بن مصرف. (حلية الأولياء: ٢٩/٥، وتهذيب التهذيب: ٢٥/٥).

(٨) تهذيب الكمال: ٢٣٦/٢، وسير أعلام النبلاء: ٥٢٢/٤.

المتواضعين رافعًا، وكان يتوقَّى الشهرة[١]، قال عنه طلحة بن مصرف: ما بالكوفة أعجب إليَّ من إبراهيم، وخيثمة[٢]، وقال الأعمش: كان إبراهيم النخعي صيرفي الحديث[٣]، وقال الشعبي: ما ترك أحدًا أعلم منه، أو أفقه منه[٤].

وفاته:

لمَّا أحسَّ النخعي بقرب أجله جزع جزعًا شديدًا وبكى، فقال له بعض من يعوده: ما يبكيك يا أبا عمران؟ فقال: وأي خطر أعظم ممَّا أنا فيه، أتوقَّع رسولًا يرد عليَّ من ربي إمَّا بالجنَّة، ومَّا بالنار، والله لوددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة[٥].

وقد اختلف في سنة وفاته، فقيل: توفي سنة اثنتين وتسعين، وقيل: خمس وتسعين[٦]، وقيل: سنة ست وتسعين، وقد صحح ابن خلكان أنَّه توفي سنة ست وتسعين[٧]، وهو رأي كثير من مترجمي النخعي رحمه الله[٨].

٢- الحياة الاجتماعيَّة والعلميَّة في عصره:

من خلال معرفتنا لتاريخ مولد هذا القارئ العظيم «إبراهيم النخعي» وهو سنة ست وأربعين للهجرة نستطيع تحديد الفترة التي عاش فيها وهي بداية العهد الأموي، حيث خلص الأمر لمعاوية بن أبي سفيان، فولى على الكوفة موطن

(١) حلية الأولياء: ٢١٩/٤، والطبقات الكبرى: ٢٧١/٦.
(٢) الطبقات الكبرى: ٢٧١/٦، وسير أعلام النبلاء: ٥٢٢/٤.
(٣) تهذيب الكمال: ٣٣٢/٢، وتهذيب التهذيب: ٧٧/١.
(٤) الطبقات: ٢٨٤/٦، وتهذيب الكمال: ٢٣٨/٢.
(٥) مرآة الجنان: ١٩٩/١، والطبقات الكبرى: ٢٨٣/٦.
(٦) تهذيب الكمال: ٢٤٠/٢، والعبر في تاريخ من غبر: ٧٩/١.
(٧) وفيات الأعيان: ٢٦/١، وتهذيب تهذيب الكمال: ٦٠/١.
(٨) ينظر التاريخ الكبير: ٣٣٤/١، وتهذيب التهذيب: ١٧٨/١، وتهذيب الأسماء: ١٠٥/١، والطبقات الكبرى: ٢٨٤/٦، وسير أعلام النبلاء: ٥٢٧/٤، وتهذيب الكمال: ٢٤٠/٢، ووفيات الأعيان: ٢٦/١، والأعلام: ٨٠/١.

النخعي المغيرة بن شعبة[١] وغيره من الولاة، حتى نصل إلى سنة ثلاث وثمانين للهجرة، حين شارك الكوفيُّون في ثورة ابن الأشعث[٢] على الحجَّاج والأمويِّين الذين أخذوا أهلها بالعنف والقسوة، وقد انضمَّ إلى جعفر وابن الأشعث عددٌ من القرَّاء منهم: سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وطلحة بن مصرف، وكان ذلك منهم عن إيمانٍ عميقٍ أن يقاتلوا الأمويِّين على جَوْرهم في الحكم، وتجبرهم في الدِّين، واستذلالهم الضعفاء[٣]، وانتهت الحرب بانتصار الحجَّاج، ومقتل ابن الأشعث، وتفرق الباقين وهروبهم، وكان من الفارِّين: إبراهيم النخعي، ومن المسالمين: طلحة بن مصرف، ومن المقتولين على يد الحجَّاج: سعيد بن جبير[٤].

أمَّا عن الجانب العلمي فقد اشتغل أهل الكوفة بالقرآن منذ تأسيسها سنة سبع عشرة من الهجرة تقريبًا، ونزول القبائل اليمنيَّة في شرقيها والعدنانيَّة في غربيها، وكان ضمن القبائل اليمنيَّة التي نزلت بها «مذحج» أصل إبراهيم النخعي[٥].

حيث قام فريقٌ من الصحابة وعلى رأسهم ابن مسعود –رضي الله عنه– بمهمة تعليم الناس فيها، والتفَّ التابعون حول الصحابة يأخذون عنهم، فنهض هؤلاء بالمعارف نهضةً واسعةً، ويكفي أن نذكر منهم: إبراهيم بن يزيد

(١) **هو**: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، صحابيٌّ جليلٌ، شهد الحديبية، واليمامة، وفتوح الشام، وذهبت يمينه باليرموك، وشهد القادسيَّة وغيرها، مات سنة (٥٠هـ). ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٨١٨١، وأسد الغابة: ٤٠٦/٤ وغيرها.

(٢) **هو**: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، أمير من القادة الشجعان، صاحب الوقائع مع الحجَّاج، وأهم معاركه: «دير الجماجم» التي دامت مائة وثلاثة أيام، وانتهت بخروجه من الكوفة، وكان جيشه ستين ألفًا، قُتِل سنة ٥٨هـ. انظر: الكامل، لابن الأثير: ١٩٢/٤ وغيره.

(٣) انظر العصر الإسلامي، د/ شوقي ضيف: صـ١٥٣– ١٥٧.

(٤) انظر: حياة الشعر في الكوفة: صـ٢٣٥ وما بعدها.

(٥) انظر: العصر الإسلامي، د/ شوقي ضيف: صـ٢٥ وما بعدها.

النخعي، فقيد الرأي بالعراق، بل شيخ فقهاء الرأي، وإمامهم الذي علَّم حمَّاد بن أبي سليمان شيخ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان(١).

٣- مفهوم القراءات وأنواعها:

القراءات في اللغة: جمع القراءة مصدر قرأ، وهي بمعنى: الجمع والضم، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وَسُمِّيَ القرآن قُرْآنًا؛ لأَنَّه يَجْمَعُ السُّوَر فيَضُمُّها(٢).

وفي الاصطلاح: عرَّفها الزركشي بقوله: «اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ الْمَذْكُورِ فِي كَتَبَةِ الْحُرُوفِ أَوْ كَيْفِيَّتِهَا مِنْ تَخْفِيفٍ وَتَثْقِيلٍ وَغَيْرِهِمَا»(٣).

وعرَّفها ابن الجزري بأنَّها: «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًّا لناقله»(٤). وهذا التعريف شامل للمتفق.

ونجد الدمياطي يوسع في أن تشمل القراءات المتفق والمختلف مفصلًا بقوله: «علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله –تعالى– واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع»(٥).

---

(١) انظر حياة الشعر في الكوفة: صـ٢٣٥، والعصر الإسلامي، د/ شوقي ضيف: صـ١٩٩.

(٢) انظر: لسان العرب مادة «قرأ»، وكذا غيره من المعاجم.

(٣) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي: ٣١٨/١ النوع الثاني والعشرون (معرفة اختلاف اللفظ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦هـ= ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العلميَّة.

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري: صـ٣، راجعه: محمد حبيب، وأحمد شاكر، دار زاهد.

(٥) إتحاف فضلاء البشر، للبنا أحمد بن محمد: ٦٧/١، تحقيق: د/ شعبان أحمد إسماعيل، عالم الكتب، مكتبة الكلية الأزهرية، ط. أولى ١٤٠٦هـ= ١٩٨٧م.

أنواع القراءات من حيث التواتر وعدمه:

تنقسم القراءات من هذا الجانب إلى قراءات متواترة، وقراءات شاذَّة، **وقد وضح ابن الجزري نوعي القراءات بقوله:** «كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهٍ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَوِ احْتِمَالًا وَصَحَّ سَنَدُهَا، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا، بَلْ هِيَ مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ قَبُولُهَا، سَوَاءٌ أَكَانَتْ عَنِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ، أَمْ عَنِ الْعَشْرَةِ، أَمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَقْبُولِينَ»(١).

فابن الجزري في نصِّه السابق وضَّح أنَّ القراءة الصحيحة يعني المتواترة هي ما اجتمع فيها ثلاثة أركان هي:

١- موافقة العربيَّة، ولو بوجهٍ.

٢- صحَّة السند بأن نقلها جمعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاها.

٣- موافقة رسم المصحف أو المصاحف العثمانيَّة ولو احتمالًا.

وبعد هذا قال: «وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةٌ، أَوْ شَاذَّةٌ، أَوْ بَاطِلَةٌ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ عَنِ السَّبْعَةِ أَمْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَئِمَّةِ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ»(٢).

إذًا: فالقراءة الشاذَّة هي التي فقدت ركنًا من الأركان السابقة الذكر في القراءة المتواترة بأن خالفت رسم المصحف، أو لم توافق وجهًا من العربيَّة، أو جاءت عن طريق الآحاد.

وقد جمع النخعي في قراءاته للقرآن بين المتواتر في بعضها، والشاذ في البعض الاخر، وهو ما سيقوم البحث بتوجيهه متواترًا كان أو شاذًّا، وفق

---

(١) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: ١/١٥، قدَّم له الأستاذ/ علي محمد الصباغ، ط. أولى سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م، دار الكتب العلميَّة- بيروت.

(٢) السابق نفس الصفحة.

المستويات اللغويَّة الأربعة: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، وذلك في قراءة إبراهيم النخعي.

٤- القراءات القرآنيَّة والمستويات اللغويَّة:

يقوم البحث بتوجيه قراءة النخعي متواترةً أو شاذَّةً، وفق المستويات اللغويَّة التي اصطلح عليها علماء اللغة، وهي:

١- **المستوى الصوتي:** وهو من أهم وأبرز المستويات التي توجه من خلاله القراءات شاذة أو متواترة، ويرجع ذلك إلى ما يلحظ من اختلاف صوتي عند أداء اللفظ القرآني من خلال القارئ، وهذا الاختلاف يرجع –بدوره– إلى بيئة الناطقين، وهو ما نلحظه في قراءة النخعي، حيث مال إلى البيئة الكوفيَّة التي تميل إلى لغة تميم غالبًا، ويتجلَّى الخلاف الصوتي في إقامة بعض الحروف والحركات مقام بعضٍ، كما يكون بالزيادة والحذف، والفكِّ والإدغام، والفتح والإمالة، والحركة والسكون، وغيرها.

٢- **المستوى الصرفي:** ويتمثَّل في القراءات بصيغ مختلفة، كاختلاف صيغ الأفعال، والاختلاف في طول البنية وقصرها، والاختلاف في الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، وغيرها.

٣- **المستوى النحوي:** فيشتمل توجيه القراءات القرآنيَّة وفق ما يتعلَّق بأبواب النحو المختلفة، من إعرابٍ وبناءٍ، ومبتدأ وخبر، وفاعل ومفعول، والتنوين، والإضافة، والعطف للجمل، والبدل، والحمل على المعنى، وغيرها.

ولا شكَّ أنَّ الارتباط وثيق بين النحو والصرف وبين القراءات القرآنيَّة، فلا يبلغ احدٌ من العلماء مبلغ الإمامة في القراءات إلا إذا كان معربًا عالمًا بوجوه الإعراب، ومتغيرات الصرف، ولا غرابة في هذا، فإنَّ القدماء كانوا على بيِّنةٍ من أنَّ العلوم يخدم بعضها بعضًا، وكانوا

يعلمون جيدًا أنَّ الاقتصار على فنٍّ واحد لا يغني المرء فتيلًا؛ ولذلك كانت لهم إسهامات في مختلف الفنون(١).

٤- **المستوى الدلالي:** والمقصود به دلالة الألفاظ على معانيها اللغويَّة، فهو يتعلَّق بالمعنى اللغوي الذي هو مطلب المحدِّث، فتوجه القراءات من خلال اختلاف كل جذر عن الآخر في معناه، أو إدراج بعض الكلمات بقصد التفسير، أو بقصد تأكيد حكمٍ فقهيٍّ، أو زيادة بعض الحروف، أو نقصها؛ ممَّا يؤدِّي إلى اختلاف المعنى، وسيقوم البحث بالتوجيه للقراءات وفق هذه المستويات.

(١) انظر: السبعة، لابن مجاهد: صـ٤٥.

المبحث الأول

التوجيه الصوتي لقراءة النخعي

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: **الإبدال بين الحركات**.

المطلب الثاني: **السكون مقابل الحركة** (**حذف حركة**).

المطلب الثالث: **الإتباع الحركي**.

المطلب الرابع: **الحذف مقابل الزيادة**.

المطلب الأول

الإبدال بين الحركات

١- الكسر مقابل الفتح:

وذلك في ﴿تَنقِمُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾[١].

فقد قرأ الجمهور: ﴿تَنقِمُونَ﴾ من نَقَمَ بفتح القاف يَنْقِمُ بكسرها[٢].

وقرأ النخعي، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة وأبو البرهسم، ونسبت القراءة للحسن، والمطوعي، والأعمش «تَنْقَمُونَ» بفتح القاف في المضارع[٣].

المعنى والتوجيه:

معنى ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾؛ أي: هل تعدون علينا ذنبًا، أو نقيصةً إلا أن آمنَّا بالله، أو هل تعيبون وتنكرون، فمعنى «نَقَمَ»: أنكر ولم يرض.

قال ابن فارس: «النون والقاف والميم: أصيل يدل على إنكار شيءٍ وعيبه، ونَقَمْتُ عليه أَنْقِم: أنكرت عليه فعله»[٤].

وفي التنزيل: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾[٥].

قال الجوهري: فمعنى نقمت بالغت في كراهية الشيء[٦].

---

(١) سورة المائدة الآية (٥٩).

(٢) انظر الإتحاف: ٥٣٩/١.

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية: ٢١٠/٢، والبحر المحيط: ٣٠٤/٤، والدر: ٣١٧/٤، ونسبت القراءة في زاد المسير: ٥٦٢/١ للحسن، والأعمش، وفي مفاتيح الغيب نسبت للحسن: ٧١/١١، وكذا روح المعاني: ٣٣٩/٣، وللمطوعي في الإتحاف: ٥٣٩/١، ونسبت ليحيى في مختصر شواذ القرآن، لابن خالويه: صـ٣٩.

(٤) انظر الإتحاف: ٥٣٩/١.

(٥) سورة البروج الآية (٨).

(٦) تاج اللغة وصحاح العربيَّة: ٢٠٤٥/٥.

والنقمة: العقوبة. **قال الأزهري:** النِّقمة والنَّقمة: العقوبة، ومنه قول علي بن أبي طالب:

ما تَنقِمُ الحرب العوان مني   بَازلُ عامين فتيٌّ سنيَّ[1][2]

فعلى قراءة الجمهور يتَّضح المعنى ﴿**تَنقِمُونَ**﴾ من «نقَم» بالفتح، وفي الآية الكريمة محاورةٌ بليغةٌ ووجيزةٌ، من أنَّ سبب النَّقمة هو الإيمان بالله، أو هل تَنقِموا منا إلا بإيمانا وفسقكم؟[3].

وأمَّا قراءة النخعي: «تَنْقَمُون» فهي بمعنى قراءة الجمهور، حيث إنَّهما لغتان بمعنًى واحدٍ، **فقد جاء في العين:** «نَقَم يَنقِم نَقْمًا، ونقِم يَنقَم نَقْمًا، أي: أنكر ولم يَرْضَ»[4].

وكذا ذكر دريد[5]**، والزجاج إلا أنَّه أشار أنَّ ما عليه جمهور القرَّاء هو الأجود، حيث قال:** «يقال: نَقَمت على الرجل أنقِم، ونَقِمت أنقَم، والأجود نقَمت أنقَم، وكذلك الأكثر في القراءة»[6].

كما وصفت قراءة الجمهور بالفصحى؛ لذا أجمعوا على الفتح في ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ مِنۡهُمۡ﴾[7].

وذكر الهذلي: أنَّه الاختيار لأشهر اللغتين [8].

(١) من البسيط لعلي بن أبي طالب في التهذيب «نقم»، واللسان «نقم».

(٢) تهذيب اللغة «نقم»، واللسان «نقم».

(٣) انظر تفسير عطية: ٢/٢١٠، وتفسير السمعاني: ٢/ ٤٩.

(٤) العين «نقم»: ٥/١٨١، والتبيان في إعراب القرآن: ١/٤٤.

(٥) جمهرة اللغة: ٣/١٦٦.

(٦) معانى القرآن للزجَّاج: ٢/١٨٦.

(٧) الإتحاف: ١/٥٣٩.

(٨) الإتحاف: ١/٥٣٩.

وقد جاءت في الشعر باللغتين في قول ابن قيس الرقيَّات:

مـــا نقمـــوا مـــن بنـــى أميـــة إلا أن يحلمـــــــون إن غضـــــــبوا[1]

فرُوِيَ باللغتين.

يلاحظ ما يأتي:

١- قراءة النخعي جاءت موافقةً لقراءة الجمهور في المعنى، فـ«ينقِم، وينقَم» لغتان لمعنًى واحدٍ.

٢- وصف قراءة الجمهور بأنَّها الأجود؛ لأنَّها جاءت على أفصح اللغتين.

٣- قراءة النخعي شاذةٌ، فلم ترد على ألسنة السبعة، والعشرة المتواترة، وجاءت في مختصر شواذ القرآن.

(١) من الكامل لابن قيس الرقيات في إعراب القرآن للزجَّاج: ١٨٦/٢، وتفسير المعاني: ٤٩/٢، وتفسير القرطبي: ٢٣٢٧/٣، واللسان «نقم».

الفتح مقابل الكسر للراء

في ﴿تَحۡرِصۡ﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾[1].

قرأ الجمهور ﴿تَحۡرِصۡ﴾ بكسر الراء، بينما قرأ النخعي، والحسن، وأبو حيوة[2] «تَحْرَص»: بفتح الراء، وكذا بجرِّ ابن خيرة[3].

المعنى والتوجيه:

الحِرْصُ: شدَّة الإرادة، والشره الى المطلوب، أو الجشع، والإفراط في الرغبة[4]، وفي الآية الكريمة خطابٌ للنبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ أي: إن تطلب بجهد ذلك، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ أي: إن حرصك لا ينفع فإنَّها أمورٌ محتومةٌ[5].

قرأ الجمهور ﴿ تَحۡرِصۡ﴾ بكسر الراء، واكتفى بعض العلماء بالإشارة إلى النطق بالكسر في المضارع[6] على قراءة الجمهور، بينما ذكر كثيرٌ منهم أنَّ النطق بالكسر والفتح للراء في المضارع لغتان، فالفتح في الماضي يقابله كسرٌ في المضارع والعكس، وعلى هذا تكون قراءة النخعي «تَحْرَص» لغة في «تَحْرِص».

قال ابن دريد: الحرص: معروفٌ، ويقال: حَرَص يَحْرِص حِرصًا، وحَرَص يَحْرَص حِرْصًا وقد قرئ «إِنْ تَحْرَص عَلَى هُدَاهُمْ»[7].

---

(١) سورة النحل الآية (٣٧).

(٢) نسب القراءة للنخعي وحده الزمخشري في الكشاف: ٤٠٩/٢، وابن خالويه في مختصر شواذ القرآن: صـ٧٦، ٧٧، والنخعي، والحسن، وأبو حيوة نسبها ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣٩٣/٣، وكذا في البحر: ٥٢٩/٦، والدر: ٢١٧/٧، وروح المعاني: ٣٧٩/٧.

(٣) انظر المحتسب: ٩/٢، حيث نسبها لإبراهيم، وابن خيرة.

(٤) انظر مقاييس اللغة: ٤٠/٢، والمحكم: ٣/ ١٤٥، وتفسير المحرر الوجيز: ٣٩٣/٣.

(٥) انظر المحرر الوجيز: ٣٩٣/٣ ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٥٢٣/١٨.

(٦) العين: ١١٦/٣، والمقاييس: ١٤٥/٣.

(٧) جمهرة اللغة، لابن دريد: ١٣٤/٢.

وذكر الأزهري اللغتين واصفًا ما عليه جمهور القرَّاء باللغة العالية، والثانية بالرواة، قال: «قلت: واللغة العالية: حَرَصَ يَحْرِص، وأمَّا حرص يَحْرَص فلغةٌ رديئةٌ، والقرَّاء مُجمعون على: ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [1]....»[2].

وقال أبو الفتح: «فيه لغتان حَرَصَ يَحْرِص، وهى أعلاها»[3]، كما وصفت اللغة الثانية بأنَّها لُغَيَّة، وكذا ذكر الزمخشري[4]، ونُسِبت لغة الكسر في المضارع لأهل الحجاز.

قال ابن عطية: «وتقول العرب: حَرَصَ يَحْرِص وحَرِص يَحْرَص، والكسر في المستقبل هي لغة أهل الحجاز»[5]، وأمَّا اللغة الثانية فلم أقف على نسبتها.

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي «تَحْرَص» بفتح الراء موافقة في المعنى لقراءة الجمهور ﴿تَحْرِصْ﴾؛ إذ هي لغة فيها.

٢- وصفت اللغة التي قرأ بها النخعي بالرداءة، كما صغرت فقيل: لُغَيَّة، بينما جاءت قراءة الجمهور على اللغة العالية، وقد نسبت لأهل الحجاز، ولم أقف على نسبةٍ للغة الفتح في المستقبل.

٣- قراءة النخعي لم ترد على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، فهي شاذةٌ قد ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن، وابن جنى في المحتسب، والهذلي في الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها.

---

(١) سورة يوسف الآية (١٠٣).

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري: ٢٣٩/٤.

(٣) المحتسب: ٩/٢.

(٤) الكشاف: ٤٠٩/٢.

(٥) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز: ٣٩٣/٣، وانظر الدر: ٢١٧/٧، وروح المعاني: ٣٧٩/٧.

كسر حرف المضارعة مقابل الفتح

وذلك في ﴿نَعۡبُدُ﴾، ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[1].

قرأ الجمهور ﴿نَعۡبُدُ﴾ بفتح النون، وأيضًا بفتح النون في ﴿نَسۡتَعِينُ﴾[2]، بينما قرأ النخعي، ويحيى بن وثاب، والأعمش، وعبيد بن عمير الليثي، وزر بن حبيش «نِعْبُدُ»[3] بكسر النون، وكذا «نِسْتَعِينُ»[4]، ونسب ابن خالويه «نِسْتَعِينُ» لجناح بن حبيش المقرئ[5].

التوجيه:

أفضل ما يقال في معنى ﴿نَعۡبُدُ﴾ أنَّها تفيد معنى التوحيد، وأنَّها بمعنى الطاعة، والانقياد لله سبحانه، وأنَّها بمعنى الدعاء، وكذا ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ فهي تفيد طلب العون من الله -سبحانه- لا من سواه، وقد جاء في الكلمتين القراءتان: الأولى: بالفتح لجمهور القراء، والثانية: بالكسر هي للنخعي وغيره، والمعنى واحد، إذ إنَّ كسر حرف المضارعة منهج مطَّرد، وظاهرة معروفة لدى عدد من القبائل العربيَّة، وتندرج هذه الظاهرة تحت ما يسمَّى بالتلتلة، وإليك تفصيلها:

---

(١) سورة الفاتحة الآية (٥).

(٢) راجع البحر المحيط: ٤١/١، ٤٢ لتقف على نصه على قراءة الجمهور، وكذا روح المعاني، للألوسي: ٩٤/١، والدر المصون، للسَّمين الحلبي: ٦١/١.

(٣) انظر هذه النسبة في روح المعاني: ٩٤/١، وذلك في ﴿نَعۡبُدُ﴾، ولم ينسب ﴿نَسۡتَعِينُ﴾، وفي البحر منسوبة لغير النخعي: ٤١/١.

(٤) انظر نسبة ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ للقراء السابقين في البحر: ٤٢/١.

(٥) مختصر شواذ القراءات، لابن خالويه: صـ٧.

تفصيل الظاهرة:

هذه ظاهرة لهجيَّة تسمَّى بالتلتلة، وتعني: كسر حرف المضارعة بدلًا من الفتح، فالأصل المشهور في حركة المضارعة الفتح في الثلاثي الأصل، وذلك لخفَّة الفتح، فكان الثلاثي لكثرته به أولى.

أمَّا إذا كان الفعل رباعيًّا فإنَّ العرب يضمون حرف المضارعة منه؛ لأنَّه أقل من الثلاثي سواء كانت حروفه أصليَّة، أو فيها حرف زائد كـ«يدحرج، ويكرم»(١).

من السابق يظهر أنَّ للعرب نهجًا آخر في ضبط حروف المضارعة أشار إليه سيبويه، يقول: «هذا باب تكسر فيه أوائل المضارعة للأسماء، وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تِعلم ذلك، وأنا إِعْلم، وهي تِعْلم، ونحن نِعْلم ذاك»(٢).

وقد ذكر ابن فارس: أنَّ من بين وجوه اختلاف لغات العرب الاختلاف في الحركات، كقولنا: «نستعين» بفتح النون وكسرها، وقال الفرَّاء: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد، وغيرهم يقولون بالكسر(٣).

وهذا الكسر شامل لما هو ثلاثي صحيح، أو معتل «يخشى»، «إخشى»، أو مضعَّف كـ «تِعضِّين»، أو كان أوله همزة وصل، أو تاء زائدة «استغفر» فأنت تِستغفر وتفاعلت(٤)، وغيرها.

ويتحقق هذا الكسر مع الحروف المضارعة جميعها إلا الياء، فإنَّها تفتح عند جميع العرب ما لم يكن بعد حرف المضارعة ياء، فإنه يكسر أيضًا.

قال سيبويه: «وجميع هذا يفتحه أهل الحجاز، وبنو تميم لا يكسرونه في الياء إذا قالوا يفعل»(٥)، إلا أن يكون بعد ياء المضارعة ياء أيضًا(٦).

---

(١) انظر شرح الكافية، لابن الحاجب: ٢٧٧/٢.
(٢) الكتاب لسيبويه: ١١٠/٤، وشرح الشافية: ١٤٣/١.
(٣) الصاحبي، لابن فارس: صـ٢٨.
(٤) الكتاب لسيبويه: ١١٠/٤ وما بعدها، وكذا شرح الشافية: ١٤٣/١.
(٥) الكتاب لسيبويه: ١١٣/٤.
(٦) شرح الكافية: ٢٢٨/٢.

والذي يسهل الكسر مع وجود ياء المضارعة بعدها ياء أخرى هو الاقتصاد في الجهد العضلي، والعمل من جهة واحدة.

نسبة الظاهرة:

من العلماء من وسع في نسبة الكسر، حيث نسب الفتح للحجازيّين، والكسر لسائر العرب(١)، ونسب بعضهم الكسر لبعض العرب دون تحديد(٢)، وحدَّد بعضهم قبائل الكسر والفتح، قال أبو عمرو: «... وتِعْلَمُ، بِالْكَسْرِ: لغة قيْس، وتَمِيم، وأَسَد، ورَبيعةَ، وعامَّةِ الْعَرَبِ، وأَما أَهل الْحِجَازِ وقومٌ مِنْ أَعجاز هَوازِنَ، وأَزْدِ السَّراة، وبعضِ هُذيل، فَيَقُولُونَ «تَعْلَم»، وَالْقُرْآنُ عَلَيْهَا»(٣).

وذكر النحَّاس القبائل السابق المنسوب إليها الكسر، وذكر الفتح لأهل الحجاز(٤)، وينسب أبو حيَّان الكسر لقيس، وأسد، ولم يذكر ربيعة، كما لم يذكر قبائل الفتح(٥)، ولعلَّ في عدم ذكره ذلك اعتمادًا منه على وضوح نسبته، كما نسبت الظاهرة لبهراء، واتَّسمت الظاهرة بتلتلة بهراء منسوبة إليها.

قال ابن جني: «وأما تلتلة بهراء، فإنهم تقولون: تِعلمون وتِفعلون ويِصنعون بكسر أوائل الحروف»، ويقصد بالحروف حروف المضارعة(٦)، كما ذكر الحريري(٧)، وبهذا اللقب تعرف في كثير من المعاجم(٨).

---

(١) الكتاب لسيبويه: ٤/١١٠.
(٢) النهاية، لابن الأثير: ١/٢٤.
(٣) لسان العرب، مادة «وقى».
(٤) إعراب القرآن للنحاس: ١/٧٣.
(٥) البحر المحيط: ١/٢٣.
(٦) سر صناعة الإعراب، لابن جني: ١/١٣١، والخصائص: ٢/١١.
(٧) درة الغواص، للحريري: صـ١١٤.
(٨) لسان العرب والقاموس وغيرهم، مادة «تلل».

وقد أضيفت الظاهرة لبهراء خاصة دون غيرها؛ لأنَّ العلماء لم ينسبوا لقبيلة واحدة أكثر من ظاهرة في روايةٍ واحدةٍ(١).

وقد تنسب الظاهرة لأكثر من قبيلة إذا تعددت الرواية، فمثلًا تنسب الكشكشة لتميم في رواية(٢)، وفي أخرى تنسب لربيعة(٣)، وسميت الظاهرة التي معنا بالتلتلة من أجل كسر التاء، مع أنَّ الكسر لا يقتصر عليها، بل تكسر النون، والهمزة، والياء إذا وَلِيَها ياء كما تقدَّم، وإنَّما اشتقاق اسمها من التاء من باب تسمية الكل بالجزء.

أيهما الأصل الفتح أم الكسر؟

يرى القدماء أنَّ الأصل الفتح لأحرف المضارعة، يؤكِّد هذا قول سيبويه: «وجميع ما ذكرت مفتوح في لغة أهل الحجاز، وهو الأصل»(٤).

٢- الكسر مقابل الضم وذلك في:

«أَهُشُّ»، و «أَهِشُّ»:

«أَهُشُّ» من قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾(٥).

قرأ الجمهور ﴿وَأَهُشُّ﴾ بفتح الهمزة وضم الهاء مع شين معجمة، وقرأ النخعي «أَهِشُّ بها»(٦)، وذكر ابن خالويه أنَّها عن النخعي بالضمِّ وكسر الهاء

(١) لغة تميم، د/ ضاهي عبد الباقي: صـ٢٠٧.
(٢) الكامل، للمبرد: ٧٦٥/٢.
(٣) درة الغواص: صـ١١٤.
(٤) الكتاب لسيبويه: ١١٠/٤.
(٥) سورة طه من الآية (١٨).
(٦) انظر القراءة في المحتسب، لابن جني: ٥١/٢، والمحرر الوجيز، لابن عطيَّة: ٤١/٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٧/١١، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، والبحر المحيط: ٣٢٢/٧، والدر المصون: ٢٥/٨.

«أُهِشُّ»[١]، ونقل أبو حيَّان عن الزمخشري أنَّ النخعي قرأ «أُهُشُّ» بضم الهمزة والشين المعجمة من «أهش» رباعيًّا[٢].

كما نسب أيضًا للنخعي أنَّه قرأ «أَهُسُّ» بالسين المهملة[٣].

التوجيه:

الهشُّ: كلّ شيءٍ فيه رَخاوةٌ. هشَّ يَهَشُّ هَشاشةً فهو هش هشيش. والهشُّ: جَذْبُك غُصْنَ الشّجرةِ إليك، وكذلك إن نثرتَ وَرَقَها بعصًا، ومنه قوله ﷻ: ﴿ **وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي** ﴾. ورجلٌ هشٌّ إذا هشَّ إلى إخْوانِه[٤].

والهَشَاشةُ: الارْتِياحُ والخِفَّة لِلْمَعْرُوفِ، وهَشِشْت لِلْمَعْرُوفِ هَشًّا وهَشَاشةً واهْتَشَشْت: ارْتَحْتُ لَهُ واشْتَهَيْته، وهشِشْتُ أي: فَرِحْتُ[٥].

إذًا: الجذر يدل على ما فيه رخاوة، ولين، ومعناه: انَّه يميل في سوق غنمه الرفق، أو يجذب برفق الأغصان.

وقرأ الجمهور ﴿ **وَأَهُشُّ** ﴾ بفتح الهمزة وضم الهاء، أي: أخبط بها الشجر فتسقط منه الورق فتأكله الغنم، أو أن تجذب الشجر وأغصانه إليك فيتناثر الورق فتأكله الغنم[٦].

وذكر ابن جني في معناها: أنَّه يميل بها على غنمه ليسوقها، أو ليكسر الكلأ للغنم بها[٧].

وقد اختلفت الروايات في قراءة النخعي لهذه الكلمة.

---

(١) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه: صـ٩٠.

(٢) لم أقف على ذلك في الكشاف للزمخشري: ٥٣٣/٢، انظر البحر المحيط: ٣٢٢/٧.

(٣) انظر السابق: ٣٢٢/٧، وفتح القدير: ٤٢٧/٣.

(٤) انظر العين، للخليل: ٣/ ٣٤٣، ٣٤٤، واللسان «هشش».

(٥) راجع اللسان «هشش»، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٧/١١ وغيرهما.

(٦) انظر جامع البيان: ٢٩٣/١٨، ٢٩٤، وانظر تفسير ابن عطيَّة: ٤١/٤.

(٧) انظر المحتسب، لابن جني: ٥١/٢.

١- ما ذكره أغلب العلماء: أنَّه قرأ «أَهِشُّ» بفتح الهمزة وكسر الشين[١]، وفي توجيه هذه القراءة احتمالان:

- **الأول:** أن يكون: أَمِيل بها على غنمي، إما لسوقها. وإما لتكسير الكلأ لها بها، وذلك كقراءة من قرأ: «أَهُشُّ» بضم الشين معجمة، يقال: هشَّ الخبزُ يهشُّ: إذا كان جافًّا يتكسر لهشاشته[٢].

وقال ابن عطية: «والمعنى كالذي تقدَّم» يقصد قراءة الجمهور[٣]. ذكر ذلك ابن جني، وكذا نقل أبو حيان عن أبي الفضل الرازي، وابن عطيَّة[٤].

- **الثاني:** أنَّه أراد «أَهُشُّ» بضم الهاء، أي: أكسر بها الكلأ لها؛ فجاء به على «فَعَلَ يفْعِل» وإن كان مضاعفًا ومتعديًا... مثل: هَرَّ الشيءَ يَهِرُّه: إذا كرهه... ومثله: حَبَّ الشَّيءَ يَحِبُّه بكسر الحاء ألبتة، ولم يضموها، وغذّ العرقُ الدمَ يغِذُّه ويغُذُّه، وتمَّ الحديث يتِمُّه ويتُمُّه، وشَدَّ الحبل يشِدُّه ويشُدُّه. في أحرف سوى هذه. وكذلك يكون «أهش» كقراءة من قرأ: «أَهُشُّ»، بضم الهاء، وبالشين المعجمة[٥].

قال ابن عطيَّة: «والمعنى كالذي تقدَّم» يقصد قراءة الجمهور.

٢- ذكر ابن خالويه أنَّه قرأ «أُهِشُّ» بالضم وكسر الهاء[٦]، ويكون ذلك من «أهشَّ» رباعيًّا.

٣- ذكر أبو حيَّان نقلًا عن الزمخشري عن النخعي أنَّه قرأ «أُهُشُّ» بضم الهمزة والشين المعجمة[٧]، وهذا أيضًا من «أهشَّ» رباعيًّا.

---

(١) ذكر للكلمة اللغتين النحاس في إعراب القرآن: ٢/٢٥، وانظر تحقيق القراءة في الصفحة السابقة.

(٢) المحتسب، لابن جني: ٢/٥٠، ٥١.

(٣) المحرر الوجيز: ٤/٤١.

(٤) انظر البحر المحيط: ٧/٣٢٢، وروح المعاني للألوسي: ٨/٤٨٩.

(٥) المحتسب، لابن جني: ٢/٥٠، ٥١.

(٦) مختصر شواذ القراءات: صـ٩٠.

(٧) راجع البحر المحيط: ٧/٣٢٢، وانظر الدر المصون: ٨/٢٥.

إذًا: القراءة «أُهِشُّ» بضم الهمزة مع كسر الهاء، أو ضمها يكون رباعيًّا من «أهشَّ» والجميع من «هش الخبز يهش» إذا كان ينكسر.

ملاحظات:

١- قراءة النخعي «أَهِشُّ» بفتح الهمزة وكسر الشين جاء في توجيهها احتمال كونها بمعنى قراءة الجمهور، والثاني أنه أراد «أُهُشُّ» يعني: مثل قراءة الجمهور أيضًا في المعنى، فجاء به على «فَعَلَ يفعل»، ومثل ابن جني لنظائره في اللغة، وإن مضاعفًا متعديًا.

٢- أنَّ ما نسب إلى النخعي من قراءته «أُهِشُّ» بضم وكسر، أو «أُهُشُّ» بضم الهمزة والهاء والشين، فإنَّه من «أهشَّ» الرباعي.

٣- ما ورد من قراءات عن النخعي مخالف لما عليه جمهور القراء، فقد ذكر في الشواذ، ولم يرد على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة.

٤- نسب للنخعي قراءة «أهس» بالسين المهملة، وهذه سوف يتعرَّض البحث لها في مبحث الدلالة.

٣- الفتح مقابل الضم للحاء في ﴿حُوبًا﴾:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾[(١)].

قرأ الجمهور ﴿حُوبًا﴾ بضم الحاء، وقرأ النخعي، والحسن بفتحها «حَوْبًا»[(٢)]، كما نسبت القراءة لقتادة[(٣)]، وابن سيرين[(٤)]، وابن حنبل، وغيرهم[(٥)].

---

(١) سورة النساء من الآية (٢).

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٥٠٢/١، والدر المصون: ٥٥٦/٢.

(٣) نسبه للنخعي في زاد المسير: ٣٦٨/١.

(٤) انظر مختصر شواذ القراءات: صـ٣١.

(٥) انظر الكامل في القراءات، للهذلي: صـ٥٢٤، وانظر النسبة للحسن في معاني القرآن للفراء: ٢٥٣/١، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ١٩٩/١، وفتح القدير، للشوكاني: ٤٨٢/١.

التوجيه:

الحُوب: الإثم العظيم. قال الفرَّاء: ورأيت بني أسد يقولون الحائب: القاتل(١).

وذكر الشوكاني أنَّ فيه ثلاث لغات: ضم الحاء، وهي قراءة الجمهور، وفتح الحاء، وهي قراءة الحسن، والثالثة: الحابُ، وقراءة أبي بن كعب: «حابا» على المصدر، وفيه أيضًا حَوُوبًا، وحِيابة(٢).

وعلى اللغة الأولى ﴿**حُوبًا**﴾ جاء قول المخبَّل السعدي:

لا يَدْخُلَنَّ الدهرَ قبرك حُوبٌ فإنَّك تلقاهُ عليك حَسِيبُ(٣)

وعلى اللغة الثانية «حابا» جاء قول الآخر:

وإنَّ مهاجِرَيْنِ تَكَنَّفاه غداتئذٍ لقد خَطِئا وحابا(٤)

وقد ذكر العلماء أنَّ الفتح لغة تميم، قال الأخفش: وهي لغة تميم(٥)، ونظير الحَوْب والحاب: القول والقال، والطُّرد والطَّرْد(٦).

---

(١) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٥٣/١.

(٢) فتح القدير، للشوكاني: ٤٨٢/١، والدر المصون: ٥٥٧/٢.

(٣) من الطويل، للمخبَّل السعدي في البحر المحيط: ٤٨٩/٣، والدر المصون: ٥٥٧/٢، ولسان العرب «حوب»، وفيه «حَوْبة» بدلًا من «حُوب»، «يقوم بها يومًا» بدلًا من «فإنَّك تلقاه».

(٤) من الوافر، ولم أقف على قائله، وقد جاء في الدر المصون، للسَّمين الحلبي: ٥٥٧/٢، والبحر المحيط: ٤٨٩/٣.

(٥) إعراب القرآن، للنحَّاس: ١٩٩/١، وفتح القدير: ٤٨٢/١، وانظر إتحاف فضلاء البشر: ٥٠٢/١.

(٦) الدر المصون: ٥٥٧/٢.

وقد اختلف أصحاب المعاجم في النسبة، فابن منظور نسب الفتح لأهل الحجاز، والضم لتميم، وتابعه الزبيدي[١]، بينما نرى الأزهري والفيومي ينسب الضمَّ لأهل الحجاز، والفتح لتميم[٢]، وكذا ابن الجوزي.

قال الفرَّاء: «أهل الحجاز يقولون «حُوب» بالضم، وتميم يقولون بالفتح»[٣].

وأرى أنَّ ما ذهب إليه الأزهري، والفيومي هو الأقرب للصواب؛ حيث قرأه الجمهور بالضم، والتي أخذت اللغة المشتركة منها معظم خصائصها، منها: الإضافة إلى ما ذهب إليه الأخفش وغيره من نسبة الفتح لتميم.

ومن العلماء مَنْ فرَّق بينهما، فجعل ﴿حُوبًا﴾ المضموم اسمًا، «وحَوْبًا» المفتوح مصدرًا[٤]، وقيل أيضًا المضموم اسم مصدر، والمفتوح مصدر[٥].

والقول بأنَّهما لغتان بمعنى واحدٍ هو الصواب، وهو ما ذهب إليه كثيرٌ من العلماء.

ويلاحظ أنَّ «حَوْبًا»، وهي قراءة النخعي شاذة؛ حيث لم ترد في القراءات المتواترة.

الفتح مقابل الضم في لفظ "يُونُس" بفتح النون بدلًا من ضمها

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ﴾[٦].

---

(١) انظر لسان العرب «حوب»، وتاريخ العروس «حوب».

(٢) انظر المصباح المنير «حوب»، والتهذيب: ٢٦٨/١٥، مادة «حوب».

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي: ٣٦٨/١.

(٤) إعراب القرآن، للنحَّاس: ١٩٩/١، والإتحاف: ٥٠٢/١، والبحر المحيط: ٤٨٩/٣، وذكر الهذلي في الكامل: الباقون بالضم وهو الاختيار؛ لأنَّ الاسم أقوى من المصدر.

(٥) الدر المصون: ٥٥٧/٢.

(٦) سورة النساء من الآية (١٦٣).

فقد قرأ الجمهور اسم نبي الله «يُونُسَ» بضم النون[١]، بينما قرأ النخعي «يُونَس»[٢] بفتح النون، وبهذا قرأ ابن وثاب[٣]، وكذا قرأ أبو عمران الجوني، وأبو الجوزاء، والجحدري[٤].

التوجيه:

«يُونس»: نبي الله ابن متَّى، ولا خلاف في إطلاق الاسم على المسمَّى، لكن الخلاف في نطق القبائل العربية له، فهو اسم أعجمي، فيعقوب، ويوسف، ويونس، واليسع كلها أعجميَّةٌ[٥]، أو كلها معرَّبة[٦]، والعرب إذا نطقت الأعجمي تعدَّدت لغاته، وخلطت فيه؛ لذا قيل عن العرب إذا اشتقت الأعجمي خلطت فيه[٧].

ويقول الجواليقي: «وكذلك نجد العرب إذا وقع إليهم ما لم يكن من كلامهم تكلموا به بألفاظ مختلفة»[٨]، ونقل عن أبي عمرو: ربما خلطت العرب في الأعجمي إذا نقلته إلى لغتها[٩].

---

(١) البحر المحيط: ١٣٧/٤.

(٢) السابق: ١٣٧/٤، وتفسير ابن عطيَّة: ١٣٦/٢، والدر المصون: ١٥٧/٤، وشواذ القراءات، للكرماني: صـ١٤٧.

(٣) انظر السابق من المصادر البحر، وتفسير ابن عطيَّة، وشواذ القراءة واختلاف المصاحف للكرماني.

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي: ٤٩٩/١.

(٥) المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي: صـ٤٠٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الثانية، دار الكتب ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م.

(٦) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجي: صـ٣١٨، تحقيق: محمد كشاش، دار الكتب العلميَّة، بدون، ط. أولى، سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

(٧) هذا من أقوال أبي علي الفارسي، وقد جاء في مراجع عدَّة منها: الخصائص: ٣٥٩/١.

(٨) المعرَّب للجواليقي: صـ٦٢.

(٩) السابق: صـ٥٥ وما بعدها.

فالتغيير في الكلمات الأعجميَّة' عند تعريبها هو الغالب، ولفظ «يونس» من الألفاظ التي وقع التعدد فيها:

قال ابن منظور: «يُونُس، ويُونَس، ويُونِس: ثلاث لغات اسم رجل»(١).

وقال العكبري: «وفِي (يُونُسَ): لُغَاتٌ، أَفْصَحُهَا ضَمُّ النُّونِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ، وَيَجُوزُ فَتْحُهَا، وَكَسْرُهَا»(٢)، وكذا ذكر أبو جعفر الأندلسي(٣).

العزو اللهجي للقراءات الثلاثة:

قرئ «يونس» باللغات الثلاثة: الضم، والفتح، والكسر للنون من غير همز، ونسب كل نطق لقبيل من العرب.

«أما قراءة الضمّ فقرأ بها السبعة، وهي لغة أهل الحجاز، يضمّون النون ولا يهمزون. وأما قراءة الفتح فقرأ بها النَّخَعي، وابن وثّاب... وفتح نون (يونس) لبعض بني عقيل، وأما قراءة الكسر فقرأ بها نافع في رواية ابن جمَّاز عنه، وهي لغة لبعض العرب»(٤).

وقال أبو حيَّان: «قَرَأَ نَافِعٌ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جَمَّازٍ عَنْهُ: يُونِسُ بِكَسْرِ النُّونِ، وَهِيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ. وَقَرَأَ النَّخَعِيُّ وَابْنُ وَثَّابٍ: بِفَتْحِهَا وَهِيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ عَقِيلٍ(٥)، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَهْمِزُ وَيَكْسِرُ، وَبَعْضُ أَسَدٍ يَهْمِزُ وَيَضُمُّ، وَلُغَةُ الْحِجَازِ مَا قَرَأَ بِهِ الْجُمْهُورُ مِنْ تَرْكِ الْهَمْزِ وَضَمِّ النُّونِ»(٦).

---

(١) لسان العرب مادة «أنس».

(٢) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٤٠٩/١.

(٣) انظر تحفة الأقران له: صـ١٧٧، ١٧٨.

(٤) السابق.

(٥) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، كانت مساكنهم بالبحرين، ثم ساروا إلى العراق، وملكوا الكوفة، والبلاد الفراتية، تحوَّلوا بعد هزيمتهم من السلاجقة إلى البحرين. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي: صـ٣٦٦، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا، له أيضًا: ٣٩٥/١، دار الكتب العلميَّة.

(٦) البحر المحيط: ١٣٧/٤، وانظر: ٥٧٥/٤.

وكذا ذكر السَّمين الحلبي، والألوسي[1]**، قال السَّمين الحلبي:** «وحكي أنَّ ضمَّ النون مع الهمزة لغة بعض بني أسد، إلا أني لم أعلم أنه قرأ بشيءٍ من الهمز»[2].

إذًا: ما جاء في القراءات القرآنيَّة ثلاثة قراءات لهذه الكلمة، نسبت القراءة التي قرأ بها الجمهور لأهل الحجاز نطقًا، وهي أفصحها، ونسبت القراءة التي قرأ بها النخعي نطقًا لبعض عقيل، ونسبت الثالثة نطقًا لبعض العرب.

أمَّا النطق بالهمزة لم يرد عليها قراءات وهي ثلاثة نطق بعض بني أسد بالهمز مع ضمِّ النون، أمَّأ كسر النون مع الهمز والفتح مع الهمزة، فلم أجد له عزوًا.

من السابق يلاحظ الآتي:

١- أنَّ قراءة النخعي جاءت موافقة لنطق بني عقيل، وهي من القبائل المجاورة لتميم، وقد مثل النخعي بيئة تميم اللغويَّة في معظم قراءاته، كما هو واضح من عرضنا لكثيرٍ من الكلمات.

٢- لم يكن لإبدال الكسرة فتحة في قراءة النخعي أثر في تغيير مقاطع الكلمة إذا ما قورنت بقراءة الجمهور؛ لأنَّه وقع إبدال حركة قصيرة مكان أخرى.

٣- قراءة النخعي شاذَّة، حيث خرجت عن القراءات العشر المتواترة، فلم يقرأ واحد منهم بما قرأ به النخعي، وقد ذكرها الكرماني في كتابه.

٤- ذكرت «يونس» في غير هذا الموضع من القرآن، ولم يرد عن النخعي أنَّه قرأ بها كذلك، إلا في هذا الموضع، فلعلَّه جاءت قراءته كذلك لتوافق حركة السين المفتوحة بعدها، وهذا يُعدُّ من أنواع الانسجام

(١) الدر المصون: ١٥٧/٤، وروح المعاني: ١٩٢/٣.
(٢) الدر المصون: ١٥٧/٤.

الصوتي طريقه التماثل الحركي المدبر لتتحقق خفة النطق الذي تميل إليه القبائل البدويَّة.

الفتح مقابل الضم في الميم الأولى من كلمة ﴿ مُقَامَ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾(١).

قرأ حفص بضم الميم الأولى، وكذا قرأ البقاعي، والأعرج، واليماني، والجحدري، وأبو حيوة، وقرأ النخعي، وأبو جعفر، وشيبة، وأبو رجاء، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن مسلم، وطلحة، وباقي السبعة بفتح الميم(٢).

التوجيه:

والمَقامُ: موضع القَدَمَيْنِ، قَالَ الشاعرُ:

هَـــذَا مَقَـــامُ قَـــدَمَي رَبـــاحِ غُـــدْوَةَ حتَّـــى دَلَكَـــتْ بَـــراحِ(٣)

وَيُرْوَى: بِراحِ. وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦﴾(٤)،

قِيلَ: المَقَامُ الْكَرِيمُ هُنَا المِنْبَر، وَقِيلَ: الْمَنْزِلَةُ الحسَنة.

والمَقَامَة بِالْفَتْحِ: الْمَجْلِسُ، وَالْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ(٥).

---

(١) سورة الأحزاب من الآية (١٣).

(٢) انظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٥٢٠، بالضم لحفص عن عاصم، وبالفتح باقي السبعة، وانظر كذلك التذكرة لابن غليون: ٦١٧/٢، والإتحاف: ٥٧١/٢، ونسب القراءة بالفتح للنخعي وغيره ابن عطيَّة في المحرر الوجيز: ٣٧٣/٤، وأبو حيان في البحر: ٤٦٠/٨، وابن الجوزي في زاد المسير: ٤٥٣/٣، وانظر الدر: ١٠٠/٩، وروح المعاني: ١٥٧/١١، وغيرها.

(٣) الرجز، لطفيل الغنوي في التهذيب، للأزهري: ٣/٥، ١١٦/١٠، والجمهرة: ٢١٨/١، ٢٩٦/٢، والمخصص: ٢٥/٩.

(٤) سورة الدخان: الآية (٢٥، ٢٦).

(٥) لسان العرب «قوم».

والمُقَامُ والمُقَامَةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تُقيم فِيهِ. والمُقَامَة، بِالضَّمِّ: الإقامة[1]. وَالمَقامُ والمُقامُ بمعنًى واحدٍ، فكُلٌّ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الإقامة، وَقَدْ يَكُونا بِمَعْنَى مَوْضِعِ القِيام، لأَنك إِن جَعَلْتَهُ مِنْ قَامَ يَقُوم فَمَفْتُوحٌ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَقَامَ يُقِيمُ فَمضْموم الْمِيمِ؛ لأَنَّه مُشَبَّه بِبَنَاتِ الأَربعة نَحْوُ دَحْرَجَ، وَهَذَا مُدَحْرَجُنا[2].

ومعنى هذا أنَّه يمكن توجيهه على أنَّه مصدر من الرباعي، أو اسم مكان منه، أو مصدر من الثلاثي، أو اسم مكان منه، فالمفتوح من «قام»، والمضموم من «أقامَ».

وذكر الزمخشري القراءتين، ولم يفرّق بينهما، حيث قال: «وقرئ بضم الميم وفتحها، أي: لا قرار لكم ههنا، ولا مكان تقيمون فيه، أو تقومون»[3].

وفرَّق العلماء بين القراءتين في المعنى، فمُقام بالضم مصدرًا، وبالفتح اسم موضع، قال الزجَّاج: «ويقرأ «لاَ مَقَام لَكمْ» بفتح الميم، فمَنْ ضمَّ الميم فالمعنى لا إقامة لكم، تقول: أقمت في البَلَدِ إقامةً ومُقامًا. ومَنْ قرأ «لا مَقَام لكم»، فالمعنى لا مكان لكم تقيمون فيه»[4].

وقال الفرَّاء: «فمن قَالَ: «لا مَقَام لكم» فكأنَّه أراد: لا موضع قيام. ومن قرأ ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ كأنَّه أراد: لا إقامة لكم»[5].

وذكر النحَّاس أنَّها بالضم مصدرًا، أو موضعًا يقيمون فيه، وبالفتح مكان تقيمون فيه[6].

وذكر ابن عطية أنَّهما اسم موضع، لكن هذا من الرباعي، والآخر من الثلاثي، حيث قال: «﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم، والمعنى: لا موضع

(١) العين: ٢٣٢/٥، واللسان «قوم».
(٢) لسان العرب «قوم».
(٣) الكشاف، للزمخشري: ٢٥٤/٣.
(٤) معاني القرن وإعرابه، للزجَّاج: ٢١٩/٤.
(٥) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣٣٦/٢، ٣٣٧.
(٦) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٠٩/٣.

إقامة، وقرأ الباقون «لا مَقَامَ» بفتح الميم بمعنى: لا موضع قيام،... والمعنى في حومة القتال»[1].

ويرى البحث أن ﴿**مُقَامَ**﴾ من أقام رباعيًا، و«مَقَام» من قام ثلاثيًا، مصدرًا كان أو اسم موضع، فالمعنى واحد.

ويؤيِّد ذلك ما جاء في الإتحاف، حيث ذكر البنا كلًّا من الضم والفتح قائلًا: «فبضمِّ الميم اسم مكان من «أقام» أي: لا مكان إقامة، أو مصدرًا منه لا إقامة، وبالفتح مصدر «قامَ» أي: لا قيام، أو اسم مكان، أي: لا مكان قيام»[2].

ويلاحظ الآتي:

١- جاءت قراءة النخعي موافقةً للقراء السبعة، ما عدا حفص عن عاصم، فالقراءة متواترة.

٢- جاءت قراءة النخعي بالفتح، وهي من «قام» الثلاثي مصدرًا أي: لا قيام، أو اسم مكان، أي: لا مكان قيام.

٣- يوجد خلاف صوتي بين قراءة النخعي، وقراءة حفص، حيث فتح النخعي الميم الأولى، بينما ضمها حفص، ولا يوجد تأثير على المقاطع، فهما متفقان.

(١) المحرر الوجيز: ٣٧٣/٤.

(٢) الإتحاف: ٥٧١/٢.

الفتح مقابلًا الضم في لفظ ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾[1].

فقد قرأ حفص، وابن كثير، وأبو عمرو، وكذا قرأ النخعي، ومجاهد، وعكرمة، ووافقهم ابن محيصن: ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ بالفتح، وقرأ باقي السبعة بضمِّها «السُّدَّيْن»[2].

وكذا جاء الفتح مقابل الضمِّ في لفظ ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾[3]، فقد قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بفتح السين فيهما ﴿سَدّٗا﴾، وكذا قرأ النخعي، وعبد الله، وابن وثاب، وطلحة، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم «سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّ»، مضمومتي السين[4].

التوجيه للقراءتين:

في الآية الأولى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ ذكر المفسرون: أنَّ السَّدَّيْن هما جبلان سدّا مسالك تلك الناحية من الأرض، وبين الجبلين فتح، هو موضع الردم، وقال ابن عباس: الجبلان اللذان بينهما السد: أرمينية، وأذربيجان، وقالت فرقة: هما من وراء بلاد الترك[5].

---

(١) سورة الكهف من الآية (٩٣).

(٢) انظر نسبة القراءة للقراء السبعة في السبعة، لابن مجاهد: صـ٥٣٩، وإبراز المعاني: صـ٦١٨، والحجة، لابن خالويه: صـ٢٣١، وكذا نسب لابن محيصن في الإتحاف: ٥١٦/٢، وانظر نسبة القراءة للنخعي، ومجاهد، وعكرمة ابن عطية في المحرر الوجيز: ٥٤١/٣، وانظر البحر: ٣٢٧/٧، والدر: ٥٤٥/٧.

(٣) سورة يس من الآية (٩).

(٤) انظر نسبة القراءة للسبعة في السبعة، لابن مجاهد: صـ٥٣٩، والإتحاف: ٦٢٩/٢، وإبراز المعاني: صـ٦١٨، والنسبة للنخعي وغيره في تفسير ابن عطيَّة: ٤٤٧/٤، وزاد المسير: ٥١٩/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٥٦٤٤/٨ وغيرها.

(٥) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٥٤١/٣.

وجاءت القراءتان ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾، و«السُّدَّيْن» بالفتح والضم للسين، واختلف العلماء فيهما، هل هما بمعنًى واحدٍ، أو مختلف، ويدخل في هذا أيضًا كلمة ﴿سَدًّا﴾، و«سُدًّا»؟

- **الأول:** أنَّهما بمعنى واحد.

قال ابن السكيت: «فَعْل وفُعْل باتفاق المعنى، قال أبو عمرو: يقال لكل جَبَل صَدٌّ وصُدٌّ، وسَدٌّ وسُدٌّ»(١).

ونُقِل عن الكسائي: الضم والفتح لغتان بمعنى واحد(٢)، وذلك كالضَّعْف، والضُّعف.

وأعتقد أنَّ هذا ما مال إليه الزجَّاج، حيث قال: «وقرئ «السَّدَّيْن» بالفتح، وقيل: ما كان خلقة...»(٣)، فهذا يدل على أنَّه يميل إلى أنَّهما لغتان، وكذا النحَّاس.

- **الثاني:** أنَّه ما كان من صنع الله، فهو «سُدٌّ» بالضم، وما كان من صنع بني آدم فهو «سَدٌّ» بالفتح.

قال الزجَّاج: «وقيل: ما كان خلقة فهو سُدٌّ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ»(٤).

وقال النحَّاس: «تكلّم الناس في السَّدّ والسُّدّ. فقال عكرمة: كلّ ما كان من صنع الله جلَّ وعزَّ فهو سُدٌّ بالضم، وما كان من صنعة بني آدم فهو سَدٌّ بالفتح»(٥).

---

(١) إصلاح المنطق، لابن السكيت: صـ٨٩، ٩٠.

(٢) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٥٤١/٣، وإعراب القرآن للنحَّاس: ٢٠٦/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٥٦٤٤/٨، والبحر: ٢٢٧/٧.

(٣) معاني وإعرابه، للزجَّاج: ٣١٠/٣.

(٤) السابق: ٣١٠/٣.

(٥) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٠٦/٢.

وذكر ابن عطيَّة عن أبي عبيدة هذا[١].

وكذا قال العكبري: «وَقِيلَ: الْمَضْمُومُ مَا كَانَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ؛ وَالْمَفْتُوحُ مَا كَانَ مِنْ صَنْعَةِ الْآدَمِيِّ»[٢].

وقال الزمخشري: «قيل: ما كان من خلق الله –تعالى– فهو مضموم، وما كان من عمل العباد فهو مفتوح؛ لأنَّ السُّدَّ –بالضم– فُعْلٌ بمعنى مفعول، أي: هو ممَّا فعله الله –تعالى– وخلقه. والسَّدّ– بالفتح–: مصدر حدث يحدثه الناس»[٣].

وردَّ السَّمين ذلك بقوله: «وهو مردودٌ: بأن السَّدَّيْن في هذه السورة –يقصد الكهف– جَبَلان، سَدَّ ذو القرنين بينهما بسَدّ، فهما مِنْ فِعْلِ اللهِ، والذي فعله ذو القرنين مِنْ فِعْل المخلوق. و﴿سَدًّا﴾ –في يس– مِنْ فِعْلِ الله –تعالى– لقولِه: ﴿وَجَعَلْنَا﴾، ومع ذلك قُرِئ في الجميع بالفتح والضمِّ»[٤].

وذكر ابن عطيَّة: أنَّه قيل عكس ما قال أبو عبيدة[٥]، أي: ما كان خلقة بالفتح، وما كان من صنع الناس بالضم.

- **الثالث:** أنَّ المضموم اسم، والمفتوح مصدر، ونسب هذا للخليل، وسيبويه[٦]، وكذا قال العكبري: «السَّدُّ –بِالْفَتْحِ– مَصْدَرُ سَدَّ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْمَسْدُودِ. وَبِالضَّمِّ اسْمٌ لِلْمَسْدُودِ»[٧].

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية: ٥٤١/٣.
(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٨٦٠/٢.
(٣) الكشاف: ٤٩٨/٢.
(٤) الدر المصون: ٥٤٤/٧.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٤١/٣.
(٦) انظر السابق: ٥٤١/٣، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ٣٠٦/٢، والبحر: ٢٢٧/٧، والدر: ٥٤٥/٧، ولم أقف على هذا عند الخليل، وسيبويه بعد رجوعه إلى كتابيهما العين، والكتاب.
(٧) التبيان في إعراب القرآن: ٨٦٠/٢.

وردَّ النحَّاس نقلًا عن محمد بن يزيد قوله: «فإذا كان على هذا كانت القراءة بالضم أولى؛ لأن المقصود الاسم لا المصدر»(١).

وهنا أقول: لا يجوز رد قراءة بأخرى، فكلتاهما متواترتان عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

- **الرابع:** السَّدّ –بالفتح– ما لم تره عيناك، والسُّدّ –بالضّم– ما رأته عيناك. وهذا قول ابن أبي إسحاق(٢).

وقيل: «السَّدّ –بالفتح– هو الحاجز بينك وبين الشيء، والسُّدّ بالضم ما كان من غشاوة في العين»(٣).

وردَّ أبو جعفر النحَّاس الآراء السابقة بقوله: «وهذه التفريقات لا تُقبل إلا بحجّةٍ ودليلٍ، ولا سيما وقد قال الكسائي: هما لغتان بمعنًى واحدٍ، ووقع هذا الاختلاف بلا دليلٍ ولا حُجّةٍ»(٤).

ملاحظات:

١– أرى أن كونهما لغتين بمعنًى واحدٍ هو الصواب، وهو ما ذهب إليه أكثر العلماء، وهو غير مردود، ولا محتج عليه بخلاف غيره من الآراء.

٢– القراءتان متواترتان قرأ بهما القرَّاء السبعة، وقد وافق النخعي في قراءته قراءة حفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي في ﴿ىٰ﴾ بفتح السين، ووافق في قراءته ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ بفتح السين قراءة حفص عن عاصم، وابن كثير، وأبي عمرو.

(١) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٠٦/٢.
(٢) انظر المحرر الوجيز: ٥٤١/٣، وإعراب القرآن للنحَّاس: ٢٠٦/٢.
(٣) انظر السابق: ٢٠٦/٢.
(٤) السابق: ٢٠٦/٢.

٣- وقع إبدال صوتي بين القراءتين، وذلك في فتح السين، أو ضمها، ولم تتأثَّر المقاطع بهذا الإبدال، كما لم أقف على نسبة لأيٍّ من اللغتين: الفتح، أو الضم.

٥- الضم مقابل الكسر في لفظ "كسوة"

في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾[١].

قرأ الجمهور ﴿كِسۡوَتُهُمۡ﴾ بكسر الكاف، وقرأ إبراهيم النخعي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن المسيّب بضمها[٢].

التوجيه اللغوي:

الكِسْوَةُ والكُسْوةُ: اللباس[٣]، وهذا يعني أنَّهما لغتان بمعنى واحدٍ[٤]، وذلك مثل: قِدْوة وقُدْوة، وإِسْوَة، وأُسْوَة، وهذا إبدال بين الضم والكسر شبه مطرد فيما جاء على وزن فِعْلة، وفُعْلة، والكسر فيه ينسب للحجازيّين، بينما ينسب الضم لتميم، ويؤيّد تلك النسبة في «كسوة» ما ورد في أشباهها.

قال السيوطي عن اليزيدي: «أهل الحجاز تركته بتلك العَدْوة وأوطأته عِشْوة ولي بك إِسْوَة، وقِدْوَة، وتميم تضم أوائل الأربعة»[٥].

---

(١) سورة المائدة من الآية (٨٩).

(٢) انظر البحر المحيط: ٣٥٣/٤، والدر المصون: ٤٠٩/٤، وبلا نسبة في فتح القدير: ٨٢/٢، كما نسبت القراءة بالضم، لأبي عبد الرحمن، وأبي الجوزاء، ويحيى بن يعمر في زاد المسير: ٥٨٠/١، وفي مختصر شواذ القراءات بالضم للسلمي، ويحيى: صـ٤٠، وفي سورة البقرة من الآية (٢٣٣): ﴿رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ﴾ نسب الضم لطلحة في الدر المصون: ٤٦٥/٢، وللسلمي عن علي بن أبي طالب في مختصر شواذ القراءات: صـ٢١.

(٣) انظر العين: ٣٩١/٥، والمحكم: ١٢٢/٧.

(٤) انظر الدر المصون: ٤٦٥/٢.

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: ٢٧٧/٢.

كما ينسب الضم لقيس بجانب تميم، والكسر لأهل الحجاز[1]، وعليه فالضم لغة في الكسر، ولا خلاف في المعنى بينهما.

قراءة النخعي شاذة حيث لم ترد على ألسنة السبعة أو العشرة المتواترةُ قراءتهم.

الضم مقابل الكسر للصاد في ﴿يَصِدُّونَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿*وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧﴾[2].

١- قرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي «يَصُدُّون» بضم الصاد، وقرأ النخعي، وأبو جعفر، والأعرج، وأبو رجاء، وابن وثاب، ووافقهم الحسن، والأعمش، وخلف، وهي قراءة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وأنكر القراءة هذه ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- قبل بلوغه تواترها.

٢- وقرأ باقي السبعة، وسعيد بن جبير، والحسن أيضًا بكسر الصاد ﴿يَصِدُّونَ﴾[3].

التوجيه:

بالرجوع إلى كتب اللغة والتفسير يتبيَّن اختلاف العلماء حول «يَصِدُّ»، و«يَصُدُّ» من ناحية المعنى:

---

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٣٧٣/٢.

(٢) سورة الزخرف من الآية (٥٧).

(٣) انظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٥٨٧، لتقف على قراءتهم، وانظر التذكرة في القراءات العشر، لابن عابدين: ٦٦٨/٢، والإتحاف: ٤٥٨/٢، وانظر ما عدا السبعة والعشرة والأربعة عشر في المحرر الوجيز: ٦٠/٥، ومعاني القرآن، للنحَّاس: ٧٦/٤، والبحر المحيط: ٣٨٥/٦، فقد نسبوا القراءة للنخعي وغيره «يَصُدُّون» كما نسبوا القراءة لمن قرأ «يَصِدُّون». وانظر كذلك روح المعاني: ٩٢/١٣، ومفاتيح الغيب: ١١٣/٢٧ وغيرها.

- **الأول:** أنَّهما بمعنى واحد:

قال الخليل: «تقول: صَدَّ يصِدُّ صَدًّا، وهو شِدَّة الضَّحِكِ والجَلَبة، قال اللهُ -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ أي: يَصُدّون ويضحَكُون. وصَدَدتُه عن كذا أصُدُّه صدًّا، أي: عَدَلْتُه عنه»(١).

وقال الفرَّاء: «حَدَّثَنِي أَبُو بَكْر بْن عياش عنْ عاصم: أَنَّهُ ترك «يَصُدون» من قراءة أَبِي عَبْد الرَّحْمَن، وقرأ ﴿يَصِدُّونَ﴾ أي: يضجون يَعِجّونَ. وفي حديث آخر: أنَّ ابْنَ عَبَّاس لقي عُبَيْد بْن عمير فَقَالَ: إنَّ ابنَ عمك لعربي، فما لَهُ يلحن فِي قوله: «إِذَا قومك مِنْهُ يصُدون» إنَّما هِيَ ﴿يَصِدُّونَ﴾، العرب تَقُولُ: يصِد ويصُد، مثل: يشِد ويشُد، وينِم وينُم من النميم. يصدون مِنْهُ وعنه سواء»(٢).

وقال الزجاج: «ومعناهما جميعًا يضجُّونَ»(٣).

وقال الجوهري: «وصَدَّ يَصُدُّ ويَصِدُّ صَديدًا: أي ضَجَّ»(٤).

ونقل ابن عطيَّة وغيره عن الكسائي قوله: «هما لغتان بمعنى واحدٍ، مثل: «يَعْرُشُون ويَعْرِشُون»(٥).

وقال الأزهري: «تَقول: صَدَّ يَصِدّ ويَصُدّ، مثل: شَدَّ يَشِدُّ ويَشُدُّ، وَالِاخْتِيَار ﴿يَصِدُّونَ﴾ وَهِي قِرَاءَة ابْن عبّاس، وفسّره يَضِجُّون ويَعِجُّون»(٦).

وعلى هذا يكون المعنى واحدًا في القراءتين.

---

(١) العين: ٨٠/٧.

(٢) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣٧/٣، وانظر إعراب القرآن للنحَّاس: ٧٦/٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٤١٦/٤.

(٤) تاج اللغة وصحاح العربيَّة: ٤٩٥/٢.

(٥) المحرر الوجيز: ٦٠/٥، وانظر إعراب القرآن، للنحَّاس: ٧٦/٤.

(٦) تهذيب اللغة، مادة «ص د د».

- **الثاني:** أنَّ لكلِّ صيغةٍ معنى، فـ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد: يضجون، ويعجون، و«يَصُدُّون» بضم الصاد: يعرضون.

قال الزجَّاج: «ويجوز أن يكون معنى المضمومة يُعْرِضُونَ»، وذلك بعد قوله: «ومعناهما جميعًا يضجُّونَ»(١)، كما سبق أن ذكرت.

وذكر ابن عطيَّة: أنَّ ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد، بمعنى: يضحكون، و«يَصُدُّون» بضم الصاد، بمعنى: يعرضون(٢)، كما فرَّق عبيد القاسم بن سلام بينهما.

قال أبو جعفر: «وفرّق أبو عبيد القاسم بن سلام بينهما، فزعم أنَّ معنى «يَصِدّ»: يضجّ ومعنى «يَصُدّ»: من الصدود عن الحق، وزعم أنَّها لو كانت «يَصُدّ» بالضم، لكانت إذا قومك عنه يصدّون. وفي هذا ردّ على الجماعة الذين قراءتهم حجّة، وقد خالف بقوله هذا الكسائي، والفراء، والذي ذكره من الحجة ليس بواجب؛ لأنَّه يقال: صددت من قوله، أي: لأجل قوله، وعلى هذا معنى الآية... وقد يجوز أن يكون مع ذلك الصدود ضجيج»(٣).

فهنا يرد أبو جعفر النحَّاس كلام أبي عبيد بأمورٍ:

- **الأول:** أنَّه خالف الكسائي، والفرَّاء.
- **الثاني:** أنَّ في كلامه رد على الجماعة الذين قراءتهم حجة، فالقراءة بالضم متواترة، قرأ بها نافع، وابن عامر، والكسائي، وهي قراءة علي بن أبي طالب، والحسن، والأعمش، وخلف.
- **الثالث:** أنَّ قوله: «لكانت إذا قومك عنه» ليس بواجبٍ؛ لأنَّه يقال صدد من قوله، أي: لأجل قوله.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤١٦.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٦٠.

(٣) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٤/٧٧.

كما ذكر لكل كلمة معنى اللحياني، حيث نقل ابن منظور عنه: «صَدَّ يَصِدُّ صَدًّا: اسْتَغْرَب ضَاحِكًا. وصَدَّ يَصِدُّ صَدًّا: ضَجَّ وعَجَّ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿*وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾، وَقُرِئَ: «يَصُدُّون»، فَيَصِدُّون يَضِجُّون ويَعِجُّون كَمَا قدَّمنا، ويَصُدُّون: يُعْرِضون، وَاللَّهُ أَعلم»(١).

وكذا ذكر الزمخشري، حيث قال: «﴿يَصِدُّونَ﴾: ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحًا وضحكًا بما سمعوا من إسكات رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بجدله، و«يَصُدُّون»– بالضم– فمن الصدود، أي: من أجل هذا المثل يصدّون عن الحق، ويعرضون عنه»(٢).

ويرى البحث أنَّ المعنى العام واحد، وهو الإعراض الذي يصاحبه جلبة، وضجيجًا، واستغرابًا، وضحكًا، فقد ذهب كبار العلماء إلى اتحاد المعنى كالخليل، والفرَّاء، والكسائي، والزجَّاج.

ملاحظات:

١– جاءت قراءة النخعي موافقة لما عليه ابن عامر، ونافع، والكسائي، فالقراءة متواترة متصلة السند، وقد قرأ بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢– للقراءة وجه صحيح من العربيَّة، وتتفق –في رأي الباحث– مع قراءة حفص عن عاصم، وباقي السبعة في المعنى، وهذا ما ذهب إليه كثيرٌ من العلماء.

٣– التعاقب بين الضمَّة «يَصُدُّون» والكسر ﴿يَصِدُّونَ﴾ له نظائر في العربيَّة.

٤– اتَّفقت القراءتان في عدد المقاطع ونوعها.

---

(١) لسان العرب مادة «ص د د».

(٢) الكشاف، للزمخشري: ٤٩٣/٣.

الضم مقابل الكسر للراء في ﴿ وَٱلرُّجۡزَ ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾[1].

فقد قرأ بضم الراء ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ النخعي[2]، كما قرأ بها حفص، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن محيص، والحسن من الأربعة عشر[3]، وكذا قرأ بالضم مجاهد، والسلمي، وابن وثاب، وقتادة، وابن أبي إسحاق، والأعرج[4].

وأمَّا باقي الأربعة عشر غير ما سبق منهم فقد قرأوا بالكسر[5].

التوجيه للقراءتين:

ذكر علماء اللغة والتفسير عدَّة معانٍ للكلمة، فقال الخليل: «﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ بكسر الراء وضمِّها وهما واحدٌ، ويُراد به الصنم»[6].

وذكر الزجَّاج أنَّ الرجز في اللغة بمعنى: العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾[7]، وأوَّل قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ أي: ما يؤدي إلى عذاب الله فاهجره. وذكر أنَّها قرئت بكسر الراء وضمها، ومعناهما واحد، وَتَأْوِيلُهما: اهجر عبادة الأوثان[8].

---

(١) سورة المدثر الآية (٥).

(٢) نسبت القراءة للنخعي في البحر المحيط: ٣٢٦/١٠، وتفسير ابن عطية= المحرر الوجيز: ٣٩٣/٥.

(٣) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٥٧١/٢، والدر المصون: ٣٥٣/١٠ وغيرهما.

(٤) انظر البحر المحيط: ٣٢٦/١٠، وتفسير ابن عطيَّة: ٣٩٣/٥ وغيرهما.

(٥) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٥٧١/٢، وراجع حجَّة القراءات، لابن أبي زرعة لتقف على قراءة القراء السبع في صـ٧٢٣، والحجة لأبي علي الفارسي: صـ٦٥٩ وغيرهما.

(٦) العين، للخليل: ٦٦/٦.

(٧) سورة الأعراف من الآية (١٣٤).

(٨) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٢٤٥/٥، وانظر كذلك زاد المسير: ٣٦٠/٤، وحجة القراءات: صـ٧٣٣.

كما ذكر الفرَّاء القراءتين، وتفسير مجاهد للرجز بأنَّه الأوثان، وتفسير الكلبي بأنَّه العذاب، وقال: «ونرى أنَّهما لغتان، وأنَّ المعنى فيهما واحدٌ»(١).

وعن أبي عبيدةَ: «الضمُّ أفشَى اللغتَيْن، وأكثرُهما»(٢).

وذكر صاحب الإتحاف أنَّ ضمَّ الراء لغة الحجاز، وكسرها لغة تميم(٣)، لكن أبا حيَّان ذكر أنَّ قراءة الجمهور «الرِّجْز»، وهي لغة قريش(٤)، وهنا أجد تناقضًا بين ما ذكره صاحب الإتحاف من أنَّ ضمَّ الراء لغة الحجاز، وبين ما ذكره أبو حيَّان من أنَّ الكسر لغة قريش.

وأرى أنَّ ما ذهب إليه صاحب الإتحاف هو الأجدر بالقبول؛ فقد نسب أبو حيَّان الضمَّ في موطنٍ آخر لبني الصعدات، حيث قال: «الرِّجْزُ: الْعَذَابُ، وَتُكْسَرُ رَاؤُهُ وَتُضَمُّ، وَالضَّمُّ لُغَةُ بَنِي الصعدات، وقد قرئ بِهِمَا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ»(٥)، يقصد قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾.

وذكر د/ ضاحي أنَّه قد بحث عن هؤلاء في كتب الأنساب، فلم يهتدِ إليهم، واحتمل أن يكون المقصود ببني الصعدات: أهل الصعود، أي: أهل العالية، وهم حجازيون(٦). فلعلَّ ما جاء من نسبة أبي حيَّان الكسر لقريش من قبيل السبق، أو السهو.

وفرَّق بعض العلماء بين النطق بالكسر، والنطق بالضم في المعنى، حيث ذكر بعضهم أنَّ الرِّجز بالكسر لِلْبَيْنِ، وَالنَّقَائِصِ، وَالْفُجُورِ، والعذاب، وَالضَّمُّ

(١) معاني القرآن للفراء: ٣/٢٠٠.
(٢) انظر الدر المصون: ١٠/٣٥٣.
(٣) الإتحاف: ٢/٥٧١.
(٤) البحر المحيط: ١٠/٣٢٦، وروح المعاني: ١٥/١٣٣.
(٥) البحر: ١/٣٥٢.
(٦) لغة تميم، د/ ضاحي عبد الباقي: صـ١٩٥، ١٩٦.

لِصَنَمَيْنِ أَسَافٌ وَنَائِلَةُ، ولِلْأَصْنَامِ عُمُومًا. وقيل: الرُّجْزُ: الْإِثْمُ، وقيل: العذاب أيضًا، وقيل: الوعيد، وقيل: الوثَن(١).

وقد ذكر بعض العلماء المعاني السابقة للرجز دون فرقٍ بين كون الراء مكسورةً أو مضمومة(٢).

ملاحظات:

١- أنَّ القراءتين سبعيَّتيْن، فقد قرأ بهما السبعة.

٢- الأولى أنَّه لا فرق بين القراءة بالكسر، أو الضم في المعنى، فهما لغتان بمعنى واحدٍ كما ذهب إلى ذلك كثيرٌ من العلماء، ولا أعتقد أنَّ العرب كانوا ينطقون اللفظ بنطقين أحدهما: بكسر رائه، والآخر بضمها؛ وذلك بسبب اختلاف المعنى؛ لأنَّ تعدد المعنى عن طريق التطور المجازي، واكتسابه دلالات جديدة، ليس مسوغًا لتغيير حركة الكلمة، وهذا شأن العرب في كل الألفاظ التي أخذت معنًى جديدًا(٣)، أمَّا مرجع الاختلاف في النطق فلا يعدو أن يكون قبليًّا، أي: أنَّ الضمَّ خاصٌّ بقوم، والكسر نهج آخرين، واختلاف النطق في آية عن غيرها من الآيات مرده أنَّ كلَّ قارئٍ من الأئمَّة قرأ على جماعة، ثمَّ اختار لنفسه قراءة(٤).

٣- أنَّ التبادل بين الكسر والضم ليس له أثر في التغيير المقطعي للكلمة، فهو إبدال حركة بأخرى.

---

(١) راجع هذه المعاني في البحر المحيط: ٣٢٦/١٠، وفتح القدير، للشوكاني: ٣٨٩/٥، وتفسير ابن عطيَّة: ٣٩٣/٥، وزاد المسير: ٣٦٠/٤، والدر المصون: ٥٣٥/١٠، وروح المعاني: ١٣٣/١٥ وغيرها.

(٢) انظر زاد المسير: ٣٦٠/٤.

(٣) انظر لغة تميم، د/ ضاحي عبد الباقي: صـ١٩٥.

(٤) انظر الإبانة: صـ٤٥.

٤- أنَّ لغات القبائل لا تسير على نطق واحد في تطورها، فقد نسب الضم للحجازيّين، وهم حضر، والأولى أن يكون نطقهم بالكسر، ونسب الكسر لتميم، وهم بدو يتناسب معهم النطق بالضم؛ نظرًا لخشونتهم، وبداوتهم.

٦- الياء مقابل الواو في لفظ ﴿ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ (١).

حيث قرأ الجمهور ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾(٢) بالواو، بينما قرأ النخعي «االقيَّام» وهي قراءة عمر بن الخطَّاب، وعثمان بن عفَّان، وابن مسعود -رضي الله عنهم- والأعمش، وأصحاب عبد الله، وزيد ابن علي، وجعفر بن محمد، وأبي رجاء بخلاف، ورويت عن النبي ﷺ(٣).

التوجيه:

﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ من الكلمات التي تعدَّدت معانيها، وفسَّرها العلماء بتأويلاتٍ كثيرةٍ منها:

---

(١) سورة البقرة من الآية (٢٥٥)، وسورة آل عمران من الآية (٢).

(٢) انظر الإتحاف: ٤٦٨/١، ومعاني القرآن، للفرَّاء: ١٩٠/١، والبحر المحيط: ٢٠٨/٢، وغيرها من الكتب.

(٣) انظر المحتسب، لابن جني: ١٥١/١، ونسبت في البحر: ٦٠٨/٢ في الآية (٢٥٥) من البقرة للنخعي، كما نسبت لابن مسعود، وابن عمرن وعلقمة، والأعمش، وفي فتح القدير: ٣١١/١ نسبت للنخعي،= =وابن مسعود، وعلقمة، والأعمش، في سورة البقرة (٢٥٥)، ونسبت في ٣٥٨/١ الآية (٢) من آل عمران لجماعة من الصحابة (عمر، وأبي بن كعب، وابن مسعود)، وفي مختصر شواذ القراءات: صـ٢٥ نسبت لعمر بن الخطَّاب، وفي معاني القرآن للفراء: ١٩٠/١، قرأها عمر، وابن مسعود، وكذا في معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٧٣/١، وفي الإتحاف: ٤٦٨/١، عن المطوعي، وفي إعراب القرآن، للنحَّاس: /١٤٣، لعمر بن الخطَّاب، وفي مصحف ابن مسعود «الحي القيِّم»، وفي الدر المصون: ٥٤١/٢، قراءة ابن مسعود، والأعمش «القيَّام»، وقرأ علقمة: «القيِّم».

أنَّه الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بما يجب له، والْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، والْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ الْخَلْقِ وَحِفْظِهِ، وَقِيلَ: الْعَالِمُ بِالْأُمُورِ، والَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يُحَوَّلُ، وقيل: الدائمُ الوجود، وقيل: الَّذِي لَا يَبْلَى، وقيل: الذي لا ينام(١). وهذه الأقوال يقارب بعضها بعضًا.

أمَّا «القيَّام» فقد ذكر ثَعْلَب عَن ابْن الأعرابيّ أَنه قَالَ: القَيّوم والقَيّام والمدبّر وَاحِد. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق: القيّوم والقَيّام فِي صفة الله: القائمُ بتدبيرِ أَمر خلقِه فِي إنشائهم، ورِزقهم، وعِلمِه بأمكنتهم(٢).

وقال الفرَّاء: «وصورة القيُّوم: الفَيْعُول، والقيَّام الفَيْعَال، وهما جميعًا مدح»(٣)، فالكلمتان بمعنًى واحدٍ، وهما لغتان كما سيوضّح البحث.

أصل الكلمة:

﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ أَصْلُهُ قَيْوُومُ عَلَى وَزْنِ فَيْعُولُ، اجْتَمَعَتِ الْيَاءُ وَالْوَاوُ، وَسَبَقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسُّكُونِ فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً وَأُدْغِمَتْ فِي الْيَاءُ، فصارت «قيُّومًا»(٤).

وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: «قَيّم وزنُه فَيْعل، وَأَصله قَيْوِم، فَلَمَّا اجْتمعت الْوَاو وَالْيَاء وَالسَّابِق ساكنٌ أبدَلوا مِن الْوَاو يَاءً، وأَدْغَموا فِيهَا الْيَاء الَّتِي قَبلَهَا، فصارتا يَاءً مشدَّدة»(٥).

إذن: «قيُّوم»، «قيّم» أصلهما واحدٌ، ونظامهما في القلب واحد أيضًا، وأمَّا «القيَّام» فَيْعَال من قام يقوم؛ لأنَّ الله –تعالى– هو القيّم على كلِّ نفسٍ...،

---

(١) انظر أقوال المفسرين في البحر المحيط: ٦٠٨/٢، وفتح القدير: ٣١١/١، والدر المصون: ٥٤١/٢ وغيرها. وانظر المعاني في لسان العرب «قوم»، والتهذيب: ٢٦٨/١، ٢٦٩.

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري: ٢٦٨/٩.

(٣) معاني القرآن، للفرَّاء: ١٩٠/١.

(٤) إعراب القرآن ومعانيه للزجَّاج: ٣٨٤/١، وانظر تهذيب اللغة، للأزهري: ٢٦٩/٩، وانظر البحر المحيط: ٦٠٨/٢، وفتح القدير: ٣١١/١ وغيرها.

(٥) تهذيب اللغة، للأزهري: ٢٦٩/٩، ولم أقف على ما ذكره في الكتاب لسيبويه.

وأصله: القيْوَام، التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون، قلبت الواو ياءً، وأدغمت فيها الياء، فصارت «القيَّام»، ومثله قولهم: «ما بالدار ديَّار»، وهو فَيْعَال من «دار يدور» وأهل الحجاز يقولون للصَّوَّاغ: الصَّيَّاغ، فعلى هذا ينبغي أن يحمل... وأما «القَيِّم» فَفَيْعِل من قام يقوم بأمره، وهو من لفظ «قيَّام» ومعناه... و«القيوم» قراءة الجماعة، فَيْعُول من هذا أيضًا، ومثله الدَّيُّور في معنى الدَّيَّار[1].

وقد سبق قول الفرَّاء: «وصورة القيُّوم: الفَيْعُول، والقيَّام الفَيْعَال، وهما جميعًا مدح»[2].

إذًا: فالقيُّوم على قراءة الجمهور، والقيَّام على قراءة النخعي، والقيِّم على قراءة علقمة، وروي عن ابن مسعود كلها بمعنى واحد، والإبدال بين الواو والياء ظاهرة لغويَّةٌ تسمَّى بالمعاقبة.

توضيح الظاهرة:

التعاقب أو المعاقبة بين الواو والياء ظاهرة حظيت باهتمام اللغويّين، وعلى رأسهم ابن جني، وقد وضَّح أنَّها تحدث لقصد الخفَّة، وذلك في قوله: «قلب الواو ياء لم يكن عن قوة، واستحكام علَّة، وإنَّما هو لإيثار الأخفِّ على الأثقل»[3].

كما ذكر ابن سيده ذلك في قوله: «وأرى كيفَ تَدخلُ الياءُ على الواوِ، والواوُ على الياءِ من غيرِ عِلَّةٍ؛ إمّا لمُعاقَبةٍ عِند القَبيلة الْوَاحِدَة من الْعَرَب، وإمَّا لافتراق القَبيلتين فِي اللُّغَتَيْن، فأمَّا مَا دَخَلَتْ فِيهِ الواوُ على الياءِ، والياءُ على الواوِ لعلَّةٍ، فَلَا حاجةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِه فِي هَذَا الْكتاب؛ لِأَنَّهُ قانونٌ من قَوانين التصريف، قَالَ الْأَصْمَعِي: سألتُ المفضَّل عَن قَول الْأَعْشَى:

---

(١) المحتسب، لابن جني: ١/١٥١، وانظر إعراب القرآن ومعانيه، للزجَّاج: ١/٣٨٤.
(٢) معاني القرآن، للفرَّاء: ١/١٩٠.
(٣) الخصائص، لابن جني: ١/٣٥٠.

لَعَمْري لَمَنْ أَمْسَى من القومِ شاخِصًا لقد نالَ خَيْصًا من عُفَيْرةَ خائِصا[1]

فَقلت: مَا معنى خائصًا؟ فَقَالَ: أُراه من قَوْلهم: فلانٌ يُخَوِّص العطاءَ فِي بَني فلانٍ: أَي يُقَلِّلُه،... قلت: كَانَ يجب أَن يَقُول لقد نَالَ خَوْصًا، إِذْ هُوَ من قَوْلهم: هُوَ يُخَوِّص العَطاء فَقَالَ: هُوَ على المُعاقَبة»[2].

إذًا: المعاقبة ظاهرةٌ يقصد منها التخفيف بالإبدال، وليس لعلةٍ تصريفيَّة، وأنَّها مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات.

نسبة الظاهرة:

الأكثر فيما تعاقب عليه الياء والواو من كلمات أن نسب النطق بالياء لأهل الحجاز، وبالواو لتميم، ففي توجيه قراءة «القيَّام» ذكر ابن جني أنَّ أهل الحجاز يقولون: للصَّوَّاغ: الصَّيَّاغ[3].

وقال الفرَّاء –في القيَّام–: «وأهل الحجاز أكثر شيء قولًا: الفيعال من ذوات الثلاثة. فيقولون للصوَّاغ: الصَّيَّاغ»[4].

ويؤيِّد نسبة النطق بالياء للحجازيِّين قراءة «القيَّام»، حيث قرأ بها عمر بن الخطَّاب، وعثمان بن عفَّان رضي الله عنهما كما سبق أن ذكرت، فهما قرشيَّان من أهل الحجاز، وكذا ما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللهُمَّ لَكَ

(١) من الطويل، للأعشى في ديوانه: صـ٩٩، بيروت للطباعة سنة ١٤٠٤هـ= ١٩٨٣م، وانظر اللسان مادة «شخص»، والمخصص لابن سيده: ١٩/١٤، طبعة دار الآفاق الجديدة، والشاخص: الذي يفتح عينيْه ولا يطرف، والأخيص: الذي إحدى عينيه صغيرة والأخرى كبيرة، وعفيرة: تصغير ترخيم لأعفر، وهو الغبرة ولون التراب.

(٢) المخصص، لابن سيده: ١٩/١٤.

(٣) المحتسب، لابن جني: ١٥١/١.

(٤) معاني القرآن، للفرَّاء: ١٩٠/١.

الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...»[١].

وهو قرشيٌّ أيضًا، وقد تأثروا قراءةً وروايةً بلهجة قومهم، وكذا «صوَّام» عند الحجازيِّين: صيَّام[٢].

ونطق الحجازيون: قلنسية، وبالواو عند تميم قلنسوة، وقالوا: قنوة في مقابل قنية عند أهل الحجاز[٣].

ويقول الحجازيُّون للمواثر: المياثر، وأنشد أعرابيٌّ:

حِمَى لا يحلُّ الدَّهْرُ إلَّا بإذْنِنَا وَلَا نَسْأَلُ الأَقْوَام عقد المَيَاثِقِ[٤][٥]

المياثق معاقبة للموثق.

والملاحظ أنَّ الحجازيِّين مالوا إلى النطق بالياء، بينما مال التميميُّون إلى النطق بالواو؛ وذلك لأنَّ الواو أشد وأفخم نطقًا من الياء إذ عند النطق بها «ينضم لها – الواو – معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت»[٦]، بخلاف الياء «التي تنطق بتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فيجري الصوت متصعدًا، والأضراس سفلًا وعلوًا قد اكتنفت جانبي اللسان»[٧].

فانضمام الشفتين عند النطق بالواو جعلها أثقل من الياء، فاحتاجت إلى جهد أكثر؛ لذا مال الحجازيون إلى النطق بالياء؛ لأنَّها تحتاج إلى جهد أقل،

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم النيسابوري، كتاب الصلاة، باب صلاة الليل: ٣٧٨/٢، طبعة مصورة من طبعة استانبول المحققة، وانظر مشارق الأنوار، للقاضي عياض: ١٩٤/٢.

(٢) إصلاح المنطق، لابن السكيت: صـ١٥٥، تحقيق: أ/ أحمد شاكر، أ/ عبد السلام هارون، دار المعارف، وانظر المخصص: ١٩/١٤.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: ٢٨٦/٢.

(٤) من بحر الطويل، لعياض بن درة الطائي في إصلاح المنطق، لابن السكيت: صـ١٥٥، والمخصص، لابن سيده: ١٩/١٤، ولسان العرب مادة «وثق».

(٥) إصلاح المنطق: صـ١٥٥.

(٦) سر صناعة الإعراب: ٨/١.

(٧) السابق بتصرف: ٨/١.

وهذا يتناسب معهم؛ لأنَّهم حضر، بينما ناسب التميميون النطق بالواو إذ بهم يدور التفسير الصوتي لحدوث الإبدال.

عند دراسة مخرج الصوتين نجد من العلماء مَنْ جعله واحدًا قال الخليل: «الياء والواو والهمزة هوائيَّة لا يتعلَّق بها شيء»(١).

بينما يرى آخرون أنَّ الواو تخرج من الشفتين، وأنَّ الياء من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى(٢).

ومن القدماء من لاحظ أنَّ مخرج الواو لا يقتصر على الشفة «لكنَّها تهوى فِي الْفَم حتّى تتّصل بمخرج الطاءِ وَالضَّاد، وتتفشَّى حتّى تتّصل بمخرج اللَّام، فَهَذِهِ الاتّصالات تقرّب بعض الْحُرُوف من بعضٍ، وإن تراخت مخارجها»(٣).

ويرى المحدثون: أنَّ مخرج الواو من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، ويصحب ذلك استدارة الشفتين(٤)، وفي هذه الحالة يقترب مخرج الحرفين، فيسهل وقوع التعاقب بينهما، ولعلَّ ما يقوي ذلك أنَّهما يتَّحدان في كثيرٍ من الصفات، فهما مجهوران، ومتوسطان بين الشدَّة والرخاوة، فكان قرب المخرج مع الاتحاد في بعض الصفات سببًا في حدوث الإبدال.

يبقى أن نقول: إنَّ قراءة الجمهور ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ بالواو قراءة سبعيَّة متواترة، بينما عُدَّت قراءة النخعي «القيَّام» من القراءات الشاذَّة، فلم ترد في السبعة، فكل منهما يتكوَّن من ثلاثة مقاطع عند الوقف هي:

الـ	قيْ	يوم أو يام
ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح ص

(١) العين، للخليل بن أحمد: ٦٥/١، تحقيق: عبد الله درويش، طبعة العاني، بغداد.
(٢) راجع الكتاب لسيبويه: ٤٣٣/٤، وسر صناعة الإعراب: ٤٧/١ وغيرها.
(٣) انظر المقتضب للمبرد: ٣٣٠/١، تحقيق: محمد عبد الخالق عضمة.
(٤) الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس: صـ٤٣، طبعة ١٩٨٧م، الأنجلو المصرية.

المطلب الثاني

السكون بدلًا من الحركة (تخفيف الحركة بالحذف)

١- السكون مقابل الفتح:

السكون مقابل الفتح في ﴿رَغَدًا﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(١).

قرأ الجمهور ﴿رَغَدًا﴾ بالفتح -للراء- وروي عن النخعي ، وابن وثاب أنَّهما أسكنا العين(٢).

التوجيه:

الرغد في اللغة: الكثير الذي لا يعييك، والرَّغْدُ: سَعَةُ الْعَيْشِ، وَعَيْشٌ رَغَد ورَغِدٌ ورغِيد وراغِد وأَرغدُ مُخْصِبٌ رفِيهٌ غَزِيرٌ(٣)، وأرغد القوم: أَخْصَبُوا، وصاروا في عَيْش رغد. وأرغَدوا مواشيَهم: تركوها وسَوْمَها(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ وقعت كلمة ﴿رَغَدًا﴾ صفة لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أَيْ: أَكْلًا رَغَدًا، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ(٥).

وقراءة الجمهور ﴿رَغَدًا﴾ والنخعي، وابن وثاب «رَغْدًا» بإسكان العين لغتين بمعنى واحدٍ، ففي الصحاح: «عيشَةٌ رَغْدٌ ورَغَدٌ، أي: واسِعَةٌ طيّبةٌ»(٦).

---

(١) سورة البقرة من الآية (٣٥).
(٢) انظر القراءتين في الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٦/١، ٣٥٣، والبحر المحيط: ٢٥٠/١، وفتح القدير، للشوكاني: ٨/١، ونسبت القراءة للإسكان للنخعي فقط في روح المعاني: ٢٨٥/١، ومختصر شواذ القراءات: صـ١١، وبلا نسبة في الدر المصون: ٢٨١/١.
(٣) انظر المحكم، لابن سيده: ٤٦٤/٥، واللسان «رغد»، وفي العين: ٣٩٢/٤.
(٤) انظر الجمهرة: ٢٥٠/٢، والصحاح: ٤٧٥/٢، والمحكم: ٤٦٤/٥، واللسان «رغد».
(٥) انظر الكشاف: ٢٧٣/١، وتفسير القرطبي: ٣٤٦/١، ٣٥٣، وإعراب القرآن، للنحاس: ٤٦/١.
(٦) الصحاح: ٤٧٥/٢.

قَالَ أَبو بَكْرٍ: «فِي الرَّغْد لُغَتَانِ: رَغْد ورَغَد؛ وأَنشد –على لغة الإسكان–:

فَيَا ظَبْيُ كُلْ رَغْدًا هَنِيئًا وَلَا تَخَف فإِنِّي لَكُمْ جارٌ، وإِن خِفْتُمُ الدَّهرا(١)

وعلى اللغة المشهورة جاء قول امرئ القيس:

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمَنُ الْأَحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغَدْ(٢)

وقد نسبت لغة الإسكان لتميم.

قال أبو حيَّان: «وَتَمِيمٌ تُسَكِّنُ الْغَيْنَ. وَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ كُلَّ ثُلَاثِيٍّ حَلْقِيِّ الْعَيْنِ صَحِيحِ اللَّامِ يَجُوزُ فِيهِ تَحْرِيكُ عَيْنِهِ وَتَسْكِينُهَا، مِثْلَ: بَحْرٍ وَبَحَرٍ، وَنَهْرٍ وَنَهَرٍ، فَأُطْلِقَ هَذَا الْإِطْلَاقُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ مَا وُضِعَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى فَعَلٍ بِفَتْحِ الْعَيْنِ لَا يَجُوزُ فِيهِ التَّسْكِينُ نَحْوَ: السَّحَر»(٣).

ويرد على أبي حيَّان بأنَّ لتميم تفريعات على «فَعِل» مثل: «فَخِذ» حلقي العين، وليس «فَعَل» والتفريعات أربع هي:

١– «فَعِل»: بفتح فكسر على الأصل «فَخِذ».

٢– «فِعِل» بكسر الفاء والعين «فِخِذ».

٣–بكسر الفاء وسكون العين بعد نقل حركتها إلى الفاء قبلها «فِخْذ».

٤– «فَعْل» بفتح فسكون، وهذا يستوي فيه ما هو حلقي العين، مثل: «فَخْذ»، وما هو غير حلقي العين مثل: «تَكْد»(٤)، والتخفيف بالإسكان نطق لتميم، وبكر بن وائل(٥).

وعليه فقراءة الفتح، وقراءة الإسكان في «رَغَد» بمعنى واحدٍ، وحدث حذف لحركة العين تخفيفًا، وصارت الكلمة عند الوقف مكونة من مقطع صوتي

---

(١) لسان العرب «رغد»، والبيت من الطويل، ولم أقف على قائله.

(٢) البيت من الرمل، لامرئ القيس في ديوانه، وبلا نسبة في تفسير القرطبي: ٣٤٦/١.

(٣) البحر المحيط: ٢٥٠/١، والدر المصون: ٢٨١/١.

(٤) انظر هذه التفريعات في الكتاب: ١٠٧/٤ وما بعدها، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ٣٣٨/٢.

(٥) الكتاب: ١١٣/٤.

مغلق (ص ح ص) عند الوقف بعد أن كانت مكونة من مقطعيْن: الأول قصير مفتوح (ص ح) (ر)، والثاني (غد) (ص ح ص) عند الوقف أيضًا.

ويلاحظ:

أن قراءة النخعي شاذة حيث لم ترد على ألسنة السبعة المتواترةُ قراءتهم وكذا العشرة .

جاءت قراءة النخعي موافقة للغة تميم حيث يميلون إلى التسكين وقد نسب أبو حيان الكسر لهم.

السكون مقابل الفتح في لفظ (أمنةً)

من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[2].

قرأ الجمهور ﴿أَمَنَةً﴾ بالفتح للميم، وقرأ النخعي، وابن محيص «أمْنَة» بسكون الميم[3].

التوجيه:

الْأَمَنَةُ: الْأَمْنُ، قَالَهُ: ابْنُ قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ. وَفَرَّقَ آخَرُونَ فَقَالُوا: الْأَمَنَةُ تَكُونُ مَعَ بَقَاءِ أَسْبَابِ الْخَوْفِ، وَالْأَمْنُ يَكُونُ مَعَ زَوَالِ أَسْبَابِهِ.

والمعنى: أنَّ في الآيتين امْتِنَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِأَمْنِهِمْ بَعْدَ الْخَوْفِ، وَالْغَمِّ، بِحَيْثُ صَارُوا مِنَ الْأَمْنِ يَنَامُونَ. وَذَلِكَ أَنَّ الشَّدِيدَ الْخَوْفَ لَا يَنَامُ.

فـ﴿أَمَنَةً﴾ بالفتح للميم مصدر بمعنى: الأمن، أَوْ جمع كبار وَبَرَرَةٍ[4]، و«أمْنَة» بسكون الميم بمعنى: الأمن، فتشتركان في كونهما مصدرًا، وكلامها للمرة، ويتفرد ﴿أَمَنَةً﴾ بكونها جمع.

وقال أبو الفتح –ابن جني–: «روينا عن قطرب أنَّه قال: الأَمْنة: الأمن، والأَمَنَة بفتح الميم: أشبه بمعاقبة الأمن، ونظير ذلك قولهم: الحبَطَ، والحبَجَ، والرَّمَث، كل ذلك في أدواء الإبل. فلمَّا أسكنوا العين جاءوا بالهاء فقالوا: مَغِل

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١٥٤).

(٢) سورة الأنفال: من الآية (١١).

(٣) نسب القراءة للنخعي ابن جني في المحتسب: ١٧٤/١، وأبو حيان في البحر المحيط: ٨٥/٣، ٢٨٢/٥، والسَّمين الحلبي في الدر المصون: ٤٤/٣، والقراءة لابن محيص وغيره في الإتحاف: ٧٧/٢، ومختصر شواذ القراءات، لابن خالويه: صـ٢٧، وزاد المسير: ١٩٢/٢، ومفاتيح الغيب: ١٥٤/٨، ٤٥٥/١٣، والكامل للهذلي وغيرها.

(٤) انظر البحر المحيط، والدر المصون: ٤٤/٣.

مَغْلَة، وحَقِل حقلة، وقد أفردنا بابًا في كتاب الخصائص لنحو هذا، وهو باب في ترافع الأحكام»[1].

فيفهم من كلام ابن جني أنَّهما بمعنى: الأمن، ثم ذكر نظائره.

ويلاحظ الآتي:

١- لم ترد (أَمْنةً) بإسكان الميم في قراءة الجماعة أو العامة فهي قراءة شاذة لم يقرأ بها واحد من السبعة أو العشرة المتواترةُ قراءتهم وذكرت في كتب الشواذ منها المحتسب ومختصر شواذ القرآن.

٢-أثرت القراءة بالإسكان في مقاطع الكلمة حيث حذف منها حركة إذًا ف(أَمَنة) تتكون من ثلاثة مقاطع عند الوقف: (ص ح+ ص ح+ ص ح ص)، بينما تتكون (أَمْنة) من مقطعين: (ص ح ص+ ص ح ص).

٢- السكون مقابل الضم

السكون مقابل الضم في ﴿نُزُلًا﴾

من قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾[2].

قرأ الجمهور على ضم الزاي ﴿نزل﴾، وقرأ الحسن، والأعمش، والنخعي بسكونها[3].

التوجيه:

النُّزُلُ، والنُّزْلُ: مَا يُعَدُّ لِلنَّازِلِ مِنَ الضِّيَافَةِ وَالْقِرَى، وقيل: النُّزُلُ الثَّوَابُ، وَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾[4].

---

(١) انظر المحتسب:١/١٧٤.

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٩٨).

(٣) انظر نسبة قراءة الإسكان للنخعي في البحر المحيط: ٣/٥٨٣، والدر المصون: ٣/٥٤٧، والجامع لأحكام القرآن: ٢/١٦٦١، وانظر كذلك إعراب القرآن للنحاس: ١/١٩٥، والكشاف للزمخشري: ١/٤٩١، ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه: صـ٣٠ وغيرها.

(٤) سورة آل عمران من الآية (١٩٥).

والقراءتان: ﴿نُزُلًا﴾، و«نُزْلًا» بمعنى واحدٍ، وهو ما سبق بيانه، وهما لغتان، وما عليه الجمهور من القراء هي اللغة المشهورة، وعلى اللغة الثانية جاء قول الشَّاعِرِ:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ بِالْجَيْشِ خَافَنَا جَعَلْنَا الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ لَهُ نُزْلَا(١)

ولغة التسكين تخفيف من ثقل الضمَّتين، وتنسب لأهل الحجاز، بينما تنسب لغة الضم لبني أسد.

قال النحَّاس: «نُزْلًا» بإسكان الزاي، وهي لغة الحجاز، وبنو أسد يثقلون»(٢).

يلاحظ الآتي:

١- قراءة النخعي شاذة فلم ترد على ألسنة السبعة أو العشرة.

٢- أثر الإسكان في مقاطع الكلمة فـ﴿نُزُلًا﴾ عند الوقف تتكون من ثلاثة مقاطع هي:

(ص ح+ ص ح+ ص ح ح)، بينما تتكون قراءة النخعي من مقطعين :(ص ح ص+ ص ح ح).

«حُرْمٌ" بالسكون في مقابل ﴿حُرُمٌ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾(٣).

فقد قرأ الجمهور ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ بضم الراء، وقرأ الحسن، وإبراهيم، ويحيى بن وثاب «وأنتم حُرْمٌ» بسكون الراء(٤).

---

(١) من الطويل، نسب لأبي الشعراء الضبي في الكشاف للزمخشري: ٤٩١/١، والدر المصون: ٥٤٧/٣، وبلا نسبة في البحر المحيط: ٤٨٣/٣.

(٢) إعراب القرآن، للنحَّاس: ١٩٥/١، وانظر الجامع لأحكام القرآن: ١٦٥٩/٢.

(٣) سورة المائدة من الآية (٩٥).

(٤) انظر المحتسب، لابن جني: ٢٠٥/١، وتفسير القرطبي: ٢١٣٥/٣، وفتح القدير، للشوكاني: ٧/٢، والدر المصون، للسَّمين الحلبي: ١٨٦/٤.

التوجيه:

في الآية الكريمة ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ نهي وتحريم للصيد وقت الْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ أو الْعُمْرَةِ، يُقَالُ: رَجُلٌ حَرَامٌ وَقَوْمٌ حُرُمٌ إِذَا أَحْرَمُوا بِالْحَجِّ، والحَرامُ: نَقِيضُ الْحَلَالِ، وَجَمْعُهُ حُرُمٌ، وحُرْم، فـ«حُرْمٌ» لغة في «حُرُم»(١).

فقراءة النخعي، والحسن، وابن وثاب بالإسكان للراء بمعنى لغة الضم ﴿حُرْمٌ﴾ وقد جاء على لغة الضم المشهورة قول الشاعر:

مَهادي النَّهارِ لجاراتِهِمْ وَباللَّيْلِ هُنَّ عليهِمْ حُرُمْ(٢)

ونسبت لغة الإسكان لتميم، فـ«حُرْمٌ» بِسُكُونِ الرَّاءِ، لُغَةٌ تَمِيمِيَّةٌ يَقُولُونَ فِي رُسُلٍ: رُسْلٌ وَفِي كُتُبٍ كُتْبٌ وَنَحْوَهُ(٣).

وذكر ابن جني إسكان «حُرْم» كأنَّ له مزية على إسكان كُتُب، وذلك أنَّ في الراء تكرارًا، فكادت تكون الراء الساكنة لما فيها من التكرير في حكم المتحركة لزيادة الصوت بالتكرير نحوًا من زيادته بالحركة، وكذلك الكلام في جِراب وجُرُب وسِراج وسُرُج، وكذلك القول فيما جاء عنهم من تكسير فرد على أفراد، فيه هذا المعنى الذي ذكرناه؛ وذلك أن التكرير في راء فرد كاد يكون كالحركة فيها، فصار «فَرْد» وإن كان فَعْلًا ساكن العين، كأنه فَعْلٌ محركها(٤).

وهذا المنهج التميمي متبعٌ في كل جمع تكسير على وزن «فُفُل»، حيث يبدأ في لغتهم بالمقطع المغلق، وعدم توالي الحركات، فـ«حُرُم» على «فُعُل» فتكون عند الوقف من مقطع مفتوح، وهو الحاء المضموم (ص ح) ، و(رم) وهو مقطع مغلق متوسط (ص ح ص).

---

(١) انظر تفسير القرطبي: ٣/٢١٣٥.

(٢) البيت من المتقارب، للأعشى في ديوانه، ولسان العرب «حرم».

(٣) المحتسب: ١/٢٠٥، وتفسير القرطبي: ٣/٢١٣٥، وفتح القدير: ٢/٧، والدر المصون: ٤/١٨٦.

(٤) المحتسب: ١/٢٠٥.

أمَّا على لغة تميم فمقطع مغلق من النوع الرابع (ص ح ص) (حُرْم).

ويؤيِّد هذا ما جاء في مواضع كثيرة من كتب اللغة، والتفسير، والقراءات، ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾[1]، حيث قرأ يحيى بن يعمر «بالرُّسْل» مخففة[2] على المنهج التميمي، وقرأ ذلك المطوعي «رسل» معرفة ونكر في كل ما جاء في القرآن[3].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾[4]، حيث قَرَأَ حَمْزَةُ، وَنَاسٌ مِنْهُمْ شُجَاعٌ، وَعَبَّاسٌ، وَالْأَصْمَعِيِّ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَنَاسٌ مِنْهُمْ خَارِجَةُ، وَكَرْدَمٌ، وَأَبُو خُلَيْد عَنْ نَافِعٍ، وَنَاسٌ مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَحَمَّادٌ، وَأَبَانُ عَنْ عَاصِمٍ: بِسُكُونِ الرَّاءِ، وَهِيَ لُغَةُ تَمِيمٍ، وَبَاقِي السَّبْعَةِ: بِضَمِّهَا[5].

ومع أنَّ القراءات القرآنيَّة قد في هذه الحالة باللغة التميميَّة، إلا أنَّنا وجدنا شعرًا تميميًّا يخالفها فها هو ذا لقيط بن زرارة، يقول:

إنَّ الشِّواءَ والنَشِيلَ والرُّغُفْ[6]

ومردُّ هذه المخالفة أنَّ الشعراء لم يكونوا يتقيَّدون في أشعارهم غالبًا بلغة قبائلهم، بل كانوا يسايرون اللغة المشتركة؛ لأنَّها السبيل إلى ذيوع أدبهم خارج نطاق القبيلة.

ولا يفوت أن أذكر أن قراءة النخعي شاذة لم ترد على ألسنة القراء المتواترةُ قراءتهم.

---

(١) سورة البقرة من الآية (٨٧).

(٢) مختصر شواذ القراءات: صـ١٥.

(٣) إتحاف فضلاء البشر: ٤٠٤/١، ٤٠٥.

(٤) سورة الواقعة من الآية (٣٧).

(٥) البحر المحيط، لأبي حيان: ٨٢/١٠.

(٦) للقيط بن زرارة في الكتاب: ٤٠٣/٣، والمخصص: ٦/٥، ٨٥/١٧، واللسان «نشل»، «رغف»، والنشيل: لحم بطبخ بلا تابل يخرج من المرق وينشل.

٣- السكون مقابل الكسر:

السكون مقابل الكسر في ﴿نَّحِسَاتٍ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾(١).

حيث قرأ الحرميان والبصريان «نَحْسَاتٍ» بإسكان الحاء، وكسرها الباقون(٢)، ونسبت القراءة بالإسكان أيضًا للنخعي، وعيسى، والأعرج(٣).

التوجيه:

نَحِسَ فهو نَحِسٌ، كفَرِحَ فهو فَرِحٌ، فهو صفة على فَعِل وفَعِلة على فعل بكسر العين، و﴿نَّحِسَاتٍ﴾ صفةٌ لأيَّام، وأنَّ معنى ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾: أيام مشؤمات، والجمعُ بالألفِ والتاءِ مُطَّرِدٌ في صفةِ ما لا يَعْقِلُ كأيَّامٍ معدوداتٍ(٤)، وهذا المعنى واضحٌ في قراءة الكسر.

أمَّا قراءة الإسكان، وهي ما عليها النخعي، فذكر العلماء فيها الآتي من الاحتمالات:

١- أنَّه مخفف من «فَعِل» في القراءة المتقدمة.

قال النحَّاس: «ويحتمل قراءة من قرأ «فِي أَيَّامٍ نَحْساتٍ» بإسكان الحاء أن يكون الأصل «نحسات»، ثمَّ حذف الكسرة فيكون كمعنى نحِسَات»(٥).

قال الأخفش: «وقال: «فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ» وهي لغة من قال «نَحْس»، و﴿نَّحِسَاتٍ﴾ لغة من قال «نَحِس»(٦).

---

(١) سورة فصلت من الآية (١٥).

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٢٥٧/٢، وانظر كذلك إعراب القرآن للنحَّاس: ٣٨/٤.

(٣) البحر المحيط: ٢٩٨/٩، والدر المصون: ٥١٩/٩، وروح المعاني، للألوسي: ٣٦٥/١٢.، والكامل في القراءات الأربعين، للهذلي: صـ٦٣٢.

(٤) راجع الدر المصون: ١١٩/٩.

(٥) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٣٨/٤.

(٦) معاني القرآن، للأخفش: ٥٠٦/٢، تحقيق: د/ هدى قراعة، نشر الخانجي بالقاهرة.

٢- يحتمل أن يكون مصدرًا وصف به اتساعًا ومبالغة، وذلك كرجلٍ عَدْلٍ. إلَّا أنَّ هذا يُضْعِفُه الجمعُ، فإنَّ الفصيحَ في المصدرِ الموصوفِ أَنْ يُوَحَّدَ، وكأنَّ المُسَوِّغَ للجمع اختلافُ أنواعِه في الأصل(١).

٣- يحتمل أن يكون صفةً مستقلَّةً على «فَعِل» بسكونِ العينِ، ولكن أهلَ التصريفِ لم يذكروا في الصفةِ الجائيةِ مِنْ «فَعِلَ» بكسرِ العين، إلَّا أوزانًا محصورةً ليس فيها «فَعْل» بالسكونِ فذكروا: «فَرِحَ فهو فَرِحٌ، وحَوِرَ فهو أحورُ، وشَبِعَ فهو شبعانُ، وسَلِمَ فهو سالمٌ، وبَلِي فهو بالٍ»(٢).

وأرى أنَّ الأوَّل هو الراجح، فهو مخفف من ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ وحذف الكسرة منه واحتجّ أبو عمرو للقراءة بالتسكين على إجماعهم بتسكين الحاء في قولهم: «نحس» وفي قوله جلّ وعزّ: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾(٣)(٤)، واختار أبو حاتم أيضًا القراءة بالإسكان لهذا(٥).

وردّ عليه أبو عبيد هذا الاحتجاج؛ لأنَّ معنى ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ في يوم شؤم وأنَّ معنى ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٍ﴾ في أيام مشؤومات، وانتصر النحَّاس لأبي عبيد(٦).

ففي قراءة النخعي حذف الساكن من الكلمة؛ ممَّا أدَّى إلى تعبير في تقطيعها الصوتي، واختلاف مقاطعها عن قراءة الفتح.

---

(١) الدر المصون: ٥١٩/١٩، وانظر الكشاف للزمخشري: ٤٤٩/٣.
(٢) انظر السابق: ٥١٩/٩، والبحر المحيط: ٢٩٨/٩، وروح المعاني: ٣٦٥/١٢.
(٣) سورة القمر من الآية (١٩).
(٤) إعراب القرآن للنحَّاس: ٣٨/٤.
(٥) انظر فتح القدير، للشوكاني: ٥٨٦/٤، وانظر الكامل في القراءات الأربعين: صـ٦٣٢.
(٦) انظر إعراب القرآن للنحَّاس: ٣٨/٤.

وتتكوَّن قراءة الفتح من مقطعيْن من النوع الأوَّل: القصير المفتوح (ص ح) (ن حـ)، ومقطع من النوع الخامس (ص ح ح ص) طويل مغلق، وذلك عند الوقف.

وتتكوَّن قراءة الإسكان من مقطعيْن:

- **الأول:** من مقطع من النوع الثالث المتوسط المغلق (ص ح ص) (ن ح).
- **الثاني:** مقطع ممن النوع الخامس طويل مغلق (سات) (ص ح ح ص).
- وافقت قراءة النخعي قراءة الحرميين والبصريين فهي قراءة متواترة

المطلب الثالث

الإتباع الحركي

أ- **فتح الميم للفعل** «يَعْلَمَ» مقابل الكسر في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾[1].

فقد قرأ الجمهور ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ بكسر الميم لالتقاء الساكنين، وقرأ النخعي، وابن وثاب بفتحها[2].

التوجيه:

جاءت قراءة الجمهور على المشهور في اللغة عند التقاء الساكنين، فيحرك الأول منها بالكسر، وهنا التقت الميم في ﴿يَعْلَمِ﴾ بلام التعريف في لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾، وهما ساكنان، الميم مجزومة بالسكون في الفعل المضارع بـ«لمَّا» فتحركت الميم لالتقائها بلام التعريف، وتحريكها بالكسر.

وأمَّا قراءة النخعي وابن وثاب «يَعْلَمَ» بفتح الميم فتخرج على أمرين:

- **الأول:** أنَّ فتحَها جاء إتباعًا لفتحة اللام قبلها[3]، ويساعد ذلك على تفخيم لفظ الجلالة. وهذا الإتباع الحركي أدَّى إلى تماثل حركة الميم لحركة اللام قبلها، ويسمى بالتأثير المقبل.
- **والثاني:** إرادةُ النونِ الخفيفةِ، والأصلُ: «ولَمَّا يَعْلَمَنْ» والمنفيُّ بـ«لَمَّا» قد جاء مؤكدًا بها[4].

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١٤٢).

(٢) انظر البحر المحيط: ٣٦٠/٣، وتفسير ابن عطية: ٥١٥/١، والدر المصون: ١٠/٣.

(٣) انظر السابق نفس الصفحات، وكذا روح المعاني للألوسي: ٢٨٥/٢.

(٤) انظر السابق.

وتوضيح ذلك: أنَّه أراد تأكيد النفي بنون التوكيد الخفيفة، وإذا اتصلت نون التوكيد بالفعل المضارع بُني على الفتح، ثم حذفت هذه النون، وبقي آخرُ الفعل مفتوحًا، وله نظائر في اللغة، من ذلك قول الشاعر:

لا تُهِينَ الفقيرَ عَلَّك أَنْ تَرْ كَعَ يومًا والدهرُ قد رَفَعَهْ[1]

وقول الآخر:

يَحْسَبُه الجاهلُ ما لم يَعْلما شيخًا على كُرْسِيِّه مُعَمَّمًا[2]

ملاحظات:

١- قراءة الجمهور قراءة متواترة تسير وفق المشهور في اللغة عند التقاء الساكنين بأن يحرَّك الأول منها بالكسر.

٢- قراءة النخعي قراءة شاذَّة، فلم يقرأ بها واحد من قراءة القراء السبعة، أو العشرة، وإن وافقت وجهًا من وجوه اللغة، إلا أنَّها ليست متواترة.

٣- لا أثر لقراءة النخعي في مقاطع الكلمة، وإن كان لها أثر في تفخيم اللام بدلًا من ترقيقها في لفظ الجلالة، حيث فتح ما قبل اللام، وهذا أثر أدائي وصوتي واضح.

ب- **الكسر للخاء مقابل الضم** في كلمة ﴿خُمُسَهُۥ﴾ من قوله تعالى:

﴿* وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[3].

فقد قرأ جمهور القرَّاء ﴿خُمُسَهُۥ﴾ ونسب أبو حيَّان للنخعي أنَّه قرأ «خِمْسَه».

---

(١) البيت للأضبط بن قريع السعدي، وهو الشاهد رقم (٤٧٦) في كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١١١/٤، وانظر البحر المحيط: ٣*٣٦٠، والدر المصون: ١٠/٣.

(٢) البيت من البسيط: ينسب في أوضح المسالك: ١٠٦/٤ لأبي حيان الفقعسي، وانظر الدر المصون: ١٠/٣.

(٣) سورة الأنفال من الآية (٤١).

قال أبو حيَّان: «قرأ النَّخَعِيُّ «فَلِلَّهِ خُمُسَهُ»، وَقَرَأَ الْحَسَنُ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو: «خُمْسَهُ» بِسُكُونِ الْمِيمِ، وَقَرَأَ النَّخَعِيُّ «خِمْسَهُ» بِكَسْرِ الْخَاءِ»(١).

التوجيه:

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ قراءة الجمهور لا تختلف في معناها عن ما نسبه أبو حيَّان للنخعي أنَّه قرأ «خِمْسَهُ» بكسر الخاء، وخرجت هذه القراءة على كسر الخاء إتباعًا لحركة ما قبلها، وهي هاء الجلالة مِنْ كلمة أخرى مستقلَّة، وهي كقراءة مَنْ قرأ «**والسَّمَاءِ ذَاتِ الحِبك**»(٢) بكسر الحاء إتباعًا لكسرةِ التاء من «ذات»، وَلَمْ يَعْتَدُّوا بِالسَّاكِنِ، وهو لام التعريف؛ لِأَنَّهُ حَاجِزٌ غَيْرُ حَصِينٍ(٣).

ولم ينسب هذه القراءة للنخعي غير أبي حيَّان، لكن نسبها للجعفي غير واحدٍ من العلماء، ولا أدري أوقع أبو حيَّان في سبق حين نسبها للنخعي أم لا؟

وقد علَّق السَّمين الحلبي على هذه القراءة بعد أن نسبها للجعفي بقوله: «ليت شعري، وكيف يَقْرأ الجعفي والحالةُ هذه؟ فإنَّه إنْ قرأ كذلك مع ضم الميم، فيكون في غاية الثقلِ؛ لخروجه مِنْ كسرٍ إلى ضم، وإن قرأ بسكونها وهو الظاهر، فإنَّه نقلها قراءةً عن أبي عمرو، أو عن عاصم»(٤).

وما يقال للجعفي يقال للنخعي إن صحَّت نسبة القراءة إليه، فإنَّ التماثل بإتباع الحركات يقتضي تخفيف النطق لا تثقيله، فتكون قراءة «خِمْسَهُ» بالانتقال من الكسر إلى الضم ثقيلة، أمَّأ إذا سكن الميم فتخف القراءة، ويكون قد أحدث في قراءته أمرين:

- **الأول:** إبدال حركة الخاء من ضم إلى كسر.

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيَّان: ٣٢٦/٥، سيتناول البحث قراءة «فلله» بحذف «أنَّ» في موضعها، ولم ينسب القراءة للنخعي إلا أبو حيَّان، ونسبها للجعفي ابن خالويه في مختصر شواذ القراءة: صـ٥٥، وكذا نسبها له صاحب الدر المصون: ٦٠٧/٥.

(٢) سورة الذاريات الآية (٧).

(٣) انظر البحر المحيط: ٣٢٦/٥، والدر المصون: ٦٠٧/٥.

(٤) الدر المصون: ٦٠٧/٥.

- **الثاني:** حذف حركة الميم بإسكانها.

فيجتمع في قراءته إبدال صائت بآخر مع حذف صائت، وتتأثَّر مقاطع الكلمة بهذا الحذف، وعليه تكون مقاطع الكلمة ﴿خُمُسَهُۥ﴾ في قراءة الجمهور مكونة من ثلاثة مقاطع عند الوقف، وقراءة الجعفي والنخعي مكونة من مقطعين عند الوقف، وبيانهما كالتالي:

- **أولًا:** قراءة الجمهور:

خُ	مُ	سَه
ص ح	ص ح	ص ح ص

- **ثانيًا:** قراءة النخعي:

خِمْ	سه
ص ح ص	ص ح ص

وكما هو ملاحظ أنَّ قراءة النخعي لم ترد عن السبعة، أو العشرة، فهي قراءة شاذَّة.

ج- النطق بالياء مقابل الواو، وذلك في لفظ «حُور» من قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾[1] من سورة الواقعة، وقد جاء في الآية الكريمة عدَّة قراءات منها: المتواتر، ومنها: الشاذ.

فقد قرأ جمهور القرَّاء ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ وسيأتي تفصيل ذلك في التوجه النحوي، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو جعفر بالجر فيهما

(١) سورة الواقعة الآية (٢٢).

عطفًا على ما قبله[١]، وقرأ إبراهيم بالجر أيضًا، إلا أنَّه قلب الواو ياءً «وَحِيرٍ عينٍ»[٢]، وقرأ عكرمة «وحُورًا عِينًا»[٣]، وسيأتي التفصيل في التوجه النحوي.

التوجيه:

المعنى واحد في كلٍّ، فقد فسرت اللفظة بالشديدات سواد العين. وهذا أحسن ما قيل في معناهن. والحور: البياض، ومنه الحوّاريّ، وقيل حورُ؛ لأنَّ العين تحار فيهن، والعين: العظيمات العيون[٤].

وقرأ إبراهيم النخعي كما قرأ حمزة، والكسائي بالجر على العطف، إلا أنَّه قلب الواو ياءً في «حور» إلى «حير».

ويطلق على هذا القلب القلب للإتباع، وهو أن تتبع الكلمة كلمة أخرى على وزنها ورويها، وهو أنواع، ومن أنواعه: أن تكون لكلٍّ واحدةٍ من الكلمتين معنًى مستقلًّا مثل: «حير عين»، فكل كلمة منهما لها معنًى، ومن أنواعه: أن تكونَ إحدى الكلمتين غَيْرَ واضحةِ المعنى ولا بينة الاشتقاق، وتأتي تأكيدًا للثانية[٥].

وهو باب واسع من أبواب اللغة يحتاج إلى تفصيل، وليس هذا موضعه، ويهمنا في هذا المقام توضيح القلب في القراءة، فقد حكى عن القرَّاء من

---

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٥١٥/٢.

(٢) تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز: ٢٤٣/٥، وانظر القراءة في البحر المحيط: ٨٠/١٠، والدر المصون، للسَّمين الحلبي: ٢٠٤/١٠، وروح المعاني، للألوسي: ١٣٨/١٤.

(٣) انظر المراجع السابقة ونفس الصفحات.

(٤) انظر إعراب القرآن، للنحَّاس: ٣٠٤/٤.

(٥) انظر الإتباع والمزاوجة، لابن فارس: صـ٢٩، تحقيق: الأستاذ/ كمال مصطفى، مطبعة السعادة، ١٣٦٦هـ= ١٩٤٧م، والصاحبي، لابن فارس أيضًا: صـ٤٥٨، تحقيق: الأستاذ/ السيد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، وغيرهما.

العرب مَنْ يقول: «حير عين» على الإتباع[1]، فجاءت قراءةُ «حِيْرٍ» لمجاورتها العين؛ وذلك لأنَّ الياءَ أخفُّ من الواو، ولذلك نظائر في اللغة كما ذكرت، مثل: أَخَذَه ما قَدُم وما حَدُث «بضم دال» حَدُث لأجل «قَدُم»، وإذا أُفْرِد منه فَتَحْتَ دالَه فقط[2].

وقولهم: خير المال سكة مأبورة، ومهرة مأمورة، ومأزورات غير مأجورات، فهمر مأزورات لمجاورتها لمأجورات، والأصل موزورات من الوز.

ملاحظات على قراءة النخعي:

١- جاءت قراءة النخعي مخالفةً لما عليه جمهور السبعة، وكذا العشرة، فليست من القراءات المتواترة.

٢- في قراءة النخعي قلب الواو ياءً بقصد التخفيف؛ وذلك لخفَّة الياء عن الواو في النطق.

٣- في القراءة إبدال صائت طويل بصائت آخر طويل؛ لذا لم يكن للقراءة أثر في تغيير مقاطع الكلمة عن قراءة الجمهور.

(١) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٤/٣٢٠.

(٢) الدر المصون: ١٠/٢٠٤.

المطلب الرابع

الحذف والزيادة

١-حذف إحدى الياءين بتخفيف الياء المشدَّدة من ﴿ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾ مقابل عدم الحذف

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾(١).

قرأ جمهور القرَّاء ﴿ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾ بتشديد الياء، وقرأ إبراهيم النخعي، وأبو بكر الثقفي «الحَوَارِيُونَ» بتخفيف الياء في جميع القرآن(٢)، وقرأ كذلك الجوني، والجحدري، وأبو حيوة(٣)، وذكر ابن خالويه أنَّها لابن عامر في روايةٍ(٤).

التوجيه:

ذكر علماء اللغة والتفسير للكلمة عدَّة معانٍ منها:

أنَّهم خاصة عِيسَى -عليه السلام-(٥)، وقيل: أَصْفِيَاؤُهُ، وقيل: الْبِيضُ الثِّيَابِ، والْقَصَّارُونَ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يُجَوِّدُونَ الثِّيَابَ، أَيْ: يُبَيِّضُونَهَا، وقيل: الصَّيَّادُونَ، قَالَ لَهُمْ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: أَلَا تَمْشُونَ مَعِي تَصْطَادُونَ النَّاسَ لِلَّهِ؟ فَأَجَابُوا.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: الْحَوَارُ النُّورُ، وَنُسِبُوا إِلَيْهِ لِمَا كَانَ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ سِيمَا الْعِبَادَةِ وَنُورِهَا(٦).

---

(١) سورة آل عمران من الآية (٥٢).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيَّان: ٣/١٧٤، والدر المصون: ٣/٢١٢، وذكر قراءة العامة بدلًا من الجمهور، ونسب ابن جني قراءة التخفيف للنخعي، والثقفي في المحتسب: ١/١٦٢.

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي: ١/٢٨٥.

(٤) مختصر شواذ القراءات: صـ٢٧.

(٥) انظر معاني القرآن، للفرَّاء: ١/٢١٨.

(٦) انظر البحر المحيط:

وقال الزجَّاج: «الحواريون: صفوة الأنبياءِ –عليهم السلام– الذين خلصوا وأخلصوا في التصديق»(١).

وكان الزبير يقال له: حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢).

و ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ على قراءة الجمهور يكون توجيهها ما سبق، أمَّأ قراءة التخفيف، أو حذف إحدى الياءين «الحَوَارِيُونَ»، **فذكر ابن جني قوله:** ظاهر هذه القراءة يوجب التوقف عنها، والاحتشام منها؛ وذلك لأنَّ فيها ضمة الياء الخفيفة المكسور ما قبلها، وهذا موضع تعافه العرب وتمتنع منه.

ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾(٣) وأصله العاديُون، فاستثقلت الضمَّة على الياء، فأسكنت وحذفت لسكونها وسكون الواو بعدها؟ فكان يجب على هذا أن يكون الحوارُون كالقاضُون، والساعون، إلا أنَّ هنا غرضًا وفرقًا بين الموضعيْن يكاد يقنع مثله، وذلك أنَّ أصل هذه الياء أن تكون مشدَّدة، وإنما خففت استثقالًا لتضعيف الياء، فلمَّا أريد فيها معنى التشديد، جاز أن تُحَمَّل الضمَّة تصورًا لاحتمالها إيَّاها عند التشديد، كما ذهب أبو الحسن في تخفيف «يستهزيون» إلى أن أخلص الهمزة ياءً ألبتة، وحَمَّلها الضمة تذكُّرًا لحال الهمز المراد فيها(٤).

فابن جني هنا يرى أن «الحَوَارِيُون» هكذا مخالف لنظام العرب في التعامل مع الياء المضمومة المكسور ما قبلها، فإنَّ العرب تستثقل ضمَّة الياء هذه، فتسكن الياء، ثمَّ تحذفها لسكونها، وسكون الواو بعدها، وذلك مثل: العادون، والقاضون، فإنَّ أصلها: «العاديون، والقاضيون»، فكان ينبغي أن يقال: «الحوارون».

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٤١٧/١.

(٢) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٨/١.

(٣) سورة المؤمنون من الآية (٧).

(٤) المحتسب: ١٦٢/١.

وإنَّما رأى فرقًا وغرضًا بين الموضعيْن، ففي «الحواريون» أصل الياء أن تكون مشدَّدة، وخففت استثقالًا لتضعيف الياء، والتشديد فيها مراد، فجاز أن تحمَّل الضمة مع التخفيف تصورًا لاحتمالها إيَّاها عند التشديد؛ لذا بقيت الياء مخففة مضمومة، وذكر أنَّ لها نظيرًا في تخفيف الحسن لـ«يستهزئون» بأن أخلص الهمزة ياءً، وحمَّلها الضمة تذكرًا لحال الهمزة المراد فيها.

وعليه فـ«الحوارِيُون» بالتخفيف تفيد ما تفيده ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ بالتشديد.

ثمَّ يقول: فإن قيل: فأي الياءَيْن حذف من الحواريين؟ قيل: المحذوفة هي أشبهها بالزيادة، وهي الأولى؛ لأنَّها بإزاء ياء العطاميس، والزناديق.

فإن قيل: فبالثانية وقع الاستثقال، فهلَّا حذفت دون الأولى؟ قيل: قد يُغيَّر الأول من المثلَيْن تخفيفًا كما يغيَّر الآخر، وذلك قوله:

يا ليتما أُمُّنا شالت نعامتها   أيما إلى جنة أيما إلى نار[(1)]

يريد: «أمَّا»[(2)].

ثمَّ يذكر دليلًا آخر على جواز حذف الياء في مثل هذا الموطن، بأنَّ الياء قد تحذف مع كونها مفيدة لمعنى النسب، فمن الأولى أن تخفف، وهي على لفظ النسب فقط، لا على حقيقته، فيقول: أنشدنا أبو علي وقرأته عليه أيضًا في نوادر أبي زيد:

بَكِّي بعينك واكف القَطْر   ابن الحوارِي العالي الذِّكْرِ[(3)]

---

(1) البيت من البسيط، للأحوص في خزانة الأد للبغدادي: ٢٨٦/١١، ٢٨٧/١١، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، وشالت نعامتها: ارتفعت جنازتها، وانظر المحتسب: ١٦٣/١ غير منسوب.

(2) المحتسب: ١٦٢/١، ١٦٣.

(3) من البسيط، لابن قيس الرقيات، في نوادر أبي زيد: صـ٢٠٥، والمحتسب: ١٦٣/١ غير منسوب.

يريد: الحوارِيّ. وقد خففت ياء النسب في غير موضعٍ، مع كونها مفيدةً لمعنى النسب، فكيف بها إذا كان لفظها لفظ النسب ولا حقيقة له هناك؟ ألا ترى أن الحواريَّ بمنزلة كرسي في أنَّه نسب لفظي، ولا حقيقة إضافة تحته؟[١].

وإلى التوجيه بجواز حذف إحدى الياءيْن ذهب أبو حيَّان[٢]، والسَّمين الحلبي[٣]، كما ذهب العكبري في أنَّه بالتخفيف فرارًا من ثقل التشديد في حرف العلَّة، والكسرة فيها والواو بعدها والياء المحذوفة هي الأولى[٤].

ولم أقف على نسبة للناطقين بالتخفيف إلا أنَّني أرى أن النخعي كان يميل في قراءته دائمًا إلى اللهجة التميميَّة، ويؤيِّد ما ذهب إليه د/ عبده الراجحي من أنَّ البدو يميلون إلى السهولة، والسرعة في الكلام، ومن هنا وقع الخذف[٥].

الدراسة المقطعيَّة لكلٍّ من القراءتين، وأثر الحذف في ذلك:

أولًا: قراءة الجمهور ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ بالتضعيف:

تتكوَّن الكلمة من خمسة مقاطع مرتبة كالآتي:

مقطع من النوع الثالث المتوسط المغلق، يليه مقطع من النوع الأول القصير المفتوح، بعده مقطع من النوع الثاني المتوسط المفتوح، يليه مقطع من النوع الثالث بعده مقطع من النوع الرابع الطويل المغلق، وبيانه كالتالي:

الـ	حـ	وا	ريـ	يون
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح ص

ثانيًا: قراءة النخعي ومَنْ معه «الحَوَارِيُونَ»:

(١) المحتسب، لابن جني: ١٦٣/١.
(٢) البحر المحيط، لأبي حيَّان: ١٧٤/٣.
(٣) الدر المصون: ٢١٢/٢.
(٤) إعراب القراءات الشواذ، للعكبري: ٣٢٢/١.
(٥) اللهجات العربيَّة في القراءات القرآنيَّة: صـ١٥٤.

تتكوَّن من خمسة مقاطع أيضًا: الأول والثاني والثالث، والخامس مثل قراءة الجمهور، ويختلف المقطع الرابع، فبدلًا من متوسط مغلق في قراءة الجمهور يصير قصيرًا مفتوحًا، وبيانه كالتالي:

الـ	حـ	وا	ر	يون
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح ص

ملاحظات على القراءتين:

١- جاءت قراءة الجمهور ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ بتشديد الياء على الأصل، وقراءة النخعي ومَنْ معه بالتخفيف من ثقل المضعف، حيث حذفت الياء الأولى، وبقيت الثانية المتحركة مع بقاء حركتها وهي الضمة، مع أنَّ ما قبلها مكسور، على خلاف ما عليه النطق العربي، حيث ينبغي أن تحذف إلا أنَّها بقيت لتدلَّ على أنَّ أصلها التشديد.

٢- سبق أن ذكرت أنَّ المقطع الرابع من الكلمة في قراءة الجمهور متوسط مغلق، بينما كان في قراءة النخعي قصير مفتوح؛ وذلك بسبب الحذف الحاصل في الكلمة.

٣- قراءة النخعي قراءة شاذَّة، حيث لم ترد ضمن القراءات السبع، أو العشر المتواترة.

٢-حذف الألف من «رُبَاع» مقابل عدم الحذف:

وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[(١)].

فقراءة الجمهور ما سبق، وقرأ إبراهيم النخعي «ورُبَع» ساقطة الألف[(٢)]، وزاد الزمخشري، «وثُلُث» أيضًا[(٣)].

---

(١) سورة النساء من الآية (٣).

(٢) انظر المحتسب، لابن جني: ١٨١/١، وتفسير القرطبي: ١٦٨١/٢، والبحر المحيط: ٥٠٦/٣، وروح المعاني: ٤٠٦/٢.

(٣) انظر الكشاف: ٤٩٧/١، والدر المصون: ٥٦٥/٣ وغيرهما.

التوجيه للقراءتين:

الآية الكريمة تفيد أنَّه لا يجوز الزيادة على أربع في عدد المنكوحات بإجماع فقهاء الأمصار، وأنَّه لا يباح النكاح مثنى، أو ثلاث، أو رباع إلا لمَنْ خاف الجور في اليتامى، فقد أجمع المسلمون على أنَّه يجوز أن ينكح أكثر من واحد اثْنَيْنِ وَثَلَاثًا وَأَرْبَعًا(١).

فـ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ معدولة عن اثنين، وثلاث، وأربع، فَمَثْنَى مَعْدُولَةٌ عَنِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَثُلَاثُ مَعْدُولَةٌ عَنْ ثَلَاثَةٍ ثَلَاثَةٍ، وَرُبَاعُ عَنْ أَرْبَعَةٍ أَرْبَعَةٍ. وَفِي كُلِّ مِنْهَا لُغَتَانِ، يُقَالُ: أُحَادُ وَمَوْحَدُ، وَثُنَاءُ وَمَثْنَى، وَثُلَاثُ وَمَثْلَثُ، وَرُبَاعُ وَمَرْبَعُ... إِلَى مَعْشَرَ وَعُشَارَ. وَحَكَى أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ لُغَةً ثَالِثَةً: أُحَدُ وَثُنَى وَثُلَثُ وَرُبَعُ مِثْلَ عُمَرُ وَزُفَرُ(٢).

وعليه فـ«رُبَاع، ورُبَع» بمعنًى واحدٍ، وحذفت الألف تخفيفًا، أو اسْتِخْفَافًا(٣)، وذلك كَقَولِ الراجز:

لا عـــــرادا عـــــردا وصـــــلّيانا بـــــردا(٤)

يريد: عاردًا وباردًا، فحذف الألف تخفيفًا.

قال ابن جني: ومن ذلك ما رواه الأعمش عن يحيى بن وثاب، والمغيرة عن إبراهيم، قراءتهما: «وَرُبَعَ» مرتفعة الراء، منتصبة العين بغير ألف.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون محذوفًا من «رُباع» تخفيفًا، كما روينا عن قطرب:

أَلَا لا بَـــارَكَ اللهُ فـــي سُـــهَيْل إذا مـــا اللهُ بـــارَكَ فـــي الرِّجَـــال(٥)

---

(١) تفسير البحر المحيط: ٥٠٦/٣.

(٢) تفسير القرطبي: ١٦٨١/٢.

(٣) انظر السابق.

(٤) المحتسب: ١٧١/١، والخصائص: ٣٦٤/٢، والبحر: ٥٠٦/٣، والدر المصون: ٥٦٥/٣، واللسان «عرد».

(٥) انظر الرجز في المحتسب: ١٨١/١، والخصائص: ١٦٤/٣، وخزانة الأدب: ٣٤١/٤.

فحذف ألف «الله»، وقال الآخر:

مثل النَّقا لبّدَه ضربُ الطِّلَلْ(١)

يريد: الطِّلال جمع طَل، كما قال القُحيف العقيلي:

ديـــار الحـــي تضـــاربها الطـــلال بهـــا أهـــل مـــن الخـــافي ومـــالُ(٢)

ويقوى أنه أراد «رُبَاع»، ثمَّ حذف الألف ترك صرفه، كما كان قبل الحذف غير مصروف، وأما «رُبَـعٌ» فلا نعلم إلا ولد الناقة في أيام الرَّبيع، وذلك مصروف في المعرفة والنكرة، وهذا واضح، وممَّا حذفت ألفه تخفيفًا أيضًا قولهم: «أَمَ والله لأفعلنَّ كذا»، يريد: أَمَا.

إذًا: فالقراءتان بمعنى واحدٍ، حذفت الألف من قراءة إبراهيم تخفيفًا، كما حذف نظائر ذلك في اللغة، وهنا استبدلت الحركة الطويلة بأخرى قصيرة.

ر	با	عُ
ص ح	ص ح ح	ص ح

عند الوصل مقطعان قصيران الأول والأخير مفتوح، والأوسط متوسط، وعند الوقف مقطعين: قصير + متوسط مغلق:

ر	باع
ص ح	ص ح ص

وأمَّا «رُبَـع» فثلاثة أيضًا عند الوصل من نوع المقطع الأول القصير المفتوح، واثنان عند الوقف: (ص ح) قصير مفتوح، (ص ح ص) متوسط مغلق.

ويلاحظ أن قراءة النخعي لم ترد على ألسنة السبعة او العشرة المتواترة قراءتهم فهي شاذة

(١) المحتسب: ١/١٨١، والخصائص: ٣/٢٣٤.

(٢) من الوافر في طبقات الشعراء: صـ٢٢٥، والمحتسب: ١/١٨١.

٣-«سِلْمٌ» بكسر السين وحذف الألف مقابل ﴿سَلَٰمٌ﴾ فتح السين وألف بعد اللام:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾(١).

حيث قرأ العامَّة(٢) ما عدا الأخوان: -حمزة، والكسائي- بفتح السين وألف بعد اللام، بينما قرأ النخعي، وذكر عن النبي -ﷺ- أنَّه قرأ بها، قال: «سِلْمٌ» بكسر السين وحذف الألف(٣)، وكذا قرأ حمزة، والكسائي(٤)، كما قرأها كذلك يحيى بن وثاب، وابن جبير وطلحة(٥).

التوجيه للقراءتين:

١- قراءة العامَّة ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ المراد بها: التحيَّة، أي: أنَّهم قالوا تحيَّة وقولًا معناه: سلامًا، فالمقصود التحيَّة والسلام، ونصب الأولى ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ على معنى: السَّلامُ عليكم سَلامًا، وسلمنا عليك سلامًا(٦)،

(١) الآية (٦٩) من سورة هود، والآية (٢٤) من سورة الذاريات.

(٢) انظر معاني القرآن، للفراء: ٢١/٢، وانظر إتحاف فضلاء البشر: ١٣٠/٢، ٤٩٢/٢، وانظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٣٣٨ وغيرها.

(٣) انظر معاني القرآن، للفرَّاء: ٢١/٢، وذلك في عرض للآية (٦٩) من سورة هود، والبحر في (٢٤) من سورة الذاريات: ٥٥٥/٩، وروح المعاني: ١٢/١٤.

(٤) انظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٣٣٨، حيث ذكر ههنا يقصد سورة هود، وفي الذاريات الآية (٢٤)، وفتح القدير: ١٠٥/٥، وإتحاف فضلاء البشر: ١٣٠/٢، ٤٩٢/٢، وفي البحر: ١٧٩/٦ قرأ الأخوان، وفي الدر المصون كذلك: ٣٥٢/٦، وزاد المسير: ٢٨٥/٢.

(٥) ذكر الفراء في معاني القرآن ابن وثاب، وذكر أبو حيَّان الثلاثة في البحر: ٥٥٥/٩، وكذا في روح المعاني: ١٢/١٤.

(٦) راجع معاني القرآن، للفرَّاء: ٢١/٢، والبحر: ٥٥٥/٩، وفتح القدير: ٥٨٧/٢.

ولو رفع لكان صوابًا على تقدير: «عليكم سلامٌ»، فمن رَفعَ أضمرَ «عليكم» وإن لَمْ يظهرها كما قَالَ الشاعر:

فقلنا السَّلام فاتقت من أميرها فما كَانَ إلا وَمْؤها بالحواجب(١)(٢)

أو على تقدير معنى: «قال سَلام عليكم»، وذلك في ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾، ويجوز أن يكون على معنى: «أمرنا سَلامٌ»(٣).

٢- قراءة النخعي، وحمزة، والكسائي: «قال سِلْمٌ» فمعناها معنى: سلام.

قال الفرَّاء: «هو فِي المعنى: سلامٌ، كما قالوا: حِلّ وَحَلَالٌ، وحِرْم وحَرَامٌ؛ لأنَّ التفسير جاء: سَلَّمُوا عَلَيْهِ فردّ عليهم، فترى أن معنى «سِلْم وسَلَام» واحدٌ... وأنشدني بعض العرب:

مَرَرْنَا فَقُلْنَا إيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بِالْبَرْقِ الْغَمَامُ اللَّوَائِحُ(٤)

فهذا دليلٌ على أنَّهم سَلَّموا فردَّت عليهم»(٥).

وقال الزجَّاج: «ومن قرأ «سِلْمٌ» فالمعنى: أمري سِلْمٌ، وأمرنا سِلْمٌ، أي: لا بَأس علينا»(٦).

قال أبو علي: «فيكون معنى القراءتين واحدٌ، وإن اختلف اللفظان»(٧).

---

(١) من الطويل في معاني القرآن، للفرَّاء: ٢١/٢، وفي الصحاح «ومأ»، وفي اللسان «ومأ»، و«سلم» من رواية ابن بري، وفيه: «أسيرها» بدلًا من «أميرها»، ومعنى: اتقت: خافت، وأميرها: مَن له ولاية عليها، ومؤها: إشارتها، ولم أقف على قائله.

(٢) انظر معاني القرآن، للفرَّاء: ٢١/٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٥٤/٥.

(٤) من الطويل في معاني القرآن، للفرَّاء: ٢١/٢، والبحر: ١٧٩/٦، والدر السَّمين: ٣٥٢/٦، واللسان «سلم»، وفيه «وقفنا» بدلًا من «مررنا»، ومعجز مخالف، ومعنى إيه: طلب الحديث، واكتل: تبسَّم، ومعناه انكشف بضوء البرق.

(٥) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢١/٢، وانظر البحر: ١٧٩/٦، والدر المصون: ٣٥٢/٦، وانظر كذلك معاني القرآن، للنحَّاس: ٣٦٢/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٥٤/٥.

(٧) زاد المسير: ٢٨٥/٢.

وقيل: «السِلْم» بالكسر ضد الحرب، وناسَب ذلك؛ لأنه نَكِرَهم فقال: أنا مسالمكم غيرُ محارِب لكم(١).

وفرَّق ابن خالويه حيث جعل الحجة لِمَنْ أثبت الألف وفتح: أنَّه جعله من التحيّة والسلام، والحجة لِمَنْ حذف الألف، وكسر السين: أنَّه جعله من الصُّلح، والمسالمة(٢).

نسبة النطق:

يرى البحث أنَّ ما عليه جمهور القرَّاء من النطق بالفتح للسين وألف بعد اللام هو الأصل، كما أنَّه نطق عامَّة العرب، وعلى رأسهم أهل الحجاز، فقد أخذ القرآن منها أغلب خصائصه من تلك اللغة.

وأمَّا ما عليه النخعي من قراءته «سِلْمٌ» بكسر السين وحذف الألف، فأغلب الظن أنَّه منهج بني تميم، حيث يتناسب هذا مع بداوتهم من سرعةٍ في الأداء النطقي، كما تجد أنَّه قد نسب لهم نطق أمثال تلك الكلمة، مثل: «حِلٌّ» بدلًا من «حَلَال»، و«حِرْم» بدلًا من «حَرَام»، و«كِلْمة» بدلًا من «كَلِمَة».

ملاحظات عامة على القراءتين:

١- أنَّ القراءتين سبعيتان متواترتان، فقد قرأ «سلام» عامة القراء، وقرأ «سِلْم» حمزة، والكسائي، وهما من القراء السبعة.

٢- أرجح من خلال ما سبق من آراء حول معنى «سَلَام»، و«سِلْم» أنَّهما بمعنى واحدٍ.

٣- أنَّ هناك فروق صوتيَّة بين القراءتين، ففي الأولى «سلام» فتح مع بنية طويلة؛ بسبب وجود ألف بعد اللام، بخلاف قراءة «سِلْم» ففيها حذف أدَّى إلى قصر في بنية الكلمة، وسرعة في النطق بها يتناسب مع حال سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتلهفه في الرد مع ملائمة فيه،

(١) الدر المصون، للسَّمين: ٣٥٢/٦.

(٢) الحجَّة في القراءات السبع، لابن خالويه: صـ١٨٩.

حيث ذكر أَهْلُ الْمَعَانِي: أَنَّ سَلَامَ إِبْرَاهِيمَ أَبْلَغُ مِنْ سَلَامِ الْمَلَائِكَةِ[1]، فقد قصد أن يجيبهم بأحسن مما حيَّوه؛ أخذًا بآداب الله تعالى، والتقدير فيها «عليكم سلامٌ»، أو «أمري سلامٌ»، أو «عليكم سِلْم»، أو «أمري سِلْم» بمبتدأ خبر محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف[2].

ويتضح الأثر الصوتي في عدد مقاطع كل من «سلام»، «سلم» فيما يلي:

فلا شكَّ أنَّه قد اختلف في مقطع الكلمتين؛ بسبب الحذف الواقع في قراءة النخعي، فتتكون كلمة «سلام» من مقطعين: الأول قصير مفتوح، والثاني: طويل مغلق من النوع الرابع حال الوقف، وتتكوَّن من ثلاثة مقاطع حال الوصل: مقطع قصير مفتوح، يليه مقطعان: أولهما من النوع الثاني المتوسط المفتوح، وثانيهما من النوع الثالث المتوسط المغلق.

في حال الوقف	س	لام	في حال الوصل	س	لا	من
	ص ح	ص ح ح ص		ص ح	ص ح ح	ص ح ص

بينما تكونت «سِلْم» من مقطع واحد من النوع الخامس الطويل المزدوج المغلق في حال الوقف، بينما تتكوَّن من مقطعين من النوع الثالث المتوسط المغلق حال الوصل.

في حال الوقف	سلم	في حال الوصل	سلـ	من
	ص ح ص ص		ص ح ص	ص ح ص

٤-«صَعْقَة» بحذف الألف مقابل ﴿صَٰعِقَةً﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾[3].

(١) انظر فتح القدير: ١٠٥/٥.
(٢) البحر المحيط: ٥٥٥/٩.
(٣) سورة فصلت الآية (١٣).

فقد قرأ الجمهور ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ﴾، وقرأ ابن الزبير، والسلمي، والنخعي، وابن محيص بغير ألف فيهما وسكون العين(١).

المعنى والتوجيه:

ذكر العلماء للصاعقة معانيَ متعددة:

قال الخليل: «الصَّاعِقَةُ: الوَقْعُ الشَّديدُ من صوْتِ الرَّعْدِ، يسقُطُ معه قِطْعة من نار يقال: إنَّها من صَوْت الملك»(٢).

وفي المحكم: «الصّاعِقةُ: العذابُ، وَقِيلَ: قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ تَسْقُطُ بإِثْرِ الرَّعْدِ لَا تأْتي عَلَى شَيْءٍ إلا أَحرقته»(٣).

والصَّاعِقَةُ: الْمَوْتُ، وَقِيلَ: كُلُّ عَذَابٍ مُهْلِكٍ، والصاعِقةُ مَا يَصْعَقون مِنْهُ، أَي: يَمُوتُونَ(٤).

وأمَّا الصَّعقة: فقد قيل: إنَّها بمعنى الصاعقة، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ: يُقَالُ صَاعِقَةٌ وصعقة وصاقعة بِمَعْنًى وَاحِدٍ(٥).

وقد نصَّ ابن منظور على أنَّها لغات، فقال: وَفِيهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ: صاعِقة وصَعْقة وصاقِعة، وقيل: الصاعِقةُ والصَّعْقةُ: الصيحةُ يُغْشَى مِنْهَا عَلَى مَنْ يَسْمَعُهَا.

---

(١) انظر فتح القدير، للشوكاني: ٥٨٣/٤، والبحر: ٢٩٣/٩، والدر: ٥١٤/٩، وللنخعي وابن محيص في تفسير ابن عطيَّة: ٨/٥، ولابن الزبير، والسلمي، وابن محيص في روح المعاني: ٣٦٣/١٢، وقرأ بها ابن محيص في القرآن كله. انظر تفسير القرطبي: ٤٤/١.

(٢) العين «صعق»: ١٢٩/١.

(٣) المحكم: ١٤٨/١، ١٤٩ مادة «صعق».

(٤) لسان العرب «صعق».

(٥) تفسير القرطبي: ٤٠٤/١.

وفرَّق بعض العلماء بينهما فقَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: الصَّعْقةُ: الصَّوْتُ الَّذِي يَكُونُ عَنِ الصاعقةِ، وَقِيلَ: الصاعِقةُ الْعَذَابُ، والصَّعْقة الغَشْية(١).

وقد فسِّرت في الآية الكريمة بأنَّها المرة من الصعق(٢).

فـ«صعقةٌ» لغةٌ في «صاعقة»، أو أنَّ الصعقة تعني الغشي الناتج عن الصاعقة، أو الصوت الذي يكون منها، وعلى هذا تكون الصاعقة شاملة للصعقة، حيث إنَّ الصعقة تنجم عن الصاعقة، أو أنَّ «صعقة» واحدة من الصعق، فتكون اسم مرَّة كما ذكر المفسرون.

ويرجح البحث أن تكون «صعقة» لغة في «صاعقة»، حيث أشار إلى ذلك بعض العلماء، فقد نصَّ القرطبي نقلًا عن النقاش أنَّهما بمعنًى واحدٍ، ونصَّ ابن منظور على أنَّها لغة فيها، وقد ورد لفظ «الصاعقة» في القرآن في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾ (٣)، فيها قرأ عمر، وعثمان، وعلي «الصعقة»، وهي قراءة ابن محيص في جميع القرآن(٤)، وفي سورة النساء في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾(٥)، وقرأ أبو عبد الرحمن، والسلمي، وإبراهيم النخعي «الصعقة»، والمعنى متقارب(٦)، وفي سورة الذاريات ﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾(٧)، وقرأ الكسائي، وهي قراءة عمر، وعثمان «الصعقة»(٨).

---

(١) لسان العرب «صعق».

(٢) الكشاف: ٤٤٧/٣، والبحر: ٢٩٣/٩، والدر: ٥١٤/٩، وروح المعاني: ٣٦٣/١٢.

(٣) آية (٥٥).

(٤) انظر تفسير ابن عطية: ١٤٧/١، حيث ذكر عمر وعلي، ومختصر شواذ القراءات، وذكر علي بن أبي طالب، والجامع لأحكام القرآن: ٤٠٤/١، ذكر الجميع.

(٥) آية (١٥٣).

(٦) انظر تفسير ابن عطية: ١٣١/٢.

(٧) آية (٤٤).

(٨) انظر تفسير ابن عطية: ١٨٠/٥.

ملاحظات:

١- قرأ النخعي في موطنين من أربعة مواطن وردت الكلمة فيها، وكانت قراءته مخالفة لما عليه جمهور القرَّاء، وذلك في سورة النساء، وسورة فصلت.

٢- لم يختلف المعنى بين قراءته وقراءة الجمهور، وذلك عند أكثر العلماء، حيث قالوا باتِّحاد المعنى.

٣- في قراءة النخعي حذف للحركة الطويلة، وجعلها حركة قصيرة «صعقة» بدلًا من «صاعقة»، وهذا تغيير صوتي، تبعه تغيير في مقاطع الكلمة كمًّا وكيفًا في الوصل، والوقف، وإليك بيانها:

مقاطع الكلمة في الوصل والوقف عند جمهور القراء:

في حال الوصل	صا	ء	ق	تن	في حال الوقف	صا	ع	قه
	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ص		ص ح ح	ص ح	ص ح ص

مقاطع الكلمة في الوصل والوقف في قراءة النخعي:

في حال الوصل	صع	ق	تن	في حال الوقف	صع	قه
	ص ح ص	ص ح	ص ح ص		ص ح ص	ص ح ص

٥- «عَقَب»، «عَقِب» بحذف الألف مقابل «عَاقَب» في «عَقَبْتُم»، و«عَقِبْتُم» بالفتح والكسر للقاف مع التخفيف مقابل ﴿ فَعَاقَبْتُمْ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾[1].

(١) سورة الممتحنة من الآية (١١).

قرأ الجمهور ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ بألف[1]، وقرأ النخعي «فَعَقَبْتُم» بخف القاف مفتوحة، وكذا قرأ الأعرج، وأبو حيوة، والزهري، وابن وثاب[2]، وقرأ النخعي أيضًا، ومسروق بكسرها -خفيفة- «فَعَقِبْتُم»[3]، وقرأ مجاهد، والزهري، والأعرج أيضًا، وحميد، وأبو حيوة، والزعفراني بشد القاف «فَعَقَّبْتُم»[4]، وكذا جاءت القراءة عن الحسن[5]، وقرأ مجاهد «فَأَعْقَبْتُم» على وزن «أفعل»[6].

في اللفظة الشريفة عدد من القراءات:

قرأ الجمهور بواحدة منها، وهي ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾، وقرأ النخعي باثنين منها هما: «فَعَقَبْتُم»، «فَعَقِبْتُم» بفتح القاف خفيفة في الأولى، وبكسر القاف خفيفة في الثانية.

وقرأ مجاهد والحسن وغيرهما بشد القاف مفتوحة «فَعَقَّبْتُم»، وقرأ مجاهد أيضًا «فَأَعْقَبْتُم» على وزن «أفعل».

ويهمنا من هذه القراءات قراءة الجمهور مقابل ما قرأ به النخعي «فَعَقَبْتُم»، «فَعَقِبْتُم» بفتح القاف وكسرها مع التخفيف.

---

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٥٣٥/٢، والمحتسب، لابن جني: ٣٢٠/٢، وعنده قراءة الناس ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾، وانظر كذلك البحر المحيط: ١٥٩/١٠، والكامل في القراءات: صـ٦٤٨ وغيرها.

(٢) النص من البحر: ١٥٩/١٠، ونسب القراءة للنخعي ابن جني في المحتسب: ٣٢٠/٢، والدر المصون: ٣١١/١٠، وروح المعاني: ٢٧٣/١٤.

(٣) انظر البحر: ١٥٩/١٠، والدر المصون: ٣١١/١٠، وغيرهما، ونسبها ابن جني لمسروق في المحتسب: ٣٢٠/٢.

(٤) انظر معاني القرآن للفرَّاء: ١٥٢/٣، والبحر المحيط: ١٥٩/١٠، وانظر المحتسب، لابن جني: ٣٢٠/٢، وغيرها.

(٥) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٥٣٥/٢.

(٦) انظر المحتسب: ٣٢٠/٢، والبحر: ١٥٩/١٠ وغيرهما من المراجع.

التوجيه:

- **أولًا:** قراءة الجمهور ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾:

وجهت قراءة الجمهور ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾، وفسرت بعددٍ من التفسيرات المتقاربة في معانيها:

قال أبو الفتح: قراءة الناس: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ روينا عن قطرب، قال: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أصبتم عقبًا منهن، يقال عاقب الرجل شيئًا: إذا أخذ شيئًا(١).

وقال الزجَّاج: «أصبتموهم في القتال بعقوبةٍ حتى غنمتم»(٢).

وقال الزمخشري: «﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ من العقبة، وهي التوبة: شبَّه ما حكم به على المسلمين والكفار من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارةً، وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره»(٣).

وقال الواحدي: «قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فَغَنِمْتُمْ»(٤).

وقال القنبي: «﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: فزتم معاقبين غزوة بعد غزوة»(٥).

والمعنى في الآية الكريمة: أنَّ مَنْ مَضَتْ امرأته منكم إلى من لا عهد بينكم وبينه، أو إلى مَنْ بينكم وبينهم عَهْدٌ، فنكثَ في إعطاء المَهْرِ فغنمتم،

(١) المحتسب، لابن جني: ٣٢٠/٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ١٦٠/٥، وانظر لسان العرب «عقب»، والبحر: ١٦٠/١٠.

(٣) الكشاف، للزمخشري: ٩٤/٤، وانظر البحر المحيط: ١٦٠/١٠، والدر المصون: ٣١١/١٠.

(٤) فتح القدير: ٢٥٨/٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم: ٦٩/١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فالذي ذهبت امرأته يعْطَى من الغنيمة المَهْرَ، من غير أن ينقص من حقه في الغنائم شيء، يعطى حَقَّهُ كاملًا بعد إخراج مهور النساء(١).

إذًا: فالمعاني متقاربة، وهو أن يعطى المهر مما غنمه المسلمون قبل توزيع الغنائم عليهم، ويشملها جميعًا معنى: غنمتم.

- **ثانيًا:** قراءتي النخعي «فَعَقَبْتُم»، «فَعَقِبْتُم» بالفتح والكسر للقاف:

ذكر العلماء أن معنى «عَقَبْتُم»، و«عَقِبْتُم» بالفتح والكسر خفيفة: غنمتم(٢).

قال ابن جني: «وحكى عن الأعمش، قال: «عَقَبْتُم»، «عَقِبْتُم»، فقد يجوز أن يكون «عَقِبْتُم» بوزن «غَنِمْتُم» ومعناه جميعًا(٣).

وذكر بيتًا لطرفة تروى فيه كلمة «عقبتم» بالفتح والكسر، حيث قال: «وأنشد لطرفة:

فعقبتم بذنوب غير مر(٤)

جمع مرة، فسَّرُوه على أعطيتم وعُدتُم.... وروى أيضًا بيت طرفة: «فعَقِبْتُم»، بكسر القاف»(٥).

وقال الزجَّاج: «﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ على فاعلتم، وقرئت «فعقَبْتُمْ» بغير ألف وتخفيف القاف، وجاء في التفسير فَغَنِمْتُمْ، وتأويله لأيِّ اللغة كانت العقبى

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ١٦٠/٥، ولسان العرب «عقب»، والبحر: ١٦٠/١٠ وغيرها.
(٢) المحتسب: ٣٢٠/٢.
(٣) المحتسب: ٣٢٠/٢.
(٤) عجز بيت من الرمل، لطرفة بن العبد في ديوانه: صـ٨٧، وصدره: ولقد كنتم عليكم عاتبًا، ومعنى الذنوب: الدلو، ويقصد به: النصيب من العطاء، ومر: فسره ابن جني بأنه جمع مرة، وانظر البيت في اللسان «عقب».
(٥) المحتسب: ٣٢٠/٢.

لكم،... و«عَقِبْتُم» أَجْوَدُها في اللغَةِ، و«فَعَقَبْتُمْ» بالتخفيف جَيِّدٌ في اللغة أيْضًا، أي: صارت لكم عقبى الغلبة، إلا أنَّهُ بالتشديد أبلغ»(١).

وقال القرطبي: «وَقَرَأَ مَسْرُوقٌ، وَشَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ: «فَعَقِبْتُمْ» بِكَسْرِ الْقَافِ خَفِيفَةً. وَقَالَ: غَنِمْتُمْ. وَكُلُّهَا لُغَاتٌ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. يُقَالُ: عَاقَبَ وَعَقَبَ وَعَقَّبَ وَأَعْقَبَ وَتَعَقَّبَ وَاعْتَقَبَ وَتَعَاقَبَ: إِذَا غَنِمَ»(٢).

وقد ذكر ابن جني، وكذا الزجَّاج، والقرطبي عن مسروق «عقَّبتم» التي قرأ بها الأعرج، ومجاهد، والحسن بالتشديد، «عقَبْتُم» بالفتح خفيفة، و«عقِبْتُم» بالكسر خفيفة، وأوضح الجميع أنَّها جميعًا بمعنى: غنمتم، وهو نفس المعنى الذي ذكر لـ«عاقبتم» والتي عليها جمهور القرَّاء.

كما ذكر الفرَّاء لغة التشديد «فعَقَّبْتُم» بمعنى: غنمتم، وهي كقولك: تصعَّر، وتصاعر فِي حروف قَدْ أنبأتك بها فِي تآخي: فعلت، وفاعلت(٣).

ويبقى «أعقبتم» وقد قرأ مجاهد، وهي على وزن «أفعل»:

قال أبو حاتم: معنى أعقبتم: صنعتم بهم مثل ما صنعوا بكم(٤)، وقيل: هي بمعنى غنمتم كما سبق في نص القرطبي السابق.

العزو اللهجي للقراءتين:

قراءة الجمهور ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ تتفق تمامًا مع منهج الحجازيِّين الذين يميلون إلى التأني في الأداء، وإعطاء الكلمة حقها من النطق، والتي سبق أن ذكرت أنَّ القرآن الكريم وقراءته المتواترة سادت وفق خصائص تلك اللهجة.

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ١٦٠/٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٦٩/١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٣) معاني القرآن، للفرَّاء: ١٥٩/٣، وانظر إعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٧٤/٤.
(٤) المحتسب: ٣٢٠/٢.

وأمَّا قراءة النخعي فتتفق مع نطق القبائل البدويَّة، والتي تميل إلى السرعة في الأداء وفق طبيعتهم البدويَّة، ولم أقف فيما رجعت إليه من مراجع إلى عزو دقيق لأي نطق منها، وما ذكره البحث أقرب الصواب.

موقف قراءة النخعي من التواتر:

قراءة النخعي «فَعَقَبْتُم»، «فَعَقِبْتُم» بالتخفيف وحذف الألف مع فتح القاف، أو كسرها، لم ترد ضمن السبعة أو العشرة المتواترة؛ لذا تعَدُّ من القراءات الشاذَّة.

الأثر الصوتي للقراءة:

في قراءة النخعي حذف أو نقص أدَّى إلى اختلافها عن قراءة الجمهور في المقاطع الصوتيَّة، ويتضح ذلك في الآتي:

جاءت مقاطع كلمة ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ على قراءة الجمهور مكونة من أربعة مقاطع هي: مقطع قصير مفتوح، ثمَّ مقطع متوسط مفتوح من النوع الثاني، تبعه مقطعين من النوع الثالث المتوسط المغلق، وبيانه كالتالي:

فـ	عا	قبـ	تم
ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص

في قراءة النخعي تحول الصائت الطويل إلى حركة قصيرة، فصارت المقاطع مقطعان قصيران مفتوحان، ثمَّ مقطعان متوسطان مغلقان، كالتالي:

فـ	عـ	قبـ	تم
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص

٦- «طيف» بحذف الألف مقابل ﴿طَآئِفٌ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

(١) سورة القلم الآية (١٩).

قرأ الجمهور: ﴿طَآئِفٌ﴾، وقرأ النخعي «طَيْفٌ»(١).

المعنى والتوجيه:

يتحدَّث المولى –سبحانه وتعالى– في الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة عن ابتلائه لمشركي قريش، واختباره لهم، وأنَّه امتحنهم كما امتحن أصحاب البستان، وهم ناسٌ من الحبشة أو اليمن، كان لأبيهم جنَّة يطعم منها المساكين، فلمَّا مات أبوهم قال بنوه: والله إن كان أبونا لأحمق حين يطعم المساكين، فأقسموا ليصرمنها مصبحين، ولا يطعمون منها مسكينًا، فعاقبهم الله –سبحانه– بأن حرمهم ثمارها، فطرق جنة هؤلاء القوم طارقٌ من أمر الله، فأصبحت محترقة سوداء كالليل المظلم(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾(٣).

معنى ﴿طَآئِفٌ﴾ و«طيف»:

قال الخليل: «طائفةٌ من النّاسِ واللَّيْل، أي: قِطعةٌ، ... والطّائف: العاسُّ بالليل»(٤).

وقال: «كلُّ شيء يَغْشَى البَصَرَ من وَسواس الشّيطان فهو طيف»(٥).

---

(١) البحر: ١٠/٢٤٢، والدر المصون: ١٠/٤١٠، وروح المعاني: ١٥/٣٤، وانظر قراءة النخعي في مختصر شواذ القراءات: صـ١٦٠.

(٢) راجع كتب التفاسير وعلى سبيل المثال: جامع البيان، للطبري: ٢٣/٥٤٣، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: ٤/٣٣٣.

(٣) سورة القلم الآيات (١٧، ١٨، ١٩، ٢٠).

(٤) العين «طوق»: ٧/٤٥٨.

(٥) السابق «طيف»: ٧/٤٥٩.

وقال ابن سيده: «والطَّيْفُ والطِّيفُ: الخَيالُ نفسُه؛ الأَخيرة عَنْ كُرَاعٍ. والطَّيْفُ: المَسّ مِنَ الشَّيْطَانِ، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ (١)...»(٢).

وفي اللسان: «أَصابه طَوْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وطَائِفٌ وطَيِّف وطَيْفٌ، والأَخيرة عَلَى التَّخْفِيفِ، أَي مَسٌّ. وَفِي التَّنْزِيل: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، وطَيْفٌ»(٣).

قال الفرَّاء: «الطَّائِفُ وَالطَّيْفُ سَوَاءٌ، وَهُوَ مَا كَانَ كَالْخَيَالِ وَالشَّيْءِ يَلِمُّ بِكَ»(٤).

وقال ابن عطيَّة: «﴿طَٰٓئِفٌ﴾: اسم فاعل، كقائل من قال يقول، وكبائع من باع يبيع، و«طيّف»: اسم فاعل أيضًا كميت من مات يموت، أو كبيع ولين من باع يبيع، ولان يلين و«طيّف» يكون مخففًا أيضًا من طيف كمَيْت من ميّت»(٥).

وذكر السَّمين احتمال كونهما –أي: «طائف، وطيف»– اسمي فاعل، أو مصدريْن، حيث قال: «أمَّا طائفٌ فاسمُ فاعل، ويُحْتمل أن يكون مِنْ «طاف يطوف»، فيكون كقائم وقائل، وأن يكونَ مِنْ «طاف يطيف» فيكون كبائع ومائل. وقد زعم بعضُهم أنَّ طَيْفًا وطائفًا بمعنى واحد، ويُعزى للفرَّاء، فيحتمل أن يَرُدَّ طائفًا لطَيْف، فيجعلهما مصدريْن. وقد جاء فاعِل مصدرًا كقولهم:

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠١).
(٢) المحكم «طيف»: ٢٢٣/٩.
(٣) «طيف» قراءة لسعيد بن جبير، و«طيَّف» بالتشديد قراءة لابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي. انظر تفسير ابن عطيَّة: ٤٩٢/٢.
(٤) لسان العرب، لابن منظور مادة «طوف».
(٥) تفسير ابن عطيَّة: ٤٩٢/٢.

«أقائمًا وقد قعد الناس»، وأن يَرُدَّ طيفًا لطائف، أي: فيجعله وَصْفًا على فَعْل»[١].

واحتمل ثلاثة أوجه في «طيف»:

- **الأوَّل:** أنه مصدرٌ مِنْ طاف يَطيف كباع يبيع.
- **والثاني:** أنه مخففٌ من فَيْعِل، «طَيِّف» بتشديد الياء، فحذف العين مثل: ميّت مَيْت.
- **والثالث:** أن أصله طَوْف من طاف يطوف، فقلبت الواو ياءً[٢].

ومن العلماء مَنْ فرَّق بينهما، فذكروا لكل منهما عدَّة معانٍ، منها ما هو مشتركٌ بينهما معًا، ففرَّق بينهما أبو علي الفارسي حيث جعل الطائف كالخاطر، والطيف كالخطرة[٣].

وقال الكسائي: الطيف اللمم، والطائف: ما طاف حول الإنسان[٤].

وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾، قَالَ: الغَضَبُ، وَرُوِيَ ذَلِكَ أَيضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٥]. قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: الطَّيْفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الجُنُون،... وقَالَ: وَقِيلَ لِلْغَضَبِ طيفٌ[٦].

ملاحظات:

١- قراءة النخعي قراءة شاذَّة، حيث لم تأت موافقة لما عليه القراء السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، وقد ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القراءات.

---

(١) انظر الدر المصون: ٥/٥٤٦.
(٢) السابق: ٥/٥٤٥.
(٣) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٢/٤٩٢، والدر المصون: ٥/٥٤٧.
(٤) السابق ونفس الصفحات.
(٥) لسان العرب «طوف».
(٦) السابق «طوف»، وانظر تهذيب اللغة «طوف».

٢- جاءت قراءة النخعي موافقة في المعنى لقراءة الجمهور، وهذا على رأي أكثر العلماء، فلا فرق بين ﴿طَٰٓئِفٌ﴾، و«طيف».

٣- حدث تغيير صوتي تبعه تغيير في مقاطع الكلمة في ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ على وزن فاعل، وتتكون في حال الوقف من مقطعين: أحدهما: متوسط مفتوح، والثاني: متوسط مغلق، و«طيف» تتكوَّن من مقطع واحد طويل مغلق، وذلك عند الوقف.

﴿طَٰٓئِفٌ﴾	طا	ئف	طيف	ص ح ص ص
	ص ح ح	ص ح ص		

٧- ﴿نَّخِرَةً﴾ بحذف الألف مقابل «ناخرة»

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾[١].

اختلف جمهور القرَّاء في كلمة ﴿نَّخِرَةً﴾، حيث قرأها بعضهم من غير ألف بعد النون، وقرأ آخرون بألف بعدها، فقد قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿نَّخِرَةً﴾ بغير ألف[٢]، وكذا قرأ النخعي، والسلمي، وابن جبير، وقتادة، وابن وثاب[٣]، وقرأ أبو بكر، وحمزة، والكسائي «ناخرة» بألف بعد النون[٤]، ونسبت أيضًا لخلف، والأعمش، ورويس[٥]، وروى أبو عمر الدوري عن الكسائي أنَّه لا يبالي كيف يقرأها بألف أم بغير

(١) سورة النازعان الآية (١١).
(٢) السبعة، لابن مجاهد: صـ٦٧٠، وفي طيبة النشر: صـ٣٢٦، وتذكرة ابن غليون: ٧٥٣/٢، وطيبة النشر: صـ٣٢٦، والإتحاف: ٥٨٦/٢ وغيرها، وقرأ الباقون.
(٣) انظر البحر المحيط: ٣٩٧/١٠.
(٤) السبعة: صـ٦٧٠، ٦٧١، وانظر تذكرة ابن غليون: ٧٥٣/٢، والإتحاف: ٥٨٦/٢ وغيرها.
(٥) انظر التذكرة: ٧٥٣/٢، والإتحاف: ٥٨٦/٢.

ألف... وقال أبو عبيد عنه ﴿نَّخِرَةً﴾ بألف لم يرد عن الكسائي إلا وجعهًا واحدًا(١).

التوجيه للقراءتين:

ذكر كثيرٌ من العلماء أن ﴿نَّخِرَةً﴾، و«ناخرة» بمعنى واحدٍ، فقد ذكر الْفَرَّاءُ: النَّاخِرُ وَالنَّخِرُ سَوَاءٌ فِي الْمَعْنَى بِمَنْزِلَةِ الطَّامِعِ وَالطَّمِعِ، وَالْبَاخِلِ وَالْبَخِلِ(٢).

وقال الزمخشري: «يُقال: نَخِر العظمُ، فهو نَخِرٌ وناخِرٌ، كقولِك: طَمِعَ فهو طَمِعٌ وطامِعٌ،... وهو البالي الأجوفُ الذي تَمُرُّ فيه الرِّيحُ فيُسْمَعُ له نَخِير»(٣).

وقَالَ الْأَخْفَشُ: «هُمَا جَمِيعًا لُغَتَانِ أَيَّهُمَا قَرَأْتَ فَحَسَنٌ»(٤).

كما نقل اتِّحاد المعنى عن أبي عبيدة، وأبي حاتم(٥).

إذًا: ناخرة بالألف كنخرة من نخر العظم، أي: بلي وصار أجوف تمر فيه الريح فيسمع له نخير أي: صوت.

وفرق بعض اللغويّين والمفسرين بينهما في المعنى، فيقال: نخر العظم فهو نخرٌ إذا بلي ورمَّ، فقالوا: «النخرة»: البالية، و«الناخرة»: العظم المجوف الَّذِي تَمُرُّ فِيهِ الرِّيحُ(٦).

وقيل: ناخِرَة، أي: صارَتِ الريحُ تَنْخِرُ فيها، أي: تُصَوِّتُ(٧).

---

(١) السبعة: صـ٦٧١، وانظر الإتحاف: ٥٨٦/٢، وطيبة النشر: صـ٣٢٦.

(٢) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٣١/٣، ٢٣٢.

(٣) الكشاف، للزمخشري: ٢١٣/٤.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٨٥/٣١.

(٥) البحر المحيط: ٣٩٣/١٠، وروح المعاني، للألوسي: ٢٢٩/١٥.

(٦) انظر معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٣٢/٣، ولسان العرب مادة «نخر».

(٧) الدر المصون: ٦٧٢/١٠.

وقيل: ناخِرَة: بالِية، ونَخِرَة: متآكلة. وعن أبي عمروٍ: الناخِرة: التي لم تَنْخَرْ بعدُ[1].

ويميل البحث إلى أنَّهما لغتان بمعنى واحدٍ، كما نصَّ على ذلك كثيرٌ من العلماء، وذكر العلماء أنَّ في القصر زيادة مبالغة عن المد، ففعل أبلغ من فاعل.

وقال الألوسي: «وقولهم زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى أغلبي، أو إذا اتَّحد النوع لا إذا اختلف كأن كان فاعل اسم فاعل، وفعل صفة مشبهة»[2].

وقد نصَّ كثيرٌ من العلماء على أنَّ القراءتين حسنتين، ففي ﴿نَّخِرَةً﴾ بالقصر زيادة مبالغة، وفي «ناخرة» مؤاخاة لروس الآي قبلها وبعدها.

وذكر بعض العلماء أنَّ «ناخرة» أجود الوجهين، قال الزجَّاج: «ونَاخِرَةً أكثر في القراءة، وأجود لشبه آخِرِ الآي بعضها ببعض، الحافرة وناخرة وخاسرة»[3].

وذكر الفرَّاء كما نقل عنه ابن منظور أنَّ «ناخرة» أَجْوَدُ الْوَجْهَيْنِ؛ لأَنَّ الآيَاتِ بِالأَلِفِ[4].

وذهب البعض إلى أنَّ «فَعِل» أبلغ من «فاعل»[5].

وذكر النحَّاس أنَّ القراءتين حسنتان؛ لأنَّ الجماعة نقلتهما[6].

---

(١) السابق: ٦٧٢/١٠.

(٢) روح المعاني، للألوسي: ٢٢٥/١٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٢٧٨/٥، وانظر الحجَّة، لابن خالويه: صـ٣٦٢.

(٤) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٣١/٣، وانظر لسان العرب «نخر».

(٥) انظر الكشاف، للزمخشري: ٢٣١/٤، والدر المصون: ١٧٢/١٠، وروح المعاني: ٢٢٩/١٥.

(٦) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٩٠/٥.

ملاحظات:

١- وافق النخعي في قراءته ﴿نَّخِرَةً﴾ بالقصر معظم القرَّاء السبعة، وهم: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم، فالقراءتان سبعيَّتان.

٢- نصَّ بعض العلماء على حسن القراءتين وجودتهما، دون تفريق بينهما.

٣- نصَّ بعضهم على تفضيل واحدة على الأخرى، فبعضهم يرى أبلغيَّة ﴿نَّخِرَةً﴾ بالقصر على «ناخرة» بالمد، وبعضهم يرى أن «ناخرة» أوفق لرؤوس الآيات، فمن قال بجودة «ناخرة» ذهب إلى حسن اللفظ، ومَنْ ذهب إلى أبلغيَّة ﴿نَّخِرَةً﴾ نظر إلى جودة المعنى.

الأثر الصوتي:

في قراءة ﴿نَّخِرَةً﴾ بالقصر حذف صائت، أما «ناخرة» فزائدة عليها بذلك الصائت، ويترتب على ذلك اختلاف في مقاطع الكلمتين، فـ﴿نَّخِرَةً﴾ تتكوَّن من ثلاثة مقاطع: مقطعان من النوع الأول القصير المفتوح، ومقطع متوسط مغلق من النوع الثالث، وبيانه كالتالي:

نـ	خـ	ره
ص ح	ص ح	ص ح ص

وأمَّا «ناخرة» فتتكوَّن من ثلاثة مقاطع أيضًا: أولها: متوسط مفتوح، والثاني: قصير مفتوح، الثالث: متوسط مغلق، وبيانه كالتالي:

نـا	خـ	ره
ص ح ح	ص ح	ص ح ص

وذلك عند الوقف، والاختلاف في النوع لا العدد، حيث اختلف المقطع الأول من قصير مفتوح إلى متوسط مفتوح.

٨-«يَضِرْكم» بكسر الضاد وتخفيف الراء مقابل ﴿يَضُرُّكُمْ﴾

التخفيف مقابل التضعيف في ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾[١].

قرأ الجمهور ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بضم الضاد والراء وتشديدها[٢]، وقرأ الحسن بضم الضاد وسكون الراء من «ضار يضور»، وقرأ النخعي بكسر الضاد وسكون الراء من «ضار يضير»[٣].

التوجيه:

﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾... الآية. ترشد الآية الكريمة إلى أن يلزم الإنسان نفسه في مراقبة ربّه، ويحفظها من المعاصي، فلا يؤخذ أحدٌ بذنب غيره، ويوهم ظاهر الآية الرخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن يجاب عن ذلك بأن الاهتداء لا يتمُّ إلا بالأمر، والنهي، فإن ترك ذلك مع القدرة عليه ضلال[٤].

وتفيد قراءة النخعي «لا يَضِرْكُمْ»، وكذا قراءة الحسن «لا يَضُرْكُم» المعنى ذاته، فصار يضير، وضار، يضور، وضرَّ، وضرر، كلها بمعنى واحد[٥]، فقراءة النخعي مِنْ «ضاره يضيره» كباعة يَبيعه، قراءةُ الحسنِ فَمِنْ «ضارَه يَضُوره» كصانَه يصونه[٦].

---

(١) سورة المائدة من الآية (١٠٥).
(٢) انظر البحر المحيط: ٣٨٨/٤، والدر المصون: ٤٥٢/٤، وروح المعاني: ٤٤/٤.
(٣) انظر المحتسب، لابن جني: ٢٢٠/١، والبحر: ٣٨٨/٤، والدر المصون: ٤٥٢/٤، وروح المعاني: ٤٤/٤، والقراءة بلا نسبة في الكشاف: ٦٥٠/١، وفتح القدير: ٩٦/٢.
(٤) راجع المعنى في الكشاف: ٦٥٠/١، وفتح القدير: ٩٦/٢، وروح المعاني: ٤٤/٤.
(٥) راجع لسان العرب مادتي: «ضير»، «ضور».
(٦) الدر المصون، للسَّمين الحلبي: ٤٥٢/٤.

قال أبو الفتح تعليقًا على قراءة النخعي «لا يَضِرْكُمْ»، وكذا قراءة الحسن «لا يَضُرْكُم»: «فيها أربع لغات: ضارَهُ يَضيره، وضارَهُ يَضُوره، وضرَّه يَضُرُّه، وضَرَّه يَضِرُّه -بكسر الضاد وتشديد الراء- وهي غريبة؛ أعني: يفعِل في المضعف متعدية،... وجزم يَضُرْكم ويَضِرْكم؛ لأنه جُعل جواب الأمر، أي قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، ويجوز أن تكون ﴿لَا﴾ هنا نهيًا كقولك: لا تقم إذا قام غيرك، والأول أجود»(١).

فنصَّ ابن جني على أنَّ هذه لغات للكلمة كما ذكر ذلك غيره من العلماء، كما ذكروا كذلك ما تحتمله القراءات من ناحية الإعراب، فتحتمل جميعها أن تكون جوابًا للأمر، أو أنَّ ﴿لَا﴾ ناهية.

يقول السَّمين الحلبي: «فأمَّا قراءة الجمهور ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ فتحتمل وجهين، **أحدهما**: أن يكونَ الفعلُ فيها مجزومًا على جواب الأمر في ﴿عَلَيْكُمْ﴾... ويجوز أن يكونَ الجزمُ لا على وجه الجواب للأمرِ، بل على وجهِ أنه نهيٌ مستأنف، والعملُ فيه ما تقدَّم، وينصُر جوازَ الجزم هنا على المعنيَيْن المذكورَيْن من الجواب والنهي قراءةُ الحسن، والنخعي، -يعني: يَضُرْكُم، ويَضِرْكُمْ- فإنَّهما نَصٌّ في الجزم ولكنهما محتملتان للجزمِ على الجوابِ أو النهي... وهذه كلُّها لغاتٌ»(٢).

النسبة للغات:

لم أقف على نسبة إلا ما ورد في اللسان أن «يضورني» لغة أهل العالية «ضارَهُ الأَمْرُ يَضُورُه كيَضِيرُه ضَيْرًا وضَورًا، أَي: ضَرَّه، وَزَعَمَ الْكِسَائِيُّ أَنَّه سَمِعَ بَعْضَ أَهل الْعَالِيَةِ يَقُولُون: مَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ وَلَا يَضُورُني. والضَّيْرُ والضَّرُّ وَاحِدٌ. وَيُقَالُ: لَا ضَيْرَ، وَلَا ضَوْر بِمَعْنًى وَاحِدٍ»(٣).

---

(١) المحتسب، لابن جني: ١/٢٢٠.

(٢) الدر المصون: ٤/٤٥٢، ٤٥٣، وانظر روح المعاني: ٤/٤٤.

(٣) لسان العرب «ضرر».

المقاطع الصوتيَّة للقراءات الثلاثة:

أولًا: قراءة الجمهور ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ تتكوَّن من أربعة مقاطع، وبيانها كالتالي: مقطع من النوع الأول، يليه مقطع من النوع الثالث، ثمَّ مقطع من النوع الأوَّل، يليه مقطع من النوع الثالث المتوسط المغلق.

كُم	رُ	ضُرْ	يَ
ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح

أمَّا قراءة النخعي «يَضِرْكُمْ»، وقراءة الحسن «يَضُرْكُمْ» فتتكوَّن كلٌّ منها من ثلاثة مقاطع، وبيانها كالتالي: مقطع من النوع الأول، يليه مقطعان من النوع الثالث المتوسط المغلق.

كُم	ضِرْ	يَ
ص ح ص	ص ح ص	ص ح

إذًا: أدَّى التخفيف إلى نقص مقطعٍ من النوع الأول «ص ح»، كما يلاحظ أنَّ قراءة النخعي شاذَّة لم ترد في السبعة أو العشرة المتواترة، وكذا قراءة الحسن.

﴿فَرَّقُواْ﴾ و«فَرَقُوا»

التخفيف مقابل التضعيف في ﴿فَرَّقُواْ﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ (١).

قرأ الجمهور ﴿بز﴾ بالتضعيف، وقرأ الأخوان: حمزة، والكسائي «فَارَقُوا» بألف بعد الفاء، وتخفيف الراء(٢)، وهي قراءة علي بن أبي طالب كرَّم الله

(١) سورة الأنعام من الآية (١٥٩).

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٣٩/٢، وفتح القدير: ٢٠٨/٢، والبحر المحيط: ٧٠١/٤، وانظر زاد المسير: ٩٦/٢، ومفاتيح الغيب: ٦٤٠/١٢.

وجهه[1]، وقرأ النخعي، وأبو صالح مولى ابن هاني، ويروى عن الأعمش، ويحيى «إنَّ الذِينَ فَرَقُوا دِينَهُم» بالتخفيف[2].

فعندي قراءتان سبعيَّتان هنا: ﴿فَرَّقُواْ﴾ بالتضعيف، و«فَارَقُوا» بألف مع تخفيف الرَّاء، وقراءة شاذَّة، وهي قراءة النخعي.

التوجيه:

معنى ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾: آمَنُوا بِبَعْضٍ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، أي: جعلوا دينهم متفرقًا، فأخذوا ببعضه، وتركوا بعضه، وَقيل: الْمُرَادُ بهم الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وقد ورد في هذا المعنى في اليهود قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤﴾[3]، وَقِيلَ: المراد بهم الْمُشْرِكونَ، عَبَدَ بَعْضُهُمُ الصَّنَمَ، وَبَعْضُهُمُ الْمَلَائِكَةَ. وَقِيلَ: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ[4].

ومعنى «فَارَقُوهُ دينَهم»: مِنَ الْمُفَارَقَةِ، وَالْفِرَاقِ، عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُمْ تَرَكُوا دِينَهُمْ، وَخَرَجُوا عَنْهُ. وَكَانَ عَلِيٌّ –كرَّم الله وجهَه– يَقُولُ: «وَاللَّهِ مَا فَرَّقُوهُ وَلَكِنْ فَارَقُوهُ»، والمعنى متقارب، فإنَّ «فاعَلَ» بمعنى «فَعَّل»، نحو: ضاعَفْتُ الحساب وضعَّفْتُه[5].

والمفارقة: هي التركُ والتخلِيَةُ، ومَنْ فرَّق دينه فآمن ببعضٍ، وكفر ببعضٍ، فقد فارق الدين القيم، وقيل: معنى «فَارَقُوهُ»: تَرَكُوهُ وَبَايِنُوهُ[6]، والمعنى واحدٌ.

---

(١) انظر السابق، ومعاني القرآن، للفرَّاء: ٣٦٦/١.

(٢) انظر المحتسب، لابن جني: ٢٣٨/١، والبحر المحيط: ٧٠١/٤، والدر المصون: ٢٣٥/٥.

(٣) سورة البيّنة الآية (٤).

(٤) فتح القدير: ٢٠٨/٢.

(٥) البحر المحيط: ٧٠١/٤.

(٦) انظر السابق: ٧٠١/٤، والدر المصون: ٢٣٥/٥.

وأمَّا معنى القراءة الثالثة «فَرَقُوا» بالتخفيف، فقد ذكر العلماء فيه احتماليْن:

- **الأول:** أنَّه بمعنى المشدَّد ﴿فَرَّقُواْ﴾[1]:

قال ابن جني: «وقد يحتمل أن يكون معناه معنى القراءة بالتثقيل؛ أي: فرَّقوه، وعضَّوْه، فخالفوا بين بعضه وبعض، وذلك أن «فَعَل» بالتخفيف يكون فيها معنى التثقيل، ووجه هذا: أنَّ الفعل عندنا موضوع على اغتراق جنسه، ألا ترى أنَّ معنى «قام زيد»: كان منه القيام، و«قعد»: كان منه القعود؟ والقيام –كما نعلم– والقعود جنسان، فالفعل –إذًا– على اغتراق جنسه، يدلُّ على ذلك عمله في جميع أجزاء ذلك الجنس من مفرده، ومثنَّاه، ومجموعه، ونكرته، ومعرفته، وما كان في معناه، وذلك قوله: قمت قومة، وقومتين، وألفَ قومة، وقمت قيامًا وقيامًا طويلًا، وجلست جلوسًا وجلوسًا قصيرًا، وقمت القيام الذي تعلم...»[2].

- **الثاني:** أنَّ «فَرَقُوا» بالتخفيف تأويله: أنَّهم مازُوه عن غيره من سائر الأديان[3]، أو فَصَلُوه عن الدين الحق[4].

وأكثر العلماء لم يعلِّق على اعتبار أنَّهما بمعنًى واحدٍ، لكن التعبير بالمضعَّف يعطي للمعنى قوَّةً، وتوغلًا، وهذا لا يخرج المخفف أنَّه في معناه، كما أنَّ المضعَّف أيضًا فيه معنى التمييز، والفصل.

---

(١) ذكر ذلك كثيرٌ من العلماء. انظر فتح القدير: ٢٠٨/٢، والدر المصون: ٢٣٥/٥، والبحر: ٧٠١/٤.

(٢) المحتسب، لابن جني: ٢٣٨/١.

(٣) انظر السابق: ٢٣٨/١.

(٤) الدر المصون: ٢٣٥/٥.

ويتجلَّى الفرق في المقاطع الصوتية بين الثلاثة:

فـ﴿فَرَّقُواْ﴾ يتكوَّن من ثلاثة مقاطع: الأول: «فر» (ص ح ص) متوسط مغلق، والثاني: «ر» (ص ح) قصير مفتوح، والثالث: «قوا» (ص ح ح) متوسط مفتوح.

وأمَّا «فَارَقوا» فتكوَّن من ثلاثة أيضًا: «فَا» (ص ح ح) متوسط مفتوح، و«ر» (ص ح) قصير مفتح، و«قوا» (ص ح ح) متوسط مفتوح.

وأمَّا «فَرَقُوا» فتكون من مقطعيْن: قصير مفتوحين، وثالث متوسط مفتوح، فاتَّحد الجميع في عدد المقاطع، واختلفوا في الترتيب، والأنواع.

١٠-«أُنْبِئُكُم» بتخفيف الباء مقابل ﴿أُنَبِّئُكُم﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾[(١)].

قرأ الجمهور: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ بتشديد الباء، وقرأ ابن وثاب، والنخعي «أُنْبِئُكُم» بالتخفيف[(٢)].

التوجيه:

النَّبَأُ الْخَبَرُ، وَالْجَمْعُ الْأَنْبَاءُ، والمراد بها في الآية: الإخبار، وفي ذلك خطابٌ لليهود الذين سخطوا، وكرهوا، وأنكروا إيمان المؤمنين، فخاطب الله نبيَّه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: بِشَرٍّ مِنْ نَقْمِكُمْ عَلَيْنَا، وَبِشَرٍّ مَا تُرِيدُونَ لَنَا مِنَ الْمَكْرُوهِ ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾[(٣)].

وجاءت القراءة المتواترة بالتشديد ﴿أُنَبِّئُكُم﴾ ، بينما قرأ النخعي بالتخفيف، وهما بمعنى واحدٍ.

---

(١) سورة المائدة من الآية (٦٠).

(٢) انظر البحر المحيط: ٣٠٦/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢٣٢٨/٣، والدر المصون: ٣٢٥/٥.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٨/٣.

وذكر صاحب الدر المصون أن ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ بتشديد الباء من «نَبَّأ»، و«أُنْبِئُكم» بتخفيفها من «أنبأ»، وهما لغتان فصيحتان(١).

وتتكوَّن ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ بالتضعيف من خمسة مقاطع، هي:

«أُ» (ص ح)، «نبـ» (ص ح ص)، «بـ» (ص ح)، «ءُ» (ص ح)، «كم» (ص ح ص).

ثلاثة مقاطع من النوع الأول وهي: الأول، والثالث، والرابع واثنان من النوع الثالث، وهما الثاني، والخامس.

بينما تتكوَّن «أُنْبِئُكُم» بالتخفيف من أربعة، هي:

«أنـ» (ص ح ص)، «بِـ» (ص ح)، «ء» (ص ح)، «كم» (ص ح ص).

مقطعان من النوع الثالث، وهما: الأول والأخير، ومقطعان من النوع الأول، وهما: الثاني والثالث.

(١) الدر المصون: ٥/٣٢٥.

المبحث الثاني

التوجيه الصرفي لقراءة النخعي

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: الفعل الماضي وما يقابله.

المطلب الثاني: اختلاف المعنى لاختلاف الصيغة.

المطلب الثالث: الاشتقاق.

المطلب الرابع: اختلاف صيغة الجمع.

المطلب الخامس: الانفراد مقابل الجمع والعكس.

المطلب الأول

الفعل الماضي وما يقابله

١-فعل ماضي مقابل آخر:

أ_«حَرُمَ» بوزن «فَعُلَ» مقابل ﴿ حُرِّمَ ﴾ بوزن «فُعِّلَ»

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (١).

قراءة الجمهور ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ ، وقرأ عكرمة «حَرَّم»، وأمَّا قراءة النخعي «حَرُم عليكم» مثل: كرم، وشرف، وظرف(٢).

التوجيه:

﴿حُرِّمَ﴾ هذه قراءة الجمهور ببناء الفعل للمجهول، والفاعل هو الله، أو موسى –عليه السلام–؛ لأنَّه صاحب التوراة، أو الأحبار، فقد حرَّموا أشياء لم تكن في التوراة مُحرّمة عليهم، أو الموصول في قوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾؛ لأنَّه كتاب مُنزّل(٣).

وقرأ عكرمة «حَرَّم» مبنيًّا للفاعل، وهو ما سبق.

وقرأ النخعي «حَرُم عليكم» أي: صار حرامًا(٤)، والمعنى واحدٌ، **فقد جاء في معاجم اللغة:** «الحِرْمُ، والحَرامُ: نَقِيضُ الْحَلَالِ، وَجَمْعُهُ حُرُمٌ، وَقَدْ حَرُمَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ حُرْمًا وحَرامًا... وحَرُمَ عَلَيْهِ السَّحورُ حُرْماً، وحَرِمَ لغةٌ»(٥).

---

(١) سورة آل عمران: من الآية (٥٠).

(٢) انظر القراءات في الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٤٤٥/٢، والبحر المحيط: ٦٨/٣، وقراءة «حَرُم» لإبراهيم، ويحيى في مختصر شواذ القرآن: صـ٢٧، بلا نسبة في الكشاف: ٢٣١/١، وروح المعاني: ١٦٤/٢.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن: ١٤٤٥/٢.

(٤) انظر السابق: ١٤٤٥/٢.

(٥) انظر المحكم: ٣٢٦/٣، ولسان العرب «حرم».

ويلاحظ:

١- ﴿حُرِّمَ﴾، و«حَرُم» بمعنى واحد، وقراءة الجمهور جاءت على «فُعِّلَ» مبنيًّا للمفعول، وجاءت قراءة النخعي على «حَرُمَ» بالفعل الماضي الذي على وزن «فَعُل» مثل: شرف، وعظم، أي: صار حرامًا.

٢- قراءة النخعي شاذة، فلم ترد على ألسنة القراء السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، وذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن.

٣- تختلف قراءة النخعي عن قرارة الجمهور في نوع المقاطع، حيث جاءت قراءته ثلاثة مقاطع من القصير المفتوح، وجاءت قراءة الجمهور بمقطع متوسط مغلق، وَلِيَه مقطعان من النوع الأول القصير المفتوح، و بيانها:

حَرُم	ح	ر	م
	ص ح	ص ح	ص ح

حُرِّم	حُر	ر	م
	ص ح ص	ص ح	ص ح

ب_التفاعل مقابل الفعل «تلاقوه» ﴿ تَلَقَوْهُ ﴾

وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾[1].

(١) سورة آل عمران الآية (١٤٣).

قرأ الجمهور ﴿تَلْقَوْهُ﴾، وقرأ النخعي، ويحيى، والزهري، وعزيت للأعمش «تُلَاقَوْهُ»(١).

المعنى والتوجيه:

في الآية الكريمة خطابٌ للمؤمنين؛ والسبب في ذلك: أنَّ رسول الله -ﷺ- خرج في غزوة بدر يريد عير قريش مبادرًا، فلم يوعب الناس معه، إذ كان الظن أنَّه لا يلقى حربًا، فلما قضى الله ببدر ما قضى، وفاز حاضروها بالمنزلة الرفيعة، كان المتخلفون من المؤمنين عنها يتمنَّون حضور قتال الكفار مع النبي -ﷺ-؛ ليكون منهم في ذلك غناء يلحقهم عند ربهم ونبيهم بمنزلة أهل بدر، فلما جاء أمر أُحُد، وحضر القتال لم يَصْدُق كل المؤمنين، فعاتبهم الله بهذه الآية(٢): ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ أي: من قبل القتل، أو من قبل أن تلقوا أسباب الموت.

قرأ الجمهور ﴿تَلْقَوْهُ﴾، وقرأ النخعي «تُلَاقَوْهُ»، والمعنى واحدٌ.

وضَّح ابن جني ذلك: من ذلك قراءة إبراهيم: «مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلاقُوه»، قال أبو الفتح: وجه ذلك أنك إذا لقيتَ الشيء فقد لقيَك هو أيضًا، فلما كان كذلك دخله معنى المُفاعلة؛ كالمُضاربة، والمُقاتلة، وقد جاء ذلك عينه في هذه اللفظة عينها، قالت امرأة:

هل إلَّا الموت يغلي غاليهْ مختلطًا سافله بعاليهْ
لا بد يومًا أنني ملاقيهْ(٣)(٤).

(١) جاءت القراءة منسوبة للنخعي، ويحيى في مختصر شواذ القرآن: صـ٢٩، وله وحده في المحتسب: ١٦٧/١، وله وللزهري في المحرر الوجيز، لابن عطيَّة: ٥١٥/١، والبحر: ٣٦٢/٣، والدر: ٤١٣/٣، وللأعمش في الجامع لأحكام القرآن: ١٥٦٦/٣.

(٢) انظر تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز: ٥١٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٥٦٦/٣.

(٣) الرجز بلا نسبة في الخصائص: ٣١٤/٢، والمحتسب: ١٦٧/١.

(٤) المحتسب: ١٦٧/١.

فـ«تُلَاقَوْهُ» معناه ﴿تَلْقَوْهُ﴾؛ لأنَّ «لقي» يستدعي أن يكون بين اثنين عادةً، وما لقيك فقد لقيته.

قال ابن عطيَّة: «مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلَاقَوْهُ» وهذه والأولى -﴿تَلْقَوْهُ﴾- في المعنى سواء من حيث- لقي- معناه يتضمن أنَّه من اثنين، وإن لم يكن على وزن فاعل»(١).

وقال العكبري: «وَيُقْرَأُ: «تُلَاقُوهُ» وَهُوَ مِنَ الْمُفَاعَلَةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَقِيكَ فَقَدْ لَقِيتَهُ»(٢).

ملاحظات:

١- قراءة النخعي جاءت بصيغة التفاعل، وبنفس معنى قراءة الجمهور، فلهَا وجه صحيح من العربية «تُلَاقُوهُ» ﴿تَلْقَوْهُ﴾.

٢- قراءة النخعي من القراءات الشاذة، حيث لم ترد على ألسنة القراء السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، وقد جاءت في مختصر شواذ القرآن، وكذا في المحتسب، ونسبت له.

٣- أثرت الزيادة في تغير المقاطع، فاختلفت القراءة في عدد مقاطعها الصوتية عن قراءة الجمهور، والبيان كالتالي:

تلاقوه	ت	لا	قو	هـ
	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح

تلقوه	تلـ	قو	هـ
	ص ح ص	ص ح ح	ص ح

(١) المحرر الوجيز: ٥١٥/١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٢٩٥/١، وانظر الدر المصون: ٤١٣/٣، وروح المعاني: ٢٨٥/٢.

٢-«أُدْخِلوا» فعلًا ماضيًا مبنيًّا للمفعول مقابل فعل الأمر ﴿ ٱدْخُلُواْ ﴾

في قوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾[١].

قرأ الجمهور ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾، وقرأ طلحة، وابن وثاب، والنخعي «أُدْخِلوا الجنَّة»[٢].

التوجيه:

أولًا: قراءة الجمهور ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ ﴿ٱدْخُلُواْ﴾ فعل أمر، وهو من قول أهل الأعراف لأهل النار: أهؤلاء الذين في الجنة اليوم هم الذين كنتم تحلفون أنَّهم لا يدخلون الجنَّة، برحمة الله، وفضله ادخلوا الجنة، أي: قالوا لهم، أو قيل لهم: ادخلوا الجنَّة... وقيل المشار إليهم هم أهل الأعراف، وهم القائلون ذلك أيضًا، والمقول لهم الكفار[٣].

ثانيًا: قراءة النخعي ومَنْ معه «أُدْخِلوا» هو من أدخل فعلًا ماضيًا مبنيًّا للمفعول، وعليه يكون قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ على تقدير: مقولًا لهم لا خوف عليكم، والجملة الثانية ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾ في محل نصب بذلك القول[٤] المنصوب على الحال.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٤٩).

(٢) نسب القراءة للنخعي، وطلحة، وابن وثاب، ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤٢/٢، وأبو حيَّان في البحر: ٦٠/٥، والسَّمين الحلبي في الدر: ٣٣/٥، ونسبت لطلحة بن مصرف فقط في المحتسب: ٢٥٠/١، وفي الكامل للهذلي: صـ٥٥٢، ومختصر شواذ القرآن: صـ٤١، وبلا نسبة في التبيان: ٥١/٢/١، وروح المعاني: ٣٦٥/٤.

(٣) تفسير ابن عطيَّة: ٤٠٢/٢، والبحر: ٦٠/٥ وغيرهما.

(٤) انظر البحر: ٦٠/٥، ٦١، والدر: ٣٣٣/٥.

ذكر ابن جني هذا وذكر قبله أنَّ في قوله: «دَخَلُوا الجنَّة»[1]، أو «أُدخِلُوا الجنَّة» كلام مستأنف، قال أبو الفتح: «الذي في هاتَيْن القراءتَيْن –يقصد «دَخَلُوا الجنَّة»، أو «أُدخِلُوا الجنَّة»– أي: فُعِلَ ذلك بهم... وطريق ذلك أن قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ الوقف هنا، ثم يُستأنف فيقال: «دَخَلُوا الجنة»، أو «أُدْخِلُوا الجنة» أي: قد دخَلوا أو أُدخلوا، وإضمار «قد» موجود في الكلام نحو قوله: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾[2] أي: قد حصرت صدورهم؛ أي: فقد دخلوا الجنة، فقال لهم: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾، وقد اتَّسع عنهم حذف القول كقوله تعالى: ﴿يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾[3] أي: يقولون لهم: سلام عليكم... فقوله على هذا: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ جملةٌ لا موضع لها من الإعراب من حيث كانت مرتجلة، وهي في القول الأول منصوبة الموضع على الحال؛ أي: دَخَلُوا الجنَّة أو أُدْخِلوا الجنَّة، مقولًا لهم هذا الكلام الذي هو: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾، وحُذِفَ القول وهو منصوب على الحال، وأقيمَ مقامه قوله: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ فانتصب انتصابه، كما أنَّ قولهم: «كلَّمته فاه إلى فِيّ» منصوبٌ على الحال؛ لأنَّه ناب عن: جاعلًا فاه إلى فِيّ»[4].

وذكر العكبري أيضًا أنَّ هذا الاستئناف، حيث قال: «وَيُقْرَأُ فِي الشَّاذِّ: «وَادْخُلُوا» عَلَى الِاسْتِئْنَافِ»[5].

---

(١) نُسِبت القراءة لعكرمة في المحتسب: ٢٤٩/١، ومختصر شواذ القرآن: صـ٤٩، وتفسير ابن عطيَّة: ٤٠٢/٢، والبحر: ٦٠/٥ وغيرها.

(٢) سورة النساء من الآية (٩٠).

(٣) سورة الرعد من الآية ٢٣، ٢٤.

(٤) المحتسب: ٢٤٩/١، ٢٥٠، ٢٥١.

(٥) التبيان: ٥٧٢/١.

وعليه فيلاحظ الآتي:

١- أنَّ قراءة النخعي لها وجهٌ صحيحٌ من العربيَّة، وذلك بالوقف على ﴿بِرَحۡمَةٖۚ﴾، ثمَّ يستأنف فيقال: «أُدْخِلُوا» وذلك بإضمار «قد»، وهو موجودٌ في الكلام العربي.

٢- قراءة النخعي ذُكِرَت ضمن القراءات الشاذَّة، حيث ذكرها ابن خالويه، وابن جني، والعكبري، والهذلي، وغيرهم، فليست من السبع المتواترة، وكذا العشر، ووجهها يحتاج إلى إضمار وتقدير، وما لا يحتاج إلى إضمار وتقدير أولى ممَّا يحتاج.

٣- لا يوجد لقراءة النخعي أثرٌ في تغيير مقاطع الكلمة عن قراءة الجمهور، والأثر الصوتي يتمثَّل في بناء الفعل للمفعول، وذلك بقلب ضمَّة الخاء إلى كسرة.

٣-جمع مقابل فعل ماضي

«عُبُدَ» مقابل «عَبَدَ»

جمع مقابل ماضي في الآية الكريمة ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾.

فقد نُسِب ابن جني للنخعي، والأعمش، وإبان بن تعلب، وعلي بن صالح، وشيبان أنَّهم قرأوا «وَعُبُدَ الطَّاغوتِ» بضم العين والباء وفتح الدال وخفض «الطَّاغوتِ»(١).

وذكر الفرَّاء أنَّه مثل «ثمار وثُمُر»، ويكون جمع الجمع(٢).

وكذا ذكر الطبري حيث قال: «وَكَأَنَّ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَرَادَ جَمْعَ الْجَمْعِ مِنَ الْعَبْدِ ، كَأَنَّهُ جَمَعَ الْعَبْدَ عَبِيدًا ، ثُمَّ جَمَعَ الْعَبِيدَ عُبُدًا، مِثْلُ: ثِمَارٍ وَثُمُرٍ»(٣).

---

(١) انظر المحتسب: ٢١٤/١.

(٢) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣١٤/١.

(٣) جامع البيان، للطبري: ٤٤/١٠، وانظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ١٨٨/٢، والكشاف، للزمخشري: ٦٢٦/١، وتفسير ابن عطيَّة: ٢١٣/٢.

وقال أبو الفتح: «وأما «عُبُدَ» فجمع عبيد، وأنشد:

انسب العبدَ إلى آبائه   أسود الجلد ومن قوم عُبُد[١]

هكذا قال أبو الحسن، وقد يجوز أن يكون عُبُد جمع عَبْد، كرَهْن ورُهُن، وسَقْف وسُقُف، ومن جهة أحمد بن يحيى: عُبُد جمع عابد، وهذا صحيحٌ، كبازل وبُزُل، وشارف وشُرُف.

وقال أبو الحسن: والمعنى -فيما يقال- خَدمُ الطاغوت»[٢].

ففي نص ابن جني ثلاثة احتمالات للجمع:

- **الأوَّل:** جمع عبيد.
- **الثاني:** جمع عَبْدٍ كرَهْنٍ ورُهُن.
- **الثالث:** جمع «عابد»، وهو ما رجَّحه ابن جني نقلًا عن أحمد بن يحيى، حيث قال: «وهذا صحيحٌ، كبازل وبُزُل، وشارف وشُرُف»، ونقل ذلك ابن عطيَّة عن أحمد بن يحيى أيضًا[٣].
- **وذكر العكبري التوجيهات السابقة، وأضاف توجيهًا رابعًا للجمع، وهو -أي الرابع-:** جمع «عِبَاد» مثل: «كِتَاب وكُتُب»، فيكون جمع جمع كثِمَار وثُمُر[٤].

ملاحظات:

١- قراءة النخعي «عُبُدَ الطَّاغوتِ» جاءت جمعًا مقابل الفعل «عَبَدَ» الماضي عند جمهور القرَّاء كما سبق، وهو وإن كان جمعًا، إلا أنَّ العلماء اختلفوا فيه، هل جمع «عبيد»، أو جمع «عبد»، أو جمع

---

(١) من بحر المديد، ولم أقف على قائله في تفسير ابن عطيَّة: ٢/٢١٣، واللسان «عبد»، والبحر: ٤/٣٠٨.

(٢) المحتسب: ١/٢١٥.

(٣) تفسير ابن عطيَّة= المحرر الوجيز: ٢/٢١٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن: ١/٤٤٨.

«عابد»، أو جمع «عِبَاد»؟ وهذا ما دفع بعض العلماء إلى إنكار القراءة.

قال الراغب: «فمن قرأ «عُبُد» فليس بوجهٍ عند أهل العربيَّة؛ لأنَّه ليس من أمثلة الجمع»(١).

ويُرَد عليه: بأنَّه من أمثلة الجمع في العربيَّة، وهذا واضحٌ ممَّا ذكره العلماء في أثناء عرض البحث لتوجيه القراءة.

٢- القراءة المذكورة لم ترد على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، فهي قراءةٌ شاذَّةٌ.

٣- روي للنخعي في الكلمة «عَبَدَ» قراءة البناء للمفعول، وقراءة الجمع، وهما موافقتان لرسم المصحف رغم شذوذهما.

فَعَل وفَاعَلَ باختلاف المعنى:

أ-«آتوا» بالمد مقابل ﴿ أَتَوۡاْ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾(٢).

هذه القراءة السبعيَّة، وهي ما عليه جمهور القرَّاء، وقرأ النخعي «بِمَا آتَوْا» بالمد، وكذا قرأ مروان بن الحكم، والأعمش(٣).

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني: ٣٨٩/٥.

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٨٨).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٦٤٩/٣، والبحر المحيط: ٤٦٨/٣، وروح المعاني ٢٤٤/٩، والدر المصون، للسمين الحلبي: ٥٣٠/٣، وفي مختصر شواذ القراءات القراءة منسوبة للأعمش: صـ٣٠، ولا توجد نسبة للقراءة الثانية في مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٦١٥/٨، والكشاف: ٤٨٧/١، وروح المعاني: ٢٦١/٢.

التوجيه:

يختلف المعنى هنا باختلاف القراءة، والمعنى على القراءة الأولى السبعيَّة ﴿بِمَآ أَتَواْ﴾ أي: بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْكَذِبِ وَالْكِتْمَانِ، فقد نزلت الآية في أهل الكتاب الذين أخذ عليهم الميثاق أن يبيّنوا للناس ولا يكتمون، فنبذوا ذلك وطرحوه وراء ظهورهم، فقد أمروا بالإيمان بمحمدٍ –صلى الله عليه وسلم– وبيان أمره، فكتموا نعته، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]....[2].

وتفسَّر بمعنى «فعلوا» فـ«أتى وجاء» يستعملان بمعنى «فعل»[3].

وقراءة النخعي بالمد تكون «آتَوْا» بمعنى أعطوا[4]، فالإيتاء: الإعطاء، وآتى يؤاتي إيتاءً وآتاه إيتاءً، أي: أعطاه[5].

ب–«أَتَوْا» مقابل ﴿ءَاتَواْ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[6].

القراءة بالمد هي السبعيَّة المشهورة، وقرأت عائشة، وابن عباس، وقتادة، والأعمش، والحسن، والنخعي: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا أَتَوْا» بالقصر[7].

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١٨٧).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن: ١٦٤٩/٣.

(٣) الكشاف: ٤٨٧/١.

(٤) انظر السابق، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ١٩٣/١، وغيرها.

(٥) راجع «أتى» في لسان العرب.

(٦) سورة المؤمنون من الآية (٦٠).

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن: ١٣٣/١٢، والبحر المحيط: ٥٦٩/٧، ونسبت القراءة لعائشة رضي الله عنها، والحسن، والأعمش في الدر المصون: ٣٥٣/٨، وانظر زاد المسير: ٢٦٥/٣، وإعراب القرآن، للزجاج: ١٦/٤، ١٧، ومعاني القرآن، للفراء: ١٧٦/٢، وانظر مختصر شواذ القراءات: صـ١٠٠.

توجيه القراءتين:

١- معنى القراءة الأولى السبعيَّة ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ بالمد، أي: من الإيتاء، أي: يُعطون ما أَعْطَوا وهم يخافون ألَّا يُتقبَّل منهم، ما أعطوا من الزكاة والصدقة، وقلوبهم خائفة ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ أي: لأنهم يوقنون أنهم يرجعون[١]، أو يُؤْتُونَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْأَعْمَالَ عَلَى الْعِبَادِ ﴿مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، فَحُذِفَ مَفْعُولٌ فِي هَذَا الْبَابِ لِوُضُوحِ مَعْنَاهُ، كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ -عَزَّ وجل-: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾[٢] وَالْمَعْنَى: يَعْصِرُونَ السِّمْسِمَ وَالْعِنَبَ، فَاخْتُزِلَ الْمَفْعُولُ لِوُضُوحِ تَأْوِيلِهِ[٣].

٢- معنى القراءة الثانية بالقصر، وهي قراءة عائشة -رضي الله عنها- والنخعي: «يَأْتُونَ مَا أَتَوْا» أي: يعملون الخيرات وقلوبُهم خَائِفة أن يكونوا مع اجتهادهم مقصرين[٤]، أي: يفعلون ما فعلوا، وعن عائشة أنَّها قالت: قلت يا رسول الله، هو الذي يزنى، ويسرق، ويشرب الخمر، وهو على ذلك يخاف الله؟ قال: لا يا ابنة الصدّيق الذي يصلى ويصوم ويتصدّق، وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه»[٥]....»[٦].

---

(١) انظر إعراب القرآن، للزجاج: ١٧/٤، وزاد المسير: ٢٦٥/٣.

(٢) سورة يوسف من الآية (٤٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٣/١٢.

(٤) انظر إعراب القرآن للزجاج: ١٧/٤، وزاد المسير: ٢٦٥/٣.

(٥) الحديث أخرجه الترمذي برقم (٣١٧٥)، وابن ماجة برقم (٤١٩٨)، وأحمد: ٢٠٥/٦، وغيرهم.

(٦) انظر الكشاف: ٣٥/٣.

يلاحظ الآتي:

١- قرأ النخعي في الآية الأولى بالمد مقابل القصر، والمعنى مختلف عن قراءة الجمهور، فقراءة الجمهور بمعنى: بما جاءوا به من الكذب، والكتمان وهم أهل الكتاب، وأمَّا قراءة النخعي بمعنى: بما أعطوا، وفي الآية الثانية ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ قرأ النخعي بالقصر، بينما قرا الجمهور بالمد، ومعنى ﴿ءَاتَوا۟﴾ بالمد من الإيتاء، أي: يعطون ما أعطوا، وأمَّا قراءة النخعي «يَأْتُونَ مَا أَتَوْا» من الإتيان، أي: يفعلون ما فعلوا.

٢- قراءة النخعي جاءت ضمن القراءات الشاذَّة في الآية الأولى، فلم ترد على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة، ونسبت للأعمش في مختصر شواذ القرآن(١). وفي الآية الثانية ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ قرأ النخعي بالقصر وهي قراءة شاذَّة لم ترد في السبعة أو العشرة المتواترة، ونسبت لعائشة في مختصر شواذ القرآن(٢).

(١) مختصر شواذ القرآن: صـ٣٠.

(٢) السابق: صـ١٠٠.

المطلب الثاني

اختلاف المعنى لاختلاف الصيغة

فعل وأفعل باختلاف المعنى:

«ألا تَقْسِطُوا» مقابل ﴿أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾(١).

حيث قرأ الجمهور ﴿أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾ بضم التاء من «أقسط»، وقرأ النخعي، وابن وثاب «ألا تَقْسِطُوا» بفتح التاء من «قسط»(٢).

المعنى والتوجيه:

يخاطب الحق –سبحانه وتعالى– أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولاياتهم، وتدفعهم الرغبة أن يتزوجوا منهنَّ فيريدون أن يبخسوهن في المهر لمكان ولايتهم عليهن، بأن قيل لهم: أقسطوا في مهورهن، فمن خاف ألا يُقْسط، فليتزوج ما طاب له من الأجنبيات غيرهنَّ(٣).

وقرأ الجمهور ﴿تُقْسِطُواْ﴾ بضم التاء من «أقسط» أي: عدل، والمعنى إن خفتم ألا تعدلوا، ومعنى ﴿خِفْتُمْ﴾: ظننتم، أو أيقنتم، وتكون «لا» على هذه القراءة نافية، وإن خفتم عدم الإقساط(٤).

---

(١) سورة النساء من الآية (٣).

(٢) نسب القراءة للنخعي، وابن وثاب ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن: صـ٣١، وابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز: ٦/٢، والقرطبي في تفسيره: ١٦٧٨/٢، ونسبت في المحتسب لهما، وللأعمش: ١٨٠/١، ولهما فقط في البحر: ٥٠٦/٣، وفي الدر: ٥٦٠/٣، وللنخعي فقط في روح المعاني للألوسي: ٤٠٦/٢.

(٣) انظر المعنى في المحرر الوجيز: ٦/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٦٧٧/٢، ١٦٧٨، وغيرهما.

(٤) انظر الدر المصون: ٥٦٠/٣ وغيره.

وأمَّا قراءة النخعي ومَنْ سار على نهجه «تَقْسِطوا» بفتح التاء، فمن «قسط» الثلاثي بمعنى: جار، وكأنَّ الهمزة فيه للسلب، فمعنى «أقسط»: أزال القسط، وهو الجور، وتكون «لا» زائدة وإلا فسد المعنى.

قال العكبري: «الْجُمْهُورُ عَلَى ضَمِّ التَّاءِ، وَهُوَ مِنْ «أَقْسَطَ» إِذَا عَدَلَ، وَقُرِئَ شَاذًّا بِفَتْحِهَا، وَهُوَ مِنْ «قَسَطَ» إِذَا جَارَ، وَتَكُونُ «لَا» زَائِدَةً»(١).

وقال أبو الفتح ابن جني: «ومن ذلك ما رواه المفضل عن الأعمش عن يحيى وإبراهيم وأصحابه: «ألا تَقْسِطُوا» بفتح التاء.

قال ابن مجاهد: ولا أصل له.

قال أبو الفتح: هذا الذي أنكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر، وذلك على زيادة «لا»، حتى كأنَّه قال: «وإن خفتم أن تَقْسطوا في اليتامى» أي: تجوروا. يقال: قسط: إذا جاز، وأقسط: إذا عدل. قال الله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾(٢)، وزيادة «لا» قد شاعت عنهم واتسعت، منه قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٣)، وقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾(٤) فيمن ذهب إلى زيادة «لا»، وقال: معناه: «وما يشعركم أنَّها إذا جاءت يؤمنون»، وعليه قول الراجز:

وما ألوم البيض ألَّا تَسْخَرَا إذا رأين الشَّمَطَ القَفَنْدَرا(٥)

أي: أن تسخر، والأمر فيه أوسع، فبهذا يعلم صحة هذه القراءة»(٦).

---

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٣٣٨/١.

(٢) سورة الجن من الآية (١٥).

(٣) سورة الحديد من الآية (٢٩).

(٤) سورة الأنعام من الآية (١٠٩).

(٥) الرجز، لأبي النجم في الخصائص، لابن جني: ٢٨٣/٢، ومعنى الشمط: الشيب، والقفندر: القبيح.

(٦) المحتسب: ١٨٠/١، ١٨١.

وذكر الزجَّاج أن «قسط» الثلاثي، يستعمل استعمال «أقسط» الرباعي، وعليه فتكون «لا» غير زائدة(١).

لكن الصواب والمشهور أنَّ التفرقة هي المعروفة في اللغة، فـ«قسط» بمعنى جار، و«أقسط» بمعنى: عدل.

ملاحظات:

١- لقراءة النخعي وجه صحيح من العربية، ولا يؤدي النطق بها مع زيادة «لا» إلى فساد المعنى، لكن «قسط» جار، و«أقسط» وبزيادة «لا» يكون المعنى: وإن خفتم أن تجوروا.

٢- قراءة النخعي قراءة شاذَّة، فقد حكم عليها العكبري بذلك، كما ذكرت في مختصر شواذ القرآن، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات.

٣- لا يظهر أي تأثير على المقاطع في أي من القراءتين: ﴿تُقْسِطُواْ﴾ و«تَقْسِطُوا» في حالة المضارع، مع أنَّ هذه «أقسط»، وتلك من «قسط».

نَصليه في مقابل ﴿ نُصْلِيهِ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾(٢).

قرأ الجمهور ﴿نُصْلِيهِ نَارًا﴾ من «أصْلَى» بضم النون، وقرأ النخعي، والأعمش بفتحها(٣).

(١) انظر فتح القدير: ٤٨٢/١، والدر المصون: ٥٦٠/٣.

(٢) سورة النساء من الآية (٣٠).

(٣) انظر المحتسب، بن جني: ١٨٦/١، والبحر المحيط: ٦١٣/٣، وفتح القدير: ٥٢٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٢٣/٢، وبلا نسبة في معاني القرآن، للفراء: ٢٦٣/١، والدر المصون بلا نسبة: ٦٦٤/٣.

التوجيه:

ذكر الفرَّاء أنهما لغتان، وقد قُرئتا من «صَلَيْتُ وأَصْلَيْتُ». وكأنَّ «صَليتُ» تُصْليه على النَّار، وكأنَّ أصْلَيْت: جعلتُه يَصْلَاهَا(١).

وذكر ابن جني أنَّهما من «صَلِيَ»، لكنَّه فرَّق بينهما، ولم يبعد عمَّا ذكر الفرَّاء، حيث قال: «ومن ذلك قراءة إبراهيم، والأعمش، وحُميد: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ بفتح النون، وسكون الصاد... يُروى في الحديث: «أنَّه أُتِيَ بشاة مَصْلِيَّة»(٢) أي: مشوية، يقال: صلاه يصليه: إذا شواه، ويكون منقولًا من «صَلِي نارًا وصَلَيتُه نارًا»، كقولك: كَسِي ثوبًا وكَسَوتُه ثوبًا، ومثله... وعليه قوله: **وصالياتٍ ككَما يؤثفَيْن**(٣)

فهذا من صلي.

فأما قراءة العامة: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ بضم النون، فهو منقول من «صلِي» أيضًا، إلا أنَّه نُقل بالهمزة لا بالمثال، كقولك: «طعِم خبزًا، وأطعمته خبزًا»،... والصَّلَى: النار منه، وهو من الياء لقولهم: صلَيْتُه نارًا»(٤).

ويلاحظ الآتي:

١- قراءة النخعي شاذة؛ حيث لم ترد على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم.

٢- قراءة الجمهور من: «أصلى»، بينما قراءة النخعي من «صلى».

---

(١) معاني القرآن، للفراء: ٢٦٣/١.

(٢) الحديث في المراجع السابقة أجزاء منه.

(٣) الرجز، لخطام المجاشعي في الكتاب: ١٣/١، ٢٠٣، ٣٣١/٢، والمحتسب: ١٨٦/١.

(٤) المحتسب، لابن جني: ١٨٦/١، ١٨٧.

«تُصْغِي» مقابل «تَصْغَى»:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾(١).

قرأ الجمهور ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾، بينما قرأ النخعي «ولِتُصْغِي» بضم التاء وكسر الصاد من «أصغى يُصغِي»، وكذا قرأ الجراح بن عبد الله(٢).

المعنى والتوجيه:

قرأ الجمهور ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾، وذلك بفتح التاء والغين، ومعناه: تميل إليه، والمقصود بما يُمال إليه ما ذكرته الآية السابقة لهذه الآية الكريمة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الآية(٣). أي: أنَّ المتمرد من الإنس والجن ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يلقي بعضهم إلى بعضٍ، ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعني: محسنه ومزينه بالأباطيل، فتميل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة إلى زخرف القول الذي توحي به.

والجذر «صغى» يفيد معنى الميل، فصَاغِيَةُ الرَّجُلِ: قرابته الَّذِينَ يميلونَ إِلَيْهِ، وعين صغوى، أي: مائلة، وأَصْغَتِ الناقةُ إِذَا أَمالتْ برأْسِها كأَنها تَسْمع شَيْئًا حِينَ يَشُدُّ عَلَيْهَا الرحْل(٤).

يقال: صَغَوْتُ وصَغَيْتُ وصَغِيتُ، فاللام واو، أو ياء، ومع الياء تكسر عين الماضي، وتفتح... وصغا إليه يَصْغَى ويَصْغُو صغوًا وصُغُوًّا وصَغِيَ يَصْغَى صَغْيًا(٥).

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١١٣).

(٢) انظر المحرر الوجيز، لابن عطيَّة: ٣٣٧/٢، والبحر المحيط: ٦٢٦/٤، والدر المصون: ١٢٠/٥.

(٣) سورة الأنعام الآية (١١٢).

(٤) انظر لسان العرب، مادة «ص غ ا».

(٥) انظر لسان العرب، مادة «ص غ ا»، والدر المصون، للسمين: ١١٩/٥.

فالمعنى واضح في قراءة الجماعة، والفعل ثلاثي بمعنى تميل إليه.

وقرأ النخعي «ولِتُصْغِي» وقد ذكر العلماء أنَّها من «أصغى» رباعيًّا(١)، ونصَّ كثيرٌ من العلماء على أن «صَغَى»، و«أصغى» بمعنى واحدٍ.

قال ابن قتيبة: «صغوت إلى الرجز، وأصغيت إذا ملت بإذنك وسمعت له»(٢)، وكذا ذكر الزجاج، والسرقسطي، وابن سيده، والجواليقي(٣).

وفرق الأصمعي بين الصيغتين في المعنى، فقد نقل أبو حاتم عنه: صغا يصغو إذا فعل هو، أي: ملك ميله، وأمَّا صغى يَصغى فهو في الخلقة مثل قولك: مال يميل ميلًا، وأصغيته أنا، إذا أملته(٤).

ملاحظات:

١- أرى أنَّ ما ذهب إليه الأصمعي هو الصواب، حيث اختصاص كل صيغة بمعنى، وأنَّ الهمزة في الرباعي للتعدية.

٢- قراءة النخعي شاذَّة، حيث لم ترد على ألسنة السبعة المتواترة قراءاتهم، وكذا العشرة.

٣- في قراءة النخعي ما يفيد أن زخرف القول وتزيينه يميل الأفئدة إلى سماعه.

---

(١) انظر المحرر الوجيز: ٣٣٧/٢، والبحر: ٦٢٦/٤، والدر المصون: ١٢٠/٥.

(٢) أدب الكاتب، لابن قتيبة: صـ٢٨٨.

(٣) انظر فعلت وأفعلت، للزجاج: صـ٥٧، والأفعال للسرقسطي: ٣٨٣/٣، والمخصص: ٣٨٣/١٤، وما جاء على «فعلت وأفعلت»: صـ٥.

(٤) فعلت وأفعلت، لأبي حاتم: صـ١٧٠.

المطلب الثالث

الاشتقاق

١- اسم فاعل مقابل اسم فاعل: «مُتَفَعِّل» مقابل «مُتَفَاعِل»

«مُتَجَنِّف» في مقابل ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ ، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾(١).

قرأ الجمهور ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ بألف وتخفيف النون، وقرأ أبو عبد الرحمن، والنخعي، وكذا يحيى بن وثاب «مُتَجَنِّف» بتشديد النون دون ألف(٢).

التوجيه:

تتحدَّث الآية الكريمة عمَّا يحرم على الإنسان تناوله من أنواع اللحوم، إلا في حال المجاعة، فإنَّه يجوز له بقدر الحاجة، شريطة ألا يكون متجانفًا لإثم، نتمايل أو مائل متعمد، فالجَنَف: المَيلُ في الكلام، وفي كل الأمور(٣).

وقد قرأ الجمهور ﴿مُتَجَانِفٍ﴾، وقرأ النخعي «غير مُتَجَنِّف»، والمعنى واحدٌ، إلا أنَّ «مُتَجَنِّف» أقوى وأبلغ من ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ في المعنى، وذلك ؛لأنَّ تشديد العين يدل على مبالغة وتوغل في المعنى(٤).

قال أبو الفتح: كأنَّ «متجنفًا» أبلغ وأقوى معنى من ﴿مُتَجَانِفٍ﴾؛ وذلك لتشديد العين، وموضوعها لقوَّة المعنى بها نحو: «تَصَوَّن» هو أبلغ من «تَصَاوَن»؛ لأنَّ «تَصَوَّن» أوغل في ذلك، فصحَّ له وعُرِف به، وأمَّا

---

(١) سورة المائدة من الآية (٣).

(٢) انظر المحتسب: ٢٠٧/١، حيث نسب القراءة للنخعي، ويحيى، وفتح القدير للشوكاني: ١٤/٢، ونسبها للثلاثة، بينما نسبها لأبي عبد الرحمن، والنخعي السَّمين الحلبي في الدر المصون: ٢٠٠/٤.

(٣) انظر العين، للخليل: ١٤٣/٦، واللسان «جنف».

(٤) انظر المحتسب: ٢٠٧/١، والدر المصون: ٢٠٠/٤.

«تَصَاوَن» فكأنَّه أظهر من ذلك، وقد يكون عليه، وكثيرًا ما لا يكون عليه، ألا ترى إلى قوله:

إذا تخازرتُ وما بي من خَزر(١)

فصار «متجنِّف» بمعنى: مُتَمَيِّل، ومتَثَنٍّ، و«متجانف» كمتمايل، و«متأوِّد» أبلغ من «متاوِد»(٢).

وما ذهب إليه ابن جني وغيره صحيح من ناحية قوَّة المعنى وتوغله في «مُتَجَنِّف»؛ لتضعيف العين، وأنَّها أبلغ وأقوى معنى من ﴿مُتَجَانِفٍ﴾، لكن المقصود من الآية الكريمة ليس قوة الميل، وإنَّما مجرد الميل، وهو ما يناسب استخدام لفظ﴿مُتَجَانِفٍ﴾، والتي تفيد مجرد الميل إلى الإثم والحرمة، وذلك يدل على روعة استخدام اللفظ، ودقَّة اختياره في القراءة المتواترة، والتي عليها جمهور القراء.

المقاطع الصوتية للفظتين:

اللفظة الأولى: ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ تتكوَّن من مقطعين من النوع الأول القصير المفتوح (ص ح)، وذلك في (م/ ت)، ومقطع متوسط مفتوح (جا) ص ح ح، ومقطع متوسط مغلق (نف) ص ح ص.

واللفظة الثانية: «مُتَجَنِّف» تتكون من مقطعيْن من النوع الأول (ص ح) ومقطعين من النوع الثالث متوسط مغلق (ص ح ص) (جن) (نف) وذلك في حال الوقف.

(١) لم أقف على قائله، وانظر الكتاب: ٢٣٩/٢، والمحتسب: ٢٠٧/١، واللسان «حزر».
(٢) المحتسب، لابن جني: ٢٠٧/١.

٢-المصدر مقابل الهيئة:

الفتح مقابل الكسر للشين في ﴿شِرْعَةً﴾، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١).

قرأ الجمهور ﴿شِرْعَةً﴾ بكسر الشين، وقرأ النخعي، ويحيى بن وثّاب «شَرْعة» بفتح الشين(٢).

المعنى والتوجيه:

الشِّرْعةُ والشريعةُ: مَا سنَّ اللهُ مِنَ الدِّين وأَمَر بِهِ، كَالصَّوْمِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالزَّكَاةِ، وَسَائِرِ أَعمال البرّ(٣)، وهي الطريق الواضح.

وأصل الشريعة والشرعة: مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الْمَاءَ. وَاشْتُقَّ مِنْ ذَلِكَ الشِّرْعَةُ فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ(٤)، واستعملت هنا لتكون سبيلًا موصلًا إلى ما هو سبب الحياة الأبديَّة، كما أنَّ الماء سبب للحياة الفانية، فمن شرع في ذلك على الحقيقة روي وتطهر، وقد قال بعض الحكماء: كنت أشرب فلا أروى، فلما عرفت الله -تعالى- رويت بلا شرب(٥).

---

(١) سورة المائدة من الآية (٤٨).

(٢) نسب القراءة للنخعي، ويحيى ابن عطيَّة في المحرر الوجيز: ٢٠١/٢، وأبو حيان في البحر: ٢٨٤/٤، والسمين في الدر المصون: ٢٩٢/٤، والألوسي في روح المعاني: ٢٢١/٣، ونسبت ليحيى فقط في مختصر شواذ القرآن: صـ٣٨، والكشاف: ٦١٨/١.

(٣) انظر العين: ٢٥٣/١، والجمهرة: ٣٤٣/٢، ولسان العرب «شرع».

(٤) انظر مقاييس اللغة: ٣٦٢/٣، واللسان «شرع»، وانظر العين: ٢٥٣/١، والجمهرة: ٣٤٣/٢.

(٥) روح المعاني: ٣٢١/٣.

وفي الآية الكريمة تحذير من الله –تعالى– لنبيِّه من اتباع اليهود والنصارى في أهوائهم أي: شهواتهم وإرادتهم التي هي هوى وسول للنفس، والنفس أمّارة بالسوء ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾(١).

إذًا: المعنى واضحٌ في قراءة الجمهور ﴿شِرۡعَةٗ﴾ بكسر الشين، أمَّا قراءة النخعي «شَرْعَة» فلم أقف فيما رجعت إليه من كتب اللغة والمعاجم أنَّها تعني ﴿شِرۡعَةٗ﴾ بالكسر، عدا ما ذكره السَّمين الحلبي في قوله: «وقرأ إبراهيم النخعي، ويحيى بن وثّاب: «شَرْعة» بفتح الشين، كأن المكسور للهيئة والمفتوح مصدر»(٢).

ويلاحظ الآتي:

١– قراءة النخعي جاءت بالتعبير بالمصدر، بينما جاءت قراءة الجمهور بالتعبير بالهيئة.

٢– قراءة النخعي وردت ضمن الشواذ، حيث لم ترد على ألسنة السبعة أو العشرة المتواترة قراءتهم، وقد ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن، منسوبة ليحيى بن وثاب.

٣–اسم فاعل مقابل مصدر

أ– «مُجرِيها ومُرسِيها» مقابل ﴿مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ وذلك في ﴿مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ من قوله تعالى: ﴿* وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾(٣).

(١) انظر تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز: ٢/٢٠٠.

(٢) الدر المصون: ٤/٢٩٢.

(٣) سورة هود الآية رقم (٤١).

جاء في اللفظتين الكريمتين قراءات لجمهور القرَّاء هي: أنَّ ﴿مَجْرِيهَا﴾ بفتح الميم مع كسر الراء، وهي قراءة حفص عن عاصم(١)، وكذا قرأ حمزة، والكسائي، وكان ابن كثير، وابن عامر يفتحان الراء من «مَجْرَاها» والسين من «مُرْسَاهَا»، وكان نافع، وعاصم في رواية أبي بكر يقرأ بها بين الكسرة والتفخيم، وكان أبو عمرو، وحمزة، والكسائي يميلون الراء من «مُجْرِيها»(٢).

وقال ابن الجزري: «وَاخْتَلَفُوا فِي: «مَجْرَاهَا» فَقَرَأَهَا حَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَحَفْصٌ، بِفَتْحِ الْمِيمِ... وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ الْمِيمِ»(٣).

واتَّفق السبعة على ضمِّ ميم ﴿وَمُرْسَاهَا﴾(٤).

وفي المحرَّر الوجيز: «قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر: «مُجْرَاهَا ومُرْسَاهَا» بضم الميم... وهي قراءة مجاهد، وأبي رجاء، والحسن، والأعرج»(٥).

وقال الزجَّاج: «قرئت «مَجْرَاها» بفتح الميم، و«مُرسَاهَا» بضم الميم. وقرئت «مُجْراها ومُرْسَاها» بضم الميمين جميعًا. ويجوز «مَجْرَاها ومَرْسَاها»، وكلٌّ صواب»(٦).

أمَّا قراءة النخعي، فقد قرأ «مُجْرِيها ومُرْسِيها» بضم الميم وكسر الراء في «مُجْرِيها» والسين في «مُرْسِيها» بعدهما ياء بدل الألف، وهي قراءة الضحَّاك،

---

(١) انظر إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه: ٢٨٠/١، والسبعة، لابن مجاهد: صـ٣٣٣.

(٢) انظر السبعة: صـ٣٣٣.

(٣) النشر في القراءات العشر: ٢١٦/٢.

(٤) انظر حجة القراءات، لأبي زرعة: صـ٣٤٠، وزاد المسير: ٣٧٤/٢، والدر المصون: ٣٢٦/٦.

(٥) المحرر الوجيز= تفسير ابن عطيَّة: ١٧٣/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٥٢/٣، وانظر زاد المسير: ٣٧٤/٢.

وابن وثاب، وأبي رجاء العطاردي، والجحدري، والكلبي، ومسلم بن جندب[١]، وأهل الشام[٢]، وهي أيضًا قراءة الحسن[٣]، وكذا قرأ قتادة، وحميد الأعرج، وإسماعيل بن مجالد عن عاصم[٤].

التوجيه:

أولًا: قراءات الجمهور:

مَنْ قرأ بضم الميمين فيكون المعنى على معنى إجرائها وإرسائها، وهو مصدر أجريت مجرى، وأرسيت مرسى، ويكون ﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ظرفين، أي: وقت إجرائها وإرسائها، وقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ يصح أن يكون في موضع الحال من الضمير الذي في قوله: ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾... ويصح أن يكون قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع خبر و﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ابتداءً مصدران كأنَّه قال: اركبوا فيها فإن ببركة الله إجراءها وإرساءها[٥].

قال ابن منظور: «وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، هُمَا مَصْدَرَانِ مِنْ أُجْرِيَتِ السفينةُ وأُرْسِيَتْ»[٦].

وذكر أبو زرعة دليلًا آخر للقراءة بالضم: وهو إجماع الجميع على ضم ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه[٧].

---

(١) انظر تفسير ابن عطية: ١٧٣/٣، والبحر: ١٥٦/٦، وانظر فتح القدير، للشوكاني: ٥٦٦/٢، حيث ذكر الجميع ما عدا النخعي.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١٧٣/٣.

(٣) انظر إتحاف فضلاء البشر، للبنا: ١٢٦/٢، وانظر زاد المسير: ٣٧٤/٢.

(٤) زاد المسير: ٣٧٤/٢.

(٥) انظر تفسير ابن عطية: ١٧٢/٣.

(٦) لسان العرب، مادة «ج ر ا».

(٧) حجة القراءات، لأبي زرعة: صـ٣٤٠.

ومَنْ قرأ بفتح الميم جعله مصدرًا لجرى مجرى، وكذا من فتح الميم في «مَرْسَاها» فتكون من الجري والرسو، وهذه ظرفيَّة مكان.

وقال ابن منظور أيضًا: «ومَجْرَاها ومَرْساها»، بِالْفَتْحِ، مِنْ جَرَتِ السفينةُ ورَسَتْ»(١).

وقال الزجَّاج: «وكل صواب حسن. فأمَّا مَنْ قرأ «مَجْرَاهَا» بفتح الميم، فالمعنى جَرْيُها ومُرْسَاها... وبالله يقع إرساؤها، أي إقْرارها، ومَنْ قرأ «مُجْراها ومُرْسَاهَا»، فمعنى ذلك: بالله إجراؤها، وبالله إرْسَاؤها، يقال: أجرَيْتُهُ مُجْرى وإجْراءً في معنًى واحدٍ. ومَنْ قال: «مَجرَاها ومَرسَاهَا»، فهو على جَرَتْ جَرْيًا ومَجرى، وَرَسَتْ رسُوًّا ومَرْسىً، والْمُرسَى: مستقرها، والمعنى: أنَّ الله –جلَّ وعزَّ– أمَرَهُمْ أن يُسَمُّوا في وقت جريها، ووقت استقرارها»(٢).

وقال ابن خالويه: «قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: و﴿مَجْرِيهَا﴾ بالإمالة وفتح الميم، والباقون: «مُجْرَاها» بضم الميم، وهما مصدران، فمَنْ فتح الميم جعله مصدرًا لجرى مجرى، ومَنْ ضمَّ جعله مصدرًا لأجريته، والمصدر من أفعل مُفْعَل، وإفْعَالٌ»(٣).

وعلَّل الفارسي القراءة بالفتح في «مَجْرَاهَا» بأنَّ حجَّته ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾(٤)، ولو كان «مُجْرَاها» لكان «وهي تُجْريهم»، وحجَّة من ضمَّ بأنهما يتقاربان، وجَرَيْتُ بِهِ وأَجْرَيْتُهُ، مثل: ذهبت به وأذهبته(٥).

---

(١) لسان العرب، مادة «ج ر ا».

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٥٢/٣.

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها: ٢٨٠/١.

(٤) سورة هود من الآية (٤٢).

(٥) انظر الحجة للقراء السبعة: ٣٣١/٤، ٣٣٢، وانظر مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٥٣٠/١٦.

ورجَّح الطبري قراءة الفتح في «مَجْرَاهَا»؛ لِقُرْبِ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾، وَفِي إِجْمَاعِهِمْ عَلَى قِرَاءَةِ ﴿تَجْرِي﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ الْوَجْهَ فِي «مَجْرَاهَا» فَتْحُ الْمِيمِ. كما رجَّح قراءة الضَّمِّ فِي «مُرْسَاهَا»؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى ضَمِّهَا. وَمَعْنَى «مَجْرَاهَا»: مَسِيرَهَا، «وَمُرْسَاهَا»: وَقْفَهَا، مِنْ وَقَفَهَا اللَّهُ وَأَرْسَاهَا(١).

ثانيًا: قراءة النخعي ومَنْ سار على نهجه من القرَّاء المشار إليهم سابقًا «مُجْرِيهَا ومُرسِيهَا» بضمِّ الميم وكسر الراء وياء بعدها، وكذا «مُرسِيهَا» بضم الميم وكسر السين وياء بعدها صريحة، فتوجَّه على أنَّ كلًّا من «مُجْرِيهَا ومُرسِيهَا» اسم فاعل من «أجرى وأرسى»، ويكون اسم الفاعل من الرباعي بإبدال حرف المضارعة ميمًا وكسر ما قبل الآخر، فلما كُسِر ما قبل الآخر أُبدلت الألف المكسور ما قبلها إلى ياء صريحة.

ففي الإتحاف: «وعن الحسن: «مُجْرِيهَا ومُرسِيهَا» بياء ساكنة فيهما، بدل الألف مع كسر الراء والسين أسماء فاعلين من أجرى وأرسى»(٢).

واختلف في إعرابهما إلى ثلاثة مذاهب:

١-ذهب العكبري، وابن عطيَّة إلى أنَّهما صفتان لله -تعالى- عائدتان على ذكره في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾(٣).

وردَّ عليه بأنَّ هذا الذي ذكروه -من كونهما لغتين- إنَّما يتم على تقدير كونهما معرفتين يتمحض الإضافة، **وقد قال الخليل:** «إنَّ كلَّ

(١) انظر جامع البيان: ٣٢٩/١٥، وتفسير ابن عطيَّ': ١٧٣/٣.

(٢) إتحاف فضلاء البشر، للبنا: ١٢٦/٢، وانظر البحر: ١٥٦/٦ في توجيه قراءة النخعي، والدر المصون: ٣٢٧/٦.

(٣) انظر التبيان في إعراب القرآن: ٦٩٩/٢، وتفسير ابن عطيَّة: ١٧٣/٣، والدر المصون: ٣٢٦/٦.

إضافةٍ غير محضة قد تجعل محضة إلا إضافة الصفة المشبَّهة فلا تتمحض»[١].

٢- أنَّهما في موضع الخبر على البدل من اسم الله[٢]، ويجوز أن يكونا في موضع رفع بإضمار مبتدأ، أي: «هو مُجْرِيها ومُرْسِيها»[٣].

٣- أنَّها في موضع نصب على الحال من اسم الله -تعالى-، والمعنى: «مُجْرِيًا لَهَا ومُرْسِيًا لها»[٤].

قال السَّمين: «ولو جُعِلت «مَجْرَاها ومُرْسَاهَا» في موضع اسم الفاعل، لكانت حالًا مقدَّرةً، ولجازَ ذلك، ولَجَعَلْتَها في موضع نصبٍ على الحال من اسم اللَّه تعالى»[٥].

٤- أجاز الزجَّاج أن يكون منصوبًا على المدح، أعني: «مُجْرِيها ومُرْسِيها»[٦].

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي ومَنْ سار على نهجه على اسم الفاعل من «أجرى وأرسى» «مُجْرِيها ومُرْسِيها» في مقابل القراءة بالمصدر عند جمهور القرَّاء، كما أنَّه لم تظهر في قراءته إمالة؛ نظرًا لإخلاص الكسر.

٢- لم توافق قراءة النخعي ما عليه جمهور القرَّاء السبعة، أو العشرة المتواترة.

---

(١) انظر البحر: ١٥٦/٦، ومفاتيح الغيب: ٥٣٠/١٦، والدر المصون: ٣٢٦/٦.

(٢) انظر السابق.

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٥٢/٣، وفتح القدير: ٥٦٦/٢.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٥٢/٣.

(٥) الدر المصون: ٣٢٧/٦.

(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٥٢/٣.

٣- أدَّى إخلاص الكسر للراء في «مُجْرِيها» وللسين في «مُرْسِيها» إلى قلب الألف ياءً صريحة ساكنة مكسور ما قبلها، وقلب الألف ياءً أثر صوتي واضح في قراءة النخعي.

٤- لم يؤدِّ التغيير الصوتي إلى أثر في المقاطع بين قراءة جمهور القرَّاء، وقراءة النخعي، فقد أبدل صائت طويل بمثله، وصائت قصير بمثله في ميم «مَجْراها»، «مُجْراها»، ويتضح ذلك من خلال الآتي:

قراءة الجمهور:

مجـ	را	ها	مُر	سا	ها
ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح

قراءة النخعي:

مجـ	ري	ها	مُر	سي	ها
ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح

ب- «خَاتَمه» مقابل ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾[١].

فقد قرأ الجمهور ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ ما عدا الكسائي[٢]، وقرأ النخعي «خَاتَمه» بفتح الخاء والتاء وألف بينهما[٣]، وهي قراءة الضحاك، وزيد بن علي، وأبي

(١) سورة المطففين من الآية (٢٦).

(٢) انظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٦٧٦، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: ٣٨٧/٦، والحجة في القراءات السبع، لابن خالويه: صـ٣٦٦، وإتحاف فضلاء البشر: ٥٩٧/٢، وزاد المسير: ٤١٧/١٤، والدر المصون: ٧٢٥/١٠.

(٣) نسب القراءة للنخعي ابن عطيَّة في تفسيره: ٤٥٣/٥، وأبو حيان في البحر: ٤٣١/١.

حيوة، وابن أبي عبلة، والكسائي[١]، وقرأ بها أيضًا علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وأبي عبد الرحمن[٢]، وطاووس، وعلقمة، وشقيق[٣].

المعنى والتوجيه:

معنى الختام: الطين الذي يُختم به الكتاب، والخاتَم ما يوضع على الطين[٤]، وخَتَم الشيء يختمه ختمًا: بلغ آخره، وختم فلانٌ القرآن إذا قرأه إلى آخره[٥]، وخاتَم كل شيء وخاتِمه عاقبته وآخره[٦].

وقد فسَّر العلماء ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ في الآية الكريمة بأنَّ معناه: خلطه ومزاجه، قاله ابن مسعود، وعلقمة، وقال ابن عباس، وابن جبير، والحسن، والنخعي: معناه: أن يجد الرائحة عند خاتمة الشرب رائحة المسك[٧].

وقال أبو علي: المراد لذاذة المقطع، وذكاء الرائحة، مع طيب الطعم[٨]

وقال مجاهد: «طينه الذي يختم به مسك بدل الطين الذي في الدنيا»[٩].

---

(١) البحر: ٤٣١/١.

(٢) انظر معاني القرآن للفرَّاء: ٢٤٨/٣، وإعراب القرآن للنحَّاس: ١١٣/٥.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٦٥/١٩، دار الكتب المصرية، وفتح القدير للشوكاني: ٤٨٨/٥.

(٤) انظر العين للخليل، مادة «ختم»: ٢٤١/٤، والمحكم «ختم»: ١٥٧/٥، واللسان «ختم».

(٥) اللسان «ختم».

(٦) انظر السابق، وكذا المحكم «ختم»: ١٥٧/٥، وانظر الحجة للقراء السبعة: ٣٨٧/٦.

(٧) انظر تفسير ابن عطية: ٤٥٣/٥، وتفسير السمعاني لمنصور بن محمد: ١٨٣/٦، والبحر: ٤٣١/١٠، وفتح القدير: ٤٨٨/٥. ومعاني القرآن للفراء: ٢٤٨/٣.

(٨) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي: ٣٨٧/٦، وتفسير ابن عطيَّة: ٤٥٣/٥، والبحر: ٤٣١/١٠، وتفسير القرطبي: ٢٦٥/١٩.

(٩) انظر: تفسير ابن عطية: ٤٥٣/٥، والبحر: ٤٣١/١٠.

وفي الصحاح: الخِتامُ: الطينُ الذي يُخْتَمُ به، وكذا قال مجاهد، وابن زيد: ختم إناؤه بالمسك بدلًا من الطين(١).

فوَجهُ قراءة الجماعة أنَّ الختام هو: الطين الذي يختم به الشيء، فجعل بدله المسك.

وأمَّا «خاتَمه» فذكر ابن عطيَّة أنَّ: «هذه بينة المعنى، وأنَّه يُراد بها الطبع على الرحيق»(٢).

وقيل: «خاتَمُهُ» بفتح الخاء والتاء وألف بينهما، قاله علقمة: أما رأيت المرأة تَقُولُ للعطَّار: اجْعل خاتَمهُ مِسْكًا تريد: آخره(٣).

وذكر الخليل القراءتين، وأنَّهما بمعنًى واحدٍ، حيث قال: «ويُقْرأ: «خاتَمهُ مِسْكٌ» أي خِتامه، يعني: عاقبته ريحُ المسك، ويقال: بل الخِتام والخاتم ها هنا ما خُتِمَ عليه»(٤).

وقال الفرَّاء: «والخَاتَم والخِتَام متقاربان فِي المعنى، إلا أنَّ الخاتَم: الاسم، والخِتَام: المصدر»(٥).

وذكر النحَّاس قراءة علي بن أبي طالب، وأبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وأنَّه قرأ «خاتَمهُ مِسْكٌ» قال أبو جعفر: ختامه –يعني وخاتَمه– بمعنًى واحدٍ، إلا أنَّ خِتامًا مصدر، وخاتَم اسم الفاعل، وأكثر كلام العرب في الناس

(١) تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، مادة «خ ت م»، وانظر الدر المصون: ٧٢٥/١٠.

(٢) تفسير ابن عطيَّة: ٤٥٣/٥.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء: ٢٤٨/٣، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٦٥/١٩.

(٤) العين: ٢٤٢/٤ «ختم».

(٥) معاني القرآن: ٢٤٨/٣.

وما أشبههم هو خاتَمهم، كما قال -جلَّ وعزَّ- ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]،... وفي غير الناس ختام[2].

وقال أبو علي: «فأمَّا قول الكسائي: «خاتَمه»، فإنَّ معناه: آخره، كما كان من قرأ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كان معناه: آخرهم. والختام: المصدر، والخاتَم: اسم الفاعل، والخاتم: كالطّابع والتابل»[3].

ملاحظات:

من السابق يتضح للبحث الآتي:

١- قراءة الجماعة ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾، وقراءة النخعي، والكسائي، ومَنْ قرأ مثلهم «خاتَمه مسك» متقاربتان في المعنى، وقد ذكر اتحاد معنيهما كثير من العلماء، والختام مصدر، والخاتم اسم فاعل.

٢- قراءة النخعي قراءة سبعيَّة، حيث جاءت ضمن السبع المتواترة، حيث قرأ بها الكسائي، ونسبها له ابن مجاهد في كتابه السبعة.

٣- اختلفت صيغة قراءة النخعي عن قراءة الجماعة، وقد أثر ذلك في المقاطع الصوتية من حيث الترتيب، فاشتملت كل قراءة على أربعة مقاطع: ثلاثة من النوع الأوَّل القصير المفتوح، وواحد من النوع الثاني المتوسط المفتوح، وكان ترتيبه في قراءة النخعي الأول، وفي قراءة الجماعة الثاني. والبيان في الجدول التالي:

ختامه في حال الوصل	خ	تا	م	هـ	خاتمه في حال الوصل	خا	تـ	م	هـ
	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح		ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح

(١) سورة الأحزاب من الآية (٤٠).

(٢) إعراب القرآن، للنحَّاس: ١١٣/٥.

(٣) الحجَّة للقرَّاء السبعة، لأبي علي الفارسي: ٣٨٧/٦.

المطلب الرابع

اختلاف صيغ الجمع

اختلاف صيغة الجمع بين «فُعَالَى»، و«فَعْلَى»

«سَكْرَى» مقابل ﴿ سُكَٰرَىٰ ﴾ جمعًا أو صفة، جمعًا أو اسم جنس، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾[(١)].

قرأ الجمهور ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ على وزن «فُعَالَى»[(٢)]، بينما قرأ النخعي «سَكْرَى» على وزن «فَعْلَى»[(٣)].

التوجيه:

معنى الكلمة: السُّكْر لغةً: السَّدُّ، ومنه قيل لِما يَعْرِضُ للمرءِ مِنْ شرب المُسْكِر؛ لأنه يَسُدُّ ما بين المرء وعقله، وأكثرُ ما يقال السُّكْرُ لإزالة العقلِ بالمُسكِر، السَّكْرَانُ: خِلَافَ الصَّاحِي. والسُّكْرُ: نَقِيضُ الصَّحْوِ[(٤)].

وجاءت قراءة الجمهور جمعًا لكلمة «سكران» وهي «سُكارى»، مثل: «كُسالى» جمع «كسلان»، **وهو مذهب سيبويه، حيث قال:** «وقد يكسِّرون بعض هذا على «فعالى»، وذلك قول بعضهم: سُكارى وعُجالى. ومنهم من يقول: عَجالى... فكذلك أمر فَعْلان وفَعْلى»[(٥)].

وقال العكبري: «سُكَارَى: جَمْعُ سَكْرَانَ، وَيَجُوزُ ضَمُّ السِّينِ وَفَتْحُهَا»[(٦)].

---

(١) سورة النساء من الآية (٤٣).

(٢) انظر قراءة الجمهور في المحتسب، لابن جني: ١٨٨/١، وتفسير ابن عطيَّة: ٥٧/٢، والتبيان، للعكبري: ٣٦١/١، وفتح القدير: ٥٤٠/١، والبحر: ٦٤٩/٢، والدر المصون: ٦٨٩/٣ وغيرها.

(٣) انظر السابق، وكذا مختصر شواذ القرآن، لابن خالويه: صـ٣٣.

(٤) انظر الدر المصون: ٦٨٩/٣، ولسان العرب «سكر».

(٥) الكتاب، لسيبويه: ٦٤٩/٣.

(٦) التبيان، لأبي البقاء: ٣٦١/١.

فواضحٌ من السابق أن «سُكَارَى» جمع «سكران»، وأنَّه يجوز فيه ضم السين وفتحها، وذكر بعض العلماء أنَّ الأصل في «سُكَارَى» «وكُسَالى» فتح الكاف والسين، لكنَّ الضمَّ أرجح.

وعلَّل الرضي ذلك بقوله: «وجاء الضم في جمع «فَعْلَان» الذي مؤنثه على «فَعْلى» خاصة، وهو في «كُسَالى وسُكَارى» أرجح من الفتح، وإنَّما ضمَّ في جمع «فَعْلاَن» خاصةً؛ لكون تكسيره على أقصى الجموع خلاف الأصل؛ وذلك لأنَّه إنَّما كسر عليه لمشابهة الألف والنون فيه لألف التأنيث، فَغُير أول الجمع غير القياسي عمَّا كان ينبغي أن يكون عليه؛ لينبِّه من أول الأمر على أنَّه مخالف للقياس، واتبع جمع المؤنث جمعَ المذكر في ضمِّ الأول، وإن لم يكن مخالفًا للقياس»(١)، وكذا ذكر ابن يعيش(٢).

﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ في الآية الكريمة حال من الضمير في ﴿لَا تَقْرَبُوا۟﴾، فالمراد بالسُّكْر هنا سُكْر الخمر، وأنَّ الآية قد نزلت قبل القطع بتحريمها.

وقيل: إنَّ ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ اسم جمع فقد نسب ابنُ الباذش ذلك إلى سيبويه، وقال: «وهو القياسُ؛ لأنَّه لم يأتِ من أبنيةِ الجمع شيءٌ على هذا الوزن»(٣)، لكن نصَّ سيبويه أنَّه جمع تكسير كما سبق، وهو الراجح.

أمَّا قراءة النخعي «سَكْرَى» بفتح السين وسكون الكاف، فتحتمل وجهين:

- **أحدهما:** أنها جمع تكسير، كـ«جرحى».
- **والثاني:** أنَّها صفة مفردة على «فَعْلَى».

وتفصيل ذلك في قول ابن جني الآتي، حيث قال: «فأما «سَكْرَى» بفتح السين فيمن قرأ كذلك فيحتمل أمرين:

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ٢/١٧٤.

(٢) انظر شرح المفصَّل: ٥/٦٤، ٦٥.

(٣) البحر: ٢/٦٤٩، والدر المصون: ٣/٦٨١.

- **أحدهما:** أن يكون جمع «سكران»، إلا أنَّه كُسِّر على «فَعْلَى»، إذ كان السكر علَّة تلحق العقل، فجرى ذلك مجرى قوله:

فَأَمَّا تَمِيمٌ تَمِيمُ بنُ مُرٍّ فَأَلفاهُمُ القَومُ رَوْبَى نِياما(١)

فهذا جمع «رائب»، أي: نومى خُثَّراءُ الأنفس، فيكون ذلك كقولهم: «هالك وهلكى ومائد ومَيْدَى»، فيجري مجرى «صريع وصرعى وجريح وجرحى»، إذ كان ذلك علة بُلوا بها، وإن كان «هالك ومائد ورائب» فعلًا منسوبًا إليهم، لا مُوقَعًا في اللفظ بهم.

- **والآخر**: أن يكون «سَكْرَى» هنا صفة مفردة، مذكرها سكران، كامرأة سكرى. ويشهد لهذا الأمر قراءة مَن قرأ: «سُكْرى» بالضم، وهذا لا يكون إلا واحدًا. ويشهد للقول الأول قراءة العامة: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾(٢)، وجاز أن يوقع على الناس كلهم صفة مفردة تصويرًا لمعنى الجملة والجماعة وهي بلفظ الواحد، كما جاز للَبيدٍ أن يشير أيضًا إلى الناس بلفظ الواحد في قوله:

وَلَقَد سَئِمتُ مِنَ الحَياةِ وَطولِها وَسُؤالِ هَذا النـاسِ كَيفَ لَبيدُ(٣)

ومن معكوسه في إيقاع لفظ الجماعة على معنى الواحد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾(٤)، والمراد به الواحد، كلٌّ من كلام العرب»(٥).

---

(١) من المتقارب، ولم أقف على قائله. في المحتسب: ١٨٨/١، واللسان «روب»، ومعنى روبى: أثخنهم السفر والوجع.

(٢) سورة الحج: من الآية (٢).

(٣) من الكامل للبيد في ديوانه: صـ٢٥، والمحتسب: ١٨٨/١.

(٤) سورة آل عمران من الآية (١٧٣).

(٥) المحتسب، لابن جني: ١٨٨/١.

إذًا قراءة «سَكْرَى» إمَّا أن تكون جمعًا لـ«سكران»؛ لأنَّ السُّكْر علة تحلق العقل، وذلك كجرحى، وموتى، وهلكى، وغيرها من العلل التي تلحق البدن، وتجمع هذا الجمع، أو أنه صفة مفردة وصف بها الجماعة، كامرأة سَكْرى، وجماعة سَكْرى، فجائز أن يقع على الناس كلهم صفة مفردة تصويرًا لمعنى الجملة والجماعة، وهذا كله من كلام العرب.

وقد سبق ابن جني في ذلك سيبويه حين ذكر أنَّهم «قد قالوا: «رجلٌ سكران، وقوم سَكرى»؛ وذلك لأنَّهم جعلوه كالمرضى، وقالوا: «رجال روبى»، جعلوه بمنزلة «سكرى» والروبى: الذين قد استثقلوا نومًا، فشَّبهوه بالسَّكران. وقالوا للذّين قد أثخنهم السفر والوجع روبى أيضًا، والواحد رائبٌ»(١).

فكلام سيبويه يفيد أنَّ «سَكْرى» جمع «سكران»، حيث شبهه أو حمله على ما فيه آفة وعلَّة لاحقه للفعل.

وإلى هذا ذهب الزمخشري، واحتمل أيضًا أن تكون صفة مفردة(٢)، واقتصر ابن عطيَّة على كون «سَكْرى» جمعًا(٣)، بينما ذهب العكبري إلى كونه صفة مفردة، حيث قال: «وَقُرِئَ أَيْضًا «سُكْرَى» بِضَمِّ السِّينِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَبِفَتْحِهَا كَذَلِكَ، وَهِيَ صِفَةٌ مُفْرَدَةٌ يَفِي مَوْضِعَ الْجَمْعِ، فَـ«سُكْرَى» مِثْلُ حُبْلَى وَ«سَكْرَى» مِثْلُ عَطْشَى»(٤).

وعليه ففي هذه الكلمة أربع قراءات: «سُكارى»، و«سَكارى» بالضم والفتح مع ألف بعد الكاف، و«سُكْرى»، و«سَكْرى» بالضم والفتح من غير ألف(٥).

---

(١) الكتاب، لسيبويه: ٦٤٩/٣.
(٢) الكشاف: ٥٢٨/١.
(٣) تفسير ابن عطيَّة: ٥٧/٢.
(٤) التبيان في إعراب القرآن: ٣٦١/١.
(٥) انظر القراءات الأربعة ونسبتها في المحتسب: ١٨٨/١، ومختصر شواذ القرآن: صـ٣٣، والبحر: ١٠٩/٤ وغيرها.

العزو اللهجي للنطق بالضم والفتح:

يعزى النطق بالضم لأهل الحجاز، والنطق بالفتح لتميم.

قال ابن السكيت: «أهل الحجاز يقولون: «سُكَارَى وكُسَالَى وغُيَارَى» بِالضَّمِّ، وبنو تميم يفتحون»(١)، ونسب النطق بالفتح لتميم أيضًا ابن خالويه(٢)، كما نسب النطق بالفتح لأسد إلى جانب تميم، وذلك في كلمة «كُسالى» على نفس الوزن.

قال أبو حيَّان: «قَرَأَ الْجُمْهُورُ: «كُسَالَى» بِضَمِّ الْكَافِ، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ. وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ: «كَسَالَى» بِفَتْحِ الْكَافِ، وَهِيَ لُغَةُ تَمِيمٍ وَأَسَدٍ»(٣).

وذكر النسبة كلٌّ من: د/ ضاحي عبد الباقي، ود/ إبراهيم أنيس، ود/ أحمد علم الدين الجندي(٤).

ويلاحظ الآتي:

١- أنَّ القراءة التي قرأ بها النخعي وخالف بها جمهور القرَّاء قراءة شاذَّة.

٢- أنَّ في قراءة النخعي ميل إلى الاتباع الحركي الذي تميل إليه القبائل البدويَّة فـ«سَكْرَى» فتحت فيها السين لفتحة الراء بعدها، ولم يعتد بالساكن، فهو حاجز غير حصين، وهذا تأثير رجعي.

٣- في قراءة النخعي حذفت حركة، كما أبدلت أخرى، فأبدلت الفتحة مكان الضمَّة، وقد أثر الحذف على مقاطع الكلمة من الناحية الصوتية، فقراءة الجمهور تتكون من ثلاثة مقاطع، بينما تتكون قراءة النخعي من مقطعيْن فقط، وبيانها كالتالي:

---

(١) إصلاح المنطق، لابن السكيت: صـ١٤٩.

(٢) مختصر شواذ القرآن: صـ٣٣.

(٣) البحر المحيط: ١٠٩/٤، والدر المصون: ١٢٥/٤.

(٤) انظر لغة تميم، د/ ضاحي: صـ٢٤٢، وفي اللهجات العربيَّة، د/ إبراهيم أنيس: صـ٩٨، واللهجات العربيَّة في التراث، القسم الأول: صـ٢٦٨.

أولا قراءة الجمهور:

سـ	كا	رى
ص ح	ص ح ح	ص ح ح

ثانيًا قراءة النخعي:

سكـ	رى
ص ح ص	ص ح ح

المطلب الخامس

الإفراد مقابل الجمع والعكس

وضع المفرد موضع الجمع

ذكر العلماء أنَّ الواحد يقع موقع الجمع إذا زال اللبس، **وقد حدَّد سيبويه ذلك بأنَّه لا يجوز إلا في الضرورة، حيث قال:** «وليس بمستنكَرٍ في كلامهم أنْ يكون اللفظُ واحدًا، والمعنى جميعٌ، حتَّى قال بعضُهم في الشعر من ذلك ما لا يُسْتَعْمَلُ في الكلام»(١).

ووافق المبرّد سيبويه، حيث قال: «وَقد جَازَ فِي الشّعْر أَن تفرد وَأَنت تُرِيدُ الْجَمَاعَة إِذا كَانَ فِي الْكَلَام دَلِيل على الْجمع»(٢).

وجعل الكوفيُّون ذلك قياسًا(٣)، وقد ورد في قراءة النخعي ما قرئ بالإفراد مرادًا به الجمع، أو أمن فيه اللبس، من ذلك:

في قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾(٤).

قرأ النخعي «هم درجة»، بينما قرأ الجمهور ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾(٥)، أي: ذوي درجات، و«هم درجة» أي: ذو درجة.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾(٦)، حيث قرأ النخعي «وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضْجَعِ» بالإفراد(٧)، وفيه معنى الجمع؛ لأنَّه اسم جنس(٨).

---

(١) الكتاب: ٢٠٩/١.
(٢) المقتضب: ١٦٩/٢.
(٣) انظر ارتشاف الضرب، لأبي حيَّان: ٥٨٢/٢.
(٤) سورة آل عمران الآية (١٦٣).
(٥) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٥٣٧/١، والبحر المحيط: ٤١٤/٣.
(٦) سورة النساء: من الآية (٣٤).
(٧) تفسير ابن عطيَّة: ٤٨/٢، والبحر: ٦٢٧/٣.
(٨) البحر: ٦٢٧/٣.

قال ابن عطيَّة: «وهو واحدٌ يدل على الجمع»[(١)].

وسيقوم البحث بالتفصيل والتوجيه، وذلك في قراءتين للنخعي قرأ بالإفراد مقابل قراءة غيره بالجمع:

- **الأولى:** في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾[(٢)] حيث قرأ «صُدُقتهن».
- **الثانية:** ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ﴾[(٣)] حيث قرأ ﴿مَسۡكَنِهِمۡ﴾ مقابل «مساكنهم» عند غيره.

١-الإفراد مقابل الجمع

أ- ﴿مَسۡكَنِهِمۡ﴾ مقابل «مَسَاكِنِهِمْ»، وذلك في قول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾[(٤)].

اختلف القرَّاء في قوله تعالى: ﴿مَسۡكَنِهِمۡ﴾، حيث ورد فيها ثلاث قراءاتٍ متواترة عن السبعة المتواترة قراءتهم[(٥)].

١-قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر «مَسَاكِنِهِمْ».

---

(١) تفسير ابن عطيَّة: ٤٨/٢.

(٢) سورة النساء من الآية (٤).

(٣) سورة سبأ من الآية (١٥).

(٤) سورة سبأ من الآية (١٥، ١٦).

(٥) انظر القراءات الثلاث في السبعة، لابن مجاهد: صـ٥٣٧، والحجة للقرَّاء السبعة، لأبي علي الفارسي: ١٤/٦، وإتحاف فضلاء البشر: ٣٨٤/٢، وانظر تفسير ابن عطيَّة: ٤١٣/٤، وزاد المسير: ٤٩٤/٣، وفتح القدير: ٣٦٧/٤، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٣٢/٣ وغيرها.

٢- وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ مفتوحة الكاف من غير ألف، ونسبت القراءة للنخعي(١).

٣- قرأ الكسائي وحده «مَسْكِنِهِمْ» مكسورة الكاف من غير ألف أيضًا، وهي قراءة يحيى بن وثاب، والأعمش(٢)، وخلف كذلك(٣).

أولًا: المعنى:

لَقَدْ كَانَ لِولد سَبأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ علامة بيّنة، وحجة واضحة على أنَّه لا ربَّ لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ يَعْنِي: بُسْتَانَانِ كَانَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، عَنْ يَمِينِ مَنْ أَتَاهُمَا وَشِمَالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يُرَى فِي قَرْيَتِهِمْ بَعُوضَةٌ قَطُّ، وَلَا ذُبَابٌ، وَلَا بَرْغُوثٌ، وَلَا عَقْرَبٌ، وَلَا حَيَّةٌ، ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ مِنْ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ، ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن طاعة ربهم، فكان جزاؤهم أن ثقب عليهم سدّهم الذي كان يحبس السيول عنهم... إلخ(٤).

ثانيًا: التوجيه:

في اللفظة المباركة ثلاث قراءات متواترة:

- **الأولى:** -حسب ما تقدَّم- قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبي عمرو، وعاصم عن أبي بكر «مَسَاكِنِهِمْ» بفتح السين وألف بعدها وكسر الكاف على الجمع، وتوجَّه هذه القراءة أنَّ مَنْ قرأ كذلك، فقد

(١) انظر نسبة القراءة للنخعي في إعراب القرآن، للنحاس: ٢٣٢/٣، وتفسير ابن عطيَّة: ٤١٣/٣، والبحر المحيط: ٥٣٣/٨.

(٢) انظر إعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٣٢/٣، وفتح القدير: ٣٦٧/٤، ونسبها للأعمش وعلقمة ابن عطيَّة: ٤١٣/٤.

(٣) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٣٨٤/٢.

(٤) انظر جامع البيان، للطبري: ٢٧٦/٢٠، وغيره من التفاسير.

أتى باللفظ وفق المعنى؛ لأنَّ لكل ساكنٍ مسكن، فجمع والمساكن جمع مسكن الذي هو اسم للموضع الذي يسكن(١).

واختار أبو عبيد، وأبو حاتم هذه القراءة، ووجه الاختيار: أنَّها كانت لهم منازل كثيرة، ومساكن متعدِّدة(٢).

- **الثانية:** وهي قراءة إبراهيم النخعي، وقرأ بها من السبعة حفص عن عاصم، حمزة ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بسكون السين وفتح الكاف بلا ألف بعدها على الإفراد، وتوجَّه هذه القراءة بتوجيهين:

- **الأول:** أن يكون واحدًا يؤدي عن جميع(٣)، قال ابن خالويه: فالحجَّة لمن وحد أنَّه اجتزأ بالتوحيد عن الجمع(٤).
- **والثاني:** أن يكون مصدرًا لا يثنّى، ولا يجمع، كما قال الله -جلّ وعزَّ-: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾(٥)، فجاء السمع مفردًا، وكذا فِي ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾(٦)....(٧).

قال أبو علي: «مَنْ قال: «مَسْكَنِهِم» فيشبه أن يكون جعل المسكن مصدرًا، وحذف المضاف، والتقدير: «في مواضع سُكناهم»، فلمّا جعل المسكن كالسّكنى، والسكون أفرد، كما تفرد المصادر، وهذا أشبه من أن تحمله

(١) انظر الحجة، لأبي علي الفارسي: ١٤/٦، وحجة القراءات، لأبي زرعة: صـ٨٦، وإعراب القرآن، للنحاس: ٢٣٢/٣، وتفسير ابن عطيَّة: ٤١٣/٤، والبحر: ٥٣٣/٨ وغيرها.

(٢) فتح القدير، للشوكاني: ٣٦٧/٤.

(٣) إعراب القرآن، للنحاس: ٢٣٢/٣.

(٤) الحجَّ في القراءات السبع: صـ٢٩٣.

(٥) سورة البقرة من الآية (٧).

(٦) سورة القمر من الآية (٥).

(٧) إعراب القرآن، للنحاس: ٢٣٢/٣.

على نحو: «كلوا في بعض بطنكم تعفوا»[(١)]... وعلى هذا قوله سبحانه: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مواضع قعود، ألا ترى أنَّ لكلِّ واحدٍ من المتّقين موضع قعود، فهذا التأويل أشبه من أنْ تحمله على الوجه الآخر الذي لا يكاد يجيء إلّا في الشعر»[(٢)].

وهنا جاء على المصدر الذي لا يثنى، ولا يجمع، والمراد الجمع لعدم اللبس في وقوع المفرد موقع الجمع في مثل هذا الموطن.

وقد أجازه سيبويه شعرًا ونثرًا، حيث قال: «ومما جاء في الشَّعر على لفظ الواحد يُراد به الجميعُ:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا فَإِنّ زمانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ[(٣)]

ومثل ذلك (في الكلام) قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾[(٤)]، وقَرِرْنَا به عَيْنًا، وإن شئت قلت: أَعْيُنًا، وأَنفُسًا»[(٥)].

- **الثالثة:** وهي قراءة الكسائي «مَسْكِنِهِم» بكسر الكاف، فيحتمل الآتي:

١- أنَّه اسم مكان، أي: جعله اسْم الْموضع الَّذِي يسكنون فِيهِ وَإِنَّمَا وحد؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بلدهم[(٦)].

---

(١) صدر بيت من الوافر، عجزه: «فإن زمانكم زمن خميص»، ولم أقف على قائله في الكتاب، لسيبويه: ٢١٠/١، والحجة للقراء السبعة: ٨١/٤، وتفسير ابن عطيَّة: ٤١٣/٤، وخزانة الأدب: ٣٧٩/٣، والبحر: ٥٣٣/٨، والدر: ١٦٦/٩ وغيرها. ومعنى «أكل بعض بطنه»: إذا أكل دون الشبع، والخميص: الجائع، أي: زمان جدب ومخمصة.

(٢) الحجَّة للقراء السبعة: ١٤/٦، وانظر حجة القراءات، لأبي زرعة: صـ٥٨٦.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سورة النساء من الآية (٤).

(٥) الكتاب، لسيبويه: ٢١٠/١.

(٦) انظر حجة القراءات، لأبي زرعة: صـ٥٨٦، والحجة، لأبي علي: ١٤/٦، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ١٠٦٦/٢، وتفسير ابن عطيَّة: ٤١٣/٤ وغيرها.

وذكر العلماء أنَّ الأولى الْأَشْبَه فِيهِ الْفَتْح؛ لِأَن اسْم الْمَكَان من «فعل يفْعِل» على المفعل بِالْفَتْح، والأولى «مسكن» مثل المصدر، ومجيء اسم المكان على المفعِل شاذ عَن الْقيَاس المطَّرد مثل: «مَسْجِد» وحمله سِيبَوَيْه على أَنَّه اسْم الْبَيْت، وَلَيْسَ الْمَكَان[١].

٢- أنَّه لغة في «مَسْكَن» بالفتح.

قال الكسائي: «مسْكَن، ومسْكِن لغتان»[٢].

وقال أبو علي: «إلّا أنَّ أبا الحسن يقول: إنّ المسكِن إذا كسرته لغة كثيرة، قال: وهي لغة النّاس اليوم. قال: وأمّا المسكَن مفتوحة فهي لغة أهل الحجاز. قال: وهي اليوم قليلة»[٣].

وقال الطبري: «وَبِكَسْرِ الْكَافِ، وَهِيَ لُغَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ فِيمَا أَذْكُرُ»[٤].

وقال الفرَّاء: «(مَسْكَنِهِمْ) وهي لغة يَمانيّة فصيحة»[٥].

وذكر العلماء أنَّ القراءة منها صواب.

قال الطبري: «وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعْنَى، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ»[٦].

وقال الفرَّاء: «وكلٌّ صوابٌ، والفرَّاء يقرأ قراءة يحيى»[٧].

---

(١) انظر السابق من المراجع، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٣٢/٣.

(٢) حجَّة القراءات: صـ٥٨٦.

(٣) الحجَّة للقراء السبعة: ١٤/٦، وانظر تفسير ابن عطيَّة: ٤١٣/٤.

(٤) جامع البيان: ٢٧٦/٢٠.

(٥) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣٥٧/٢.

(٦) جامع البيان: ٢٧٦/٢٠.

(٧) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣٥٧/٢.

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي موافقةً لقراءة حفص عن عاصم، وهي بالإفراد، ويقابلها قراءة الجمع ﴿مَسَٰكِنِهِمْ﴾، و«مَسَاكِنِهِمْ»، وهي قراءة سبعيَّة متواترة.

٢- وافقت قراءة النخعي البيئة الحجازيَّة، حيث فتح الكاف في حال الإفراد، بينما كسر الكسائي، ووافق لغة أهل اليمن، والتي ذكر الفراء أنَّها عربيَّة فصيحة.

٣- أدَّى المفرد في قراءة النخعي ما تؤدِّيه قراءة الجمع، كما أدَّى ذلك إلى التأثير على مقاطع الكلمة كمًّا، وكيفًا، فقراءة النخعي تتكوَّن من أربعة مقاطع، وبيانها كالتالي:

«مَسْكَنِهِم» مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير مفتوح+ مقطع قصير مفتوح+ كمقطع متوسط مغلق.

مسـ	كـ	نـ	هم
ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ص

وقراءة (الجمع) الجماعة «مساكِنهم» من خمسة مقاطع، وبيانها كالتالي:

مقطع قصير مفتوح+ متوسط مفتوح+ قصير مفتوح+ قصير مفتوح+ متوسط مغلق.

مـ	سا	ك	ن	هم
ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ص

ب- «صُدُقتهن» مقابل ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾(١).

(١) سورة النساء من الآية (٤).

حيث قرأ الجمهور ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ بفتح الصاد وضم الدال، وألف بعد القاف للجمع، وقرأ ابن وثاب، والنخعي «صُدُقتهن» بالإفراد وضم الصاد وضم الدال(١).

المعنى والتوجيه:

الصَّداقُ: مَهْرُ المرأَة، وَجَمْعُهَا فِي أَدنى الْعَدَدِ: أَصْدِقةٌ، وَالْكَثِيرِ: صُدُقٌ، وَهَذَانَ البناءَان إِنَّما هُمَا عَلَى الْغَالِبِ. وَقَدْ أَصْدَق المرأَةَ حِينَ تزوَّجها، أَي: جَعَلَ لَهَا صَداقًا، وَقِيلَ: أَصْدَقَها سمَّى لَهَا صَداقًا(٢).

والصَّدَاقُ وَاجِبٌ عَلَى الْأَزْوَاجِ لِلنِّسَاءِ، بإجماع الْعُلَمَاء، ولَا حَدَّ لِكَثِيرِهِ، وَاخْتَلَفُوا فِي قَلِيلِهِ، وقال: ﴿نِحْلَةً﴾ أي: فريضة(٣)، وقيل: هبة وعطيَّة(٤).

وجاءت قراءة الجمهور بالجمع مع فتح الصاد وضم الدال ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾، بينما قرأ النخعي بالإفراد مع ضم الصاد والدال «صُدُقتهن» وأصله: «صُدْقة» بضم الصاد وسكون الدال، وضمت الدال اتباعًا لضم الصاد(٥)، وذلك مثل: «غُرْفة، وغُرُفة»، و«ظُلْمة، وظُلُمة» على تثقيل الساكن المضموم الفاء(٦)، ولا خلاف في المعنى بين القراءتين.

وقد سار النخعي في قراءته على لغة تميم، حيث أنَّ واحد «الصَّدُقَات» «صَدُقة»، وواحد «الصُّدْقات» «صُدْقة».

---

(١) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٨/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٦٨٦/٢، طبعة دار الغد العربي، وفتح القدير: ٤١٥/١، والبحر المحيط: ٥١١/٣، والدر المصون: ٥٧٠/٣.

(٢) انظر لسان العرب، مادة «صدق».

(٣) فتح القدير: ٤٨٥/١.

(٤) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٥٦/١.

(٥) روح المعاني، للألوسي: ٤٠٨/٢.

(٦) انظر الكشاف، للزمخشري: ٤٩٨/١، والدر المصون: ٥٧٠/٣.

قال أبو إسحق: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، الصَّدُقات جَمْعُ الصَّدُقةِ، وَمَنْ قَالَ صُدْقة قَالَ صُدْقاتِهنَّ(١).

وقال الأخفش: «في ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ واحد «الصَّدُقاتِ»: صَدُقَة وبنو عميم تقول: «صُدْقة» ساكنة الدال مضمومة الصاد»(٢).

وعزا الفرَّاء صيغة «صَدُقة» إلى أهل الحجاز، والصيغة الثانية «صُدْقة» إلى تميم(٣)، وترتب على اختلاف صيغتي المفرد اختلاف في الجمع، وجاءت قراءة النخعي على صيغة المفرد والتميميَّة، بينما قرأ الجمهور بصيغة الجمع الحجازيَّة.

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي، وابن وثاب مخالفة لما عليه جمهور القراء والسبعة، فهي قراءة شاذة.

٢- أدَّى اختلاف القراءة إلى التأثير الصوتي الحادث في قراءة النخعي عن قراءة الجمهور، حيث مال الجمهور إلى اتباع منهج الحجازيِّين مع الجمع، بينما اتبع النخعي منهج البيئة التميميَّة في النطق مع الإفراد، فحدث إبدال حركي، حيث نطقت الصاد بالفتح عند الجمهور والدال بالضم، بينما جاءت قراءة النخعي بضم الصاد مع اتباع الدال حركتها.

---

(١) لسان العرب «صدق».

(٢) معاني القرآن، للأخفش (أبو الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط): ٢٤٥/١، تحقيق: د/ هدى محمد قراعة، نشر الخانجي، القاهرة، وانظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٦٨٦/٢، طبعة دار الغد العربي، وفتح القدير: ٤٨٥/١.

(٣) رجعت إلى معاني القرآن للفرَّاء في الآية الكريمة: ٢٥٦/١، فلم أجد هزوًا، وإنَّما ذكر ذلك د/ ضاحي عبد الباقي في كتابه لغة تميم: صـ٢٣٩، ووجدت نسبة النطق للحجازيِّين في الدر المصون: ٥٧٠/٣.

٣- أدَّى ذلك إلى اختلاف مقاطع الكلمة، والنوع، فقراءة الجمهور ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ تتكوَّن من خمسة مقاطع بيانها كالتالي:

ص	د	قات	هن	ن
ص ح	ص ح	ص ح ح ص ح	ص ح ص	ص ح

وقراءة النخعي «صُدُقتهن» تتكون من ستة مقاطع وبيانها كالتالي

صُ	دُ	ق	تـ	هن	ن
ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح

٢- الجمع مقابل المفرد

«اللاتي» في مقابل ﴿ ٱلَّتِي ﴾

أ- وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[(١)].

قرأ الجمهور ﴿ٱلَّتِى﴾ بالإفراد، وقرأ النخعي، والحسن «اللاتي» بالجمع[(٢)].

المعنى والتوجيه:

بعد أن بيَّن الله -ﷻ- وجوب إعطاء اليتامى أموالهم إذا زال عنهم اليتم، بَيَّنَ -سُبْحَانَهُ- هَاهُنَا أَنَّ السَّفِيهَ وَغَيْرَ الْبَالِغِ لَا يَجُوزُ دَفْعُ مَالِهِ إِلَيْهِ، وقدفسّر السفيه، فقيل: هُمُ الْأَوْلَادُ الصِّغَارُ، لَا تُعْطُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ فَيُفْسِدُوهَا، وقيل: النساء، وَالْمُرَادُ: النَّهْيُ عَنْ دَفْعِهَا إِلَى مَنْ لَا يُحْسِنُ تَدْبِيرَهَا، كَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ[(٣)].

وقرأ الجمهور ﴿ٱلَّتِى﴾ بالإفراد، بينما قرأ النخعي «اللاتي».

---

(١) سورة النساء من الآية (٥).

(٢) انظر الإتحاف: ٥٠٣/١، ونسب «اللاتي» للحسن، ونسبها للحسن، والنخعي ابن عطية في تفسيره: ٢٠/٢، وأبو حيَّان في البحر: ٥١٦/٣، والسمين في الدر: ٥٨٠/٣، وللنخعي فقط النحاس في إعراب القرآن: ٢٠١/١.

(٣) فتح القدير، للشوكاني: ٣٨٩/١.

قال ابن عطيَّة: «الأموال: جمع لما لا يعقل، فالأصوب فيه قراءة الجماعة»(١).

وقال العكبري: «﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى﴾ الْجُمْهُورُ عَلَى الإِفْرَادِ؛ لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْأَمْوَالِ مُذَكَّرٌ، فَلَوْ قَالَ: «اللَّوَاتِي»، لَكَانَ جَمْعًا، كَمَا أَنَّ الْأَمْوَالَ جَمْعٌ، وَالصِّفَةُ إِذَا جُمِعَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْمَوْصُوفَ جَمْعٌ كَانَ وَاحِدُهَا كَوَاحِدِ الْمَوْصُوفِ فِي التَّذْكِيرِ، وَالتَّأْنِيثِ»(٢).

فأكَّد العكبري أنَّ ما عليه الجمهور أصوب؛ لأنَّ مفرد «الأموال» «مال»، ومال مذكر، ووصفه يكون بالذي لا بالتي.

وقال السَّمين الحلبي: «﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ بلفظِ الإفراد صفةً للأموال، وإنْ كانت جمعًا... أنَّ جمع ما لا يعقل في الكثرة، أو لم يكن له إلا جمعٌ واحدٌ، الأحسنُ فيه أن يُعامَل معاملةَ الواحدة المؤنثة، والأموال من هذا القبيل؛ لأنَّها جمعُ ما لا يعقلِ، ولم تُجْمع إلا على أَفْعال، وإن كانت بلفظِ القلة؛ لأنَّ المرادَ بها الكثرة، وقرأ الحسن والنخعي: «اللاتي» مطابقةً للفظِ الجمع، وكان القياسُ ألاَّ يوصفَ بـ«اللاتي» إلا ما يُوصَفُ مفرده بـ«التي»، والأموال لا يُوصف مفردُها وهو «مال» بـ«التي»(٣).

وأجاز الفراء «التي»، و«اللاتي»، لكن «التي» مع الأموال أكثر، و«للاتي» مع النساء أكثر، فيقول: «والعرب تقول فِي جمع النساء «اللاتي» أكثر مما يقولون «التي»، ويقولون «التي»، ويقولون فِي جمع الأموال وسائر الأشياء سوى النساء «التي» أكثر مما يقولون فِيهِ «اللاتي»(٤).

---

(١) تفسير ابن عطية: ٢/٢٠.
(٢) التبيان في إعراب القرآن: ١/٣٣٠.
(٣) الدر المصون: ٣/٥٨٠.
(٤) معاني القرآن، للفراء: ١/٢٥٧.

ملاحظات:

١- إنَّ قراءة الجمهور هي الأصوب والأجود من قراءة النخعي، حيث جاءت ﴿ٱلَّتِي﴾ مع الأموال في الآية، ومفردها «مال» لا يوصف بـ«التي»، وإنَّما يوصف بـ«الذي»، ولمَّا كان جمعه غير العاقل وصف بما يوصف به المفرد المؤنث.

٢- قراءة النخعي شاذة، فلم ترد على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم.

٣- أدَّى جمع «اللاتي» إلى حدوث تغيير صوتي عن المفرد «التي»، فأثر على نوع المقاطع، ففي قراءة الجمهور تتكوَّن الكلمة من ثلاثة مقاطع: الأول: متوسط مغلق، والثاني قصير مغلق، والثالث متوسط مفتوح.

الـ	ل	تي
ص ح ص	ص ح	ص ح ح

وفي قراءة النخعي تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع أيضًا، لكن الثاني والثالث متوسط مفتوح.

الـ	لا	تي
ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح

ب- «سُرْجًا وقُمْرًا» مقابل ﴿سِرَٰجًا وَقَمَرًا﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾[1].

أولًا: لفظ ﴿سِرَٰجًا﴾:

(١) سورة الفرقان من الآية (٦١).

اختلف في قراءته السبعة، فقرأ حمزة، والكسائي: «سُرُجًا» بضم السين وضم الراء وإسقاط الألف، وقرأ الباقون ﴿سِرَاجًا﴾ بكسر السين وإثبات الألف(١).

وأمَّا قراءة إبراهيم النخعي «سُرْجًا» بضم السين وسكون الراء وإسقاط الألف(٢).

التوجيه:

في اللفظة الكريمة ﴿سِرَاجًا﴾ على قراءة جمهور السبعة ما عدا حمزة، والكسائي بكسر السين، وإثبات الألف بعد الراء، وهي بالإفراد والمقصود: الشمس(٣)، وذكر العلماء أنَّ قراءة ﴿سِرَاجًا﴾ أولى(٤)، ووجه حسن(٥)؛ لأنَّه قد قال:﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾(٦)، وهي اختيار أبو عبيد(٧).

وقال أبو زرعة: «﴿سِرَاجًا﴾ على التوحيد، وحجتهم: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ فردوا ما اختلفوا فيه على ما أجمعوا عليه»(٨).

---

(١) السبعة، لابن مجاهد: صـ٤٦٦، حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد (أبو زرعة): صـ٥١٣، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: ٣٤٧/٥، وانظر القراءتين في الحجة، لابن خالويه: صـ٢٦٦، وإتحاف فضلاء البشر: ٣١٠/٢ وغيرها.

(٢) نسب القراءة «سُرُجًا» بالضم للراء الفرَّاء في معاني القرآن: ٢٧١/٢، ونسبها له، ولابن وثاب، والأعمش ابن عطيَّة في تفسيره: ٢١٧/٤، لكن بإسكان الراء، وكذا في البحر المحيط: ١٢٤/٨، والدر المصون: ٤٩٦/٨، وروح المعاني: ٤١/١٠.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء: ١٣٢/٢، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٧٤/٤، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٩٩٠/٢.

(٤) إعراب القرآن، للنحَّاس: ١١٥/٢.

(٥) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٧١/٢.

(٦) سورة نوح من الآية (١٦).

(٧) فتح القدير: ٩٩/٤.

(٨) حجَّة القراءات: صـ٥١٣.

كما أنَّ ﴿سِرَاجًا﴾ يؤدِّي معنى الجمع، وذلك بجواز عود الهاء في ﴿فِيهَا﴾ على البروج، ويكون التقدير: «وجعل في البروج سِرَاجًا»، فيؤدي السراج معنى الجمع(١).

وقال السَّمين: «قرأ الجمهورُ بالإفراد، والمرادُ به الشمسُ، ويؤيِّده ذِكْرُ القمرِ بعدَه»(٢).

وأمَّا قراءة الأخوين «سُرُوجًا» بضم السين وضم الراء وإسقاط الألف، فيكون ذلك جمعًا.

قال الزجَّاج: «ومن قرأ «سُرُجًا» أراد الشمس والكَوَاكِبَ العِظَامَ مَعَهَا»(٣).

وقال الفرَّاء: «ومن قَالَ «سُرُجًا» ذهب إلى المصابيح، إذ كانت يُهتدى بِهَا، جعلها كالسُّرُج والمصباح كالسراج في كلام العرب»(٤).

وقال أبو علي: «وحجّة حمزة والكسائي: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾(٥)، فشبّهت الكواكب بالمصابيح»(٦).

كما ذكر العلماء أنَّ السرج: اسم جميع الأنوار، وعلى هذا يدخل القمر فيها، إلا أنَّه خص بالذكر فضيلة فيه، أو تشريفًا له(٧).

وقال أبو زرعة: «وَمن قَرَأَ «سُرُجًا»: الشَّمْس وَالْقَمَر وَالْكَوَاكِب الْعِظَام مَعهَا، وَالْهَاء فِي «فِيهَا» عَائِدَة على «البروج»، وَيكون تَقْدِير الْكَلَام: «جعل فِي البروج سرجًا وقمرًا منيرًا» وَإِذا وجهت الْقِرَاءَة على هَذَا الْوَجْه أخذت

(١) انظر السابق.
(٢) الدر المصون: ٤٩٦/٨.
(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ١٧٤/٤، وانظر كذلك زاد المسير: ٣٢٦/٣.
(٤) معاني القرآن، للفرَّاء: ١٧١/٢.
(٥) سورة الملك من الآية (٥).
(٦) الحجة للقرَّاء السبعة: ٣٤٧/٥.
(٧) انظر تفسير السمعاني: ٢٨/٤، وتفسير ابن عطية: ٢١٧/٤.

الْمَعْنيين الْجمع والتوحيد؛ لِأَن البروج منَازِل الشَّمْس وَالْقَمَر والنجوم فَهِيَ كلهَا فِي البروج»[1].

وقال العكبري: «أَوْ يَكُونُ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ الشَّمْسِ سِرَاجًا؛ لِانْتِشَارِهَا وَإِضَاءَتِهَا فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ، وقيل: لأنَّ الشمس لعظمها وكمال إضاءتها لأنها سرج كثيرة»[2].

وقراءة النخعي «سُـرْجًا» تدخل ضمن هذا التوجيه، وهو أنَّها جمع «سراج»، ولا فرق بينها وبين قراءة الأخوين إلا التخفيف بالتسكين.

قال الزجَّاج: «ويجوز «سُرْجًا» بتسكين الراء مثل رُسُل ورُسْل»[3].

وفي هذا سار النخعي في الجمع «سُـرْج» على منهج التميميين في التخفيف بالتسكين، وقد سبق أن ذكر البحث بعض الكلمات التي نطقت بالسكون بدلًا من الضم؛ تخفيفًا في لغة تميم.

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي موافقةً لما في قراءة حمزة، والكسائي، إلا في تسكين الراء، وذلك مقابل الإفراد في قراءة الجماعة، وجاءت قراءته ضمن الشواذ، حيث ذكرت في الكامل للهذلي[4]، ولم تأتِ ضمن القراءات السبعة، أو العشرة المتواترة.

٢- جاءت قراءة النخعي موافقة لنطق التميميين في تسكين هذا الجمع تخفيفًا، وقد سبق أن تعرَّض البحث لمثل هذه الكلمات في التوجيه الصوتي ونسبتها لتميم.

٣- أدَّى اختلاف قراءة النخعي عن قراءة الجماعة، وقراءة الأخوين إلى التغيير الصوتي، والتأثير على مقاطع الكلمة بين كونها جمعًا

---

(١) حجة القراءات: صـ٥١٣.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٩٩٠/٢، وانظر روح المعاني، للألوسي: ٤٠١/١٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ١٧٤/٤، وزاد المسير: ٣٢٦/٣.

(٤) انظر الكامل للهذلي: صـ٦١٠.

«سُرْجًا»، وكون قراءة الجماعة بالإفراد ﴿سِرَٰجًا﴾ ، وكذا بين كونها بإسكان الراء، وكون قراءة حمزة، والكسائي بتحريكها.

المقاطع في القراءات الثلاث:

﴿سِرَٰجًا﴾ على قراءة الجمهور تتكوَّن من ثلاثة مقاطع عند الوقف هي:

سـ	را	جا
ص ح	ص ح ح	ص ح ح

«سُرُجًا» على قراءة حمزة والكسائي تتكوَّن من ثلاثة مقاطع هي:

سُـ	رُ	جا
ص ح	ص ح	ص ح ح

«سُرْجًا» على قراءة النخعي تتكوَّن من مقطعيْن هما:

سُرْ	جا
ص ح ص	ص ح ح

ثانيًا: لفظ «قَمَرًا» في قوله تعالى: ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾.

قرأ الجمهور ﴿وَقَمَرًا﴾ بفتح القاف والميم، وقرأ النخعي، والأعمش «قُمْرًا»[1].

التوجيه:

قراءة الجمهور واضحة، وهي بالإفراد، ولكن الخلاف في توجيه قراءة النخعي.

- **الأول:** أنَّها جمع مثل: «ثُمُر، وثُمْر» الثانية بالتخفيف.

(١) تفسير ابن عطيَّة: ٢١٧/٤، وتفسير البحر المحيط: ١٢٤/٨، والدر المصون: ٤٩٦/٨، وروح المعاني: ٤٢/١٠، ونسب القراءة للأعمش فقط أبو جعفر النحَّاس في إعراب القرآن: ١١٥/٢، وفتح القدير، للشوكاني: ٩٩/٤.

قال ابن عطية: «قال أبو حاتم: روى عصمة عن الحسن «وقُمْرًا» بضم القاف ساكنة الميم، ولا أدري ما أراد إلا أن يكون عنى جمعًا كثُمُر وثُمْر، وقال أبو عمرو: وهي قراءة الأعمش، والنخعي»(١).

- **الثاني:** أنَّها جمع «قمراء» كـ«حُمر، وحمراء»، والمعنى: وذا ليالٍ قُمْرٍ منيرًا، فحذف المضافُ، وأُقيم المضافُ إليه مُقامه، ثم التفتَ إلى المضاف بعد حَذْفِه فوصفَه بـ«منيرًا»، ولو لم يَعْتَبِرْه لقال: منيرةً(٢).
- **الثالث:** أَنَّهُ –أي: «قُمْرًا»– لُغَةٌ فِي الْقَمَرِ كَالرُّشْدِ وَالرَّشَدِ وَالْعُرْبِ وَالْعَرَبِ(٣).

ويمكن أن يكون قد قرأ «قُمْرًا» إتباعًا لقراءته «سُرْجًا» على ما يسمَّى بالاتباع اللغوي، وقد سبق الحديث عنه.

ملاحظات:

١- قراءة النخعي اختلفت عن قراءة الجماعة، فاحتملت توجيهات متعدد، وهي كونها جمعًا لـ«قمر»، أو جمعًا لـ«قمراء»، أو أنَّها لغة في «قَمَر»، ومن الممكن أن تكون اتباعًا للقراءة قبلها كما ذكر البحث.

٢- قراءة النخعي «قُمْر» وصفت بالضعف والشذوذ(٤)، وهي مخالفة لما عليه جمهور القراء.

٣- أدَّى اختلاف القراءة عن قراءة الجمهور إلى التأثير على مقاطع الكلمة، والبيان كالتالي:

---

(١) تفسير ابن عطيَّة: ٢١٧/٤.

(٢) انظر البحر المحيط: ١٢٤/٨، والدر المصون: ٤٩٦/٨، وروح المعاني: ٤١/١٠، ٤٢.

(٣) انظر البحر: ١٢٤/٨، وروح المعاني: ٤٢/١٠.

(٤) انظر فتح القدير، للشوكاني: ٩٩/٤، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ١١٥/٢.

«قَمَرًا» ثلاثة مقاطع:

قـ	مَ	را
ص ح	ص ح	ص ح ح

و«قُمْرًا» مقطعان فقط:

قمـ	را
ص ح ص	ص ح ح

المبحث الثالث

التوجيه النحوي لقراءة النخعي

ويشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: ما يتعلَّق بالمبتدأ والخبر.**
- **المطلب الثاني: ما يتعلَّق بالفاعل.**
- **المطلب الثالث: الفعل الماضي بين البناء للفاعل أو المفعول وأثر ذلك على الفاعل ونائبه.**
- **المطلب الرابع: الفعل المضارع بين البناء للفاعل والمفعول وأثر ذلك على الفاعل ونائبه.**
- **المطلب الخامس: الجملة بين الاستثناء والاتصال والعطف.**
- **المطلب السادس: المفعول بين الحذف والإثبات.**
- **المبحث السابع: متفرقات من أبواب النحو.**

المطلب الأول

ما يتعلق بالمبتدأ والخبر

حذف العائد من جملة الخبر أو حذف الموصوف وهو الخبر

في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[1]، حيث قرأ الجمهور ﴿أَفَحُكْمَ﴾ بالنصب[2]، بينما قرأ النخعي، ويحيى، والسلمي: «أَفَحُكْمُ» برفع الميم[3]، وهي قراءة الأعرج، وأبي رجاء[4].

التوجيه:

أولًا: قراءة الجمهور ﴿أَفَحُكْمَ﴾ بالنصب والناصب له «يبغون» المحذوفة وتفسيرها ﴿يَبْغُونَ﴾ الواقعة بعد المضاف إليه، كأنَّه قال: «أفيبغون حكمَ الجاهليَّة يبغون»، والمعنى: أيطلب هؤلاء اليهود حكمَ عبدة الأوثان.

قال ابن عطيَّة: «قرأ الجمهور بنصب الميم على إعمال فعل ما يلي ألف الاستفهام بَيَّنَهُ هذا الظاهر»[5]. وعلى هذا تكون الجملة فعليَّة تبعتها جملة فعليَّة أخرى مفسِّرة لها.

وذكر صاحب الدر المصون أنَّ «حكمَ» مفعول مقدم، و﴿يَبْغُونَ﴾ فعل وفاعل، وهو المستفهم عنه في المعنى[6].

---

(١) سورة المائدة من الآية رقم (٥٠).

(٢) راجع إتحاف فضلاء البشر: ٥٣٦/١.

(٣) انظر: المحتسب لابن جني: ٢١٠/١.

(٤) نُسِبَ ليحيى، والسلمي، وأبي رجاء، والأعرج في تفسير ابن عطيَّة: ٢٠٣/٢، والدر المصون: ٢٩٥/٤، وللسلمي ويحيى في مختصر ابن خالويه: صـ٣٩.

(٥) تفسير ابن عطيَّة: ٢٠٣/٢.

(٦) الدر المصون للسَّمين: ٢٩٥/٤.

ثانيًا: قراءة إبراهيم النخعي، ويحيى، والسلمي: «أَفَحُكْمُ» فقد وُصِفت بالخطأ، وبعضهم وصفها بالضعف، ورُدَّ على ذلك بأنَّها جائزة، وتفصيل ذلك في التالي:

التفصيل:

يرجع وصف القراءة بما سبق إلى حذف عائد المبتدأ من جملة الخبر، فالجملة تختلف عن قراءة ﴿أَفَحُكْمَ﴾ بالنصب، إذ هي جملة فعليَّة، بينما جملة «أَفَحُكْمُ» جملة اسميَّة تقع مبتدأ نخبرٌ عنه بجملة فعليَّة ﴿يَبْغُونَ﴾، والجملة التي تقع خبرًا إذا كانت نفس جملة المبتدأ في المعنى لا تحتاج إلى رابطٍ يربطها بجملة المبتدأ؛ لأنَّها اتَّحدت معه، ولا رابط أقوى من الاتحاد(١).

وضابطها: كلُّ جملةٍ مخبر بها عن مفرد، يدل على جملةٍ، كحديثٍ، وكلامٍ، ومنه ضمير الشأن(٢).

وذلك نحو: «نطقي الله حسبي»، فـ«الله حسبي» جملة اسميَّة مكونة من مبتدأ وخبر، وهي خبر المبتدأ الذي هو «نطقي»، ومثال الجملة المخبر عنها بضمير الشأن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾(٣)، فالضمير ﴿هُوَ﴾ مبتدأ مقصود به الشأن، والأمر، والجملة بعده خبر(٤).

وإن لم تكن جملة الخبر هي نفس جملة المبتدأ في المعنى، فلا بُدَّ من أن تشتمل على رابطٍ يربطها بالمبتدأ؛ لأنَّ الجملة كلُّ كلامٍ مستقلٍّ قائمٍ بنفسه،

---

(١) انظر: المبسوط في النحو، د/ عبد الكريم محمد شعبان، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م: صـ١٧.

(٢) حاشية الصبَّان على الأشموني: ١٩٧/١.

(٣) سورة الإخلاص الآية رقم (١).

(٤) انظر في ذلك كتب النحو مثل: شرح المفصَّل، لابن يعيش: ٨٨/١، ٨٩، وغيره من المراجع.

فإذا لم يكن في الجملة ذكر يربِطها بالمبتدأ حتّى تصيرَ خبرًا، وتصيرَ الجملةُ من تَمامِ المبتدأ، وقعت الجملةُ أَجْنَبِيّةً من المبتدأ، ولا تكون خبرًا عنه(١).

وللجملة روابط عدَّة منها: الضمير، وهو أصلها.

وحذف هذا الضمير إذا كان منصوبًا -كما في الآية التي معنا- جائز في الشعر ضعيف في النثر.

قال سيبويه: «ولا يحسُنُ في الكلام أن يَجْعَلَ الفعلَ مبنيًّا على الاسم، ولا يَذْكُرَ علامةَ إِضمارِ الأوّل، حتى يَخرج من لفظِ الإعمال في الأوّل، ومن حالِ بناء الاسم عليه، ويَشْغَلَه بغير الأوّل، حتى يمتنِعَ من أن يكونَ يَعْمَلُ فيه، ولكنّه قد يجوز في الشعر، وهو ضعيفٌ في الكلام»(٢).

وقراءة النخعي وصفت بالخطأ في قول ابن مجاهد، حيث قال: «وبالياء ورفع الميم خطأ، قال: وقال الأعرج: لا أعرف في العربيَّة «أَفَحُكْمُ»(٣).

وذكر السَّمين أنَّ غيره -يعني ابن مجاهد- يجعلها ضعيفة، ولا تبلغ درجة الخطأ(٤)؛ ولذلك كله لعدم ذكر العائد، أو حذفه من جملة الخبر.

ولكنَّ ابن جني وغيره ذكروا توجيهًا يؤكِّد صحَّة وجواز ذلك، مع ضعفه، كما ذكروا توجيهًا آخر، وهما كالتالي:

- **التوجيه الأوَّل:** أنَّه يجوز حذف العائد تشبيهًا له بعائد الحال، أو الصفة.

قال أبو الفتح: قول ابن مجاهد إنَّه خطأ فيه سرف، لكنَّه وجه غيره أقوى منه، وهو جائز في الشعر، قال أبو النجم:

---

(١) السابق نفس الصفحات.

(٢) الكتاب لسيبويه.

(٣) انظر: المحتسب لابن جني: ١/٢١٠، ٢١١، وتفسير ابن عطيَّة: ٢/٢٠٣، والدر المصون: ٤/٢٩٥، وغيرها.

(٤) انظر: الدر المصون: ٤/٢٩٥، ٢٩٦.

قد أصبحَتْ أمُّ الخيار تدَّعي ... عليَّ ذنبًا كلُّه لم أصنع[1]

أي: لم أصنعه، فحذف الهاء. نعم، ولو نصب فقال: «كلَّه» لم ينكسر الوزن، فهذا يؤنسك بأنَّه ليس للضرورة مطلقة؛ بل لأنَّ له وجهًا من القياس، وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال، أو الصفة، وهو إلى الحال أقرب؛ لأنَّها ضربٌ من الخبر، فالصفة كقولهم: الناس رجلان: رجلٌ أكرمت ورجلٌ أهنت؛ أي: أكرمته وأهنته، والحال كقولهم: مررت بهند يضرب زيد؛ أي: يضربها زيد، فحذف عائد الحال وهو في الصفة أمثل؛ لشبه الصفة بالصلة في نحو قولهم: أكرمت الذي أهنت؛ أي: أهنته، ومررت بالتي لقيتُ؛ أي: لقيتها، فغير بعيد أن يكون قوله: «أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» يراد به يبغونه، ثمَّ يُحْذَف الضمير، وهذا وإن كانت فيه صنعة فإنَّه ليس بخطأ[2].

ويفرِّق ابن جني بين بيت أبي النجم وبين القراءة بأمرَيْن:

- **الأوَّل:** أنَّ في بيت أبي النجم حذف للضمير مع التعويض عنه بحرف الإطلاق، وهو ما يقوم مقام الحذف، والهاء تعاقب ياء الإطلاق، فصارت كأنَّها موجودة.
- **الثاني:** أنَّ في القراءة همزة استفهام التي تطلب الفعل، ويختار معها النصب.

حيث قال: «وفيه من بَعْدِ هذا شيئان نذكرهما، وهو أن قوله: «كله لم أصنع» وإن كان قد حُذِف الضمير، فإنَّه قد خلفه وأُعيض عنه ما يقوم مقامه في اللفظ؛ لأنَّه يعاقبه ولا يجتمع معه، وهو حرف الإطلاق؛ أعني: الياء في

---

(١) البيتان من الرجز، لأبي النجم العجيلي، والمقصود بأمّ الخيار: زوجه، والذنب المراد به الشَّيْب والصَّلَع، وهو في الكتاب: ١/٨٥، ١٢٧، ١٣٧، والمقتضب للمبرد: ٤/٢٥٢، والمحتسب: ١/٢١١، وشرح المفصل: ٢/٣٠، وتفسير ابن عطيَّة: ٢/٢٠٣، والدر المصون: ٤/٢٩٢، وغيرها من المراجع.

(٢) المحتسب، لابن جني: ١/٢١١.

«أصنعي»، فلمَّا حضر ما يعاقب الهاء فلا يجتمع معها صارت لذلك كأنَّها حاضرة غير محذوفة، فهذا وجه.

والثاني: أن هناك همز استفهام، فهو أشدُّ لتسليط الفعل، ألا ترى أنَّك تقول: زيد ضربته فيختار الرفع، فإذا جاء همزة الاستفهام اخترت النصب ألبتة، فقلت: أزيدًا ضربته، فنصبته بفعلٍ مضمرٍ يكون هذا الظاهر تفسيرًا له»[1].

وما ذهب إليه ابن جني ذهب إليه كثيرٌ من العلماء كأبي البقاء العكبري[2]، وأشار إلى أنَّه ضعيف، وجاء في الشعر إلا أنَّه ليس بضرورة فيه، ولذا ذهب إليه ابن عطيَّة[3]، والزمخشري، حملًا على حذفه من جملة الصلة، والصفة، والحال[4].

ويحكم ابن عصفور على القراءة بأنَّها ممَّا يحفظ، ولا يقاس عليه[5].

- **التوجيه الثاني**: أنَّ جملة ﴿يَبۡغُونَ﴾ ليست خبرًا، وإنَّما هي صفة لخبر موصوف محذوف، وتقدير «أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ حُكْم يَبْغُونَ»، فـ«يبغون» صفة لـ«حكم» وهو الخبر.

قال ابن جني: «وإن شئت لم تجعل قوله: «يَبْغُونَ» خبرًا؛ بل تجعله صفة خبر موصوف محذوف، فكأنه قال: «أفحكمُ الجاهلية حكمٌ يبغونه»، ثمَّ حذف الموصوف الذي هو «حكم»، وأقام الجملة التي هي صفته مقامه، أعني: «يبغون»، كما قال الله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن

(١) المحتسب لابن جني: ٢١١/١.
(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٤٤٢/١.
(٣) تفسير ابن عطيَّة: ٢٠٣/٢.
(٤) انظر: الكشاف للزمخشري: ٦١٩/١.
(٥) الضرائر، لابن عصفور: صـ٧٦.

﴿مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1]، أي: قوم يحرِّفون، فحُذِف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه، وعليه قوله:

وَمَـا الـدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَـانِ فَمِنْهُمَـا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَح[2]

أي: فمنهما تارة أموت فيها، فحذف تارة وأقام الجملة التي هي صفتها نائبة عنها فصار أموت فيها، ثم حذف حرف الجر فصار التقدير أموتها، ثم حذف الضمير فصار أموت»[3].

وإلى هذا ذهب ابن عطيَّة، وكذا نقله صاحب الدر المصون عنه[4].

ويُلاحظ أنَّ قراءة الجمهور أقيس، وأقوى، وقراءة النخعي وإن وافقت وجهًا من العربيَّة، إلا أنَّها وصفت بالضعف، أو أنَّها تحفظ ولا يُقاس عليها، وهي قراءة شاذة، فلم ترد عن السبعة، أو عن العشرة المتواترة.

(١) سورة النساء من الآية (٤٦).

(٢) لابن مقبل في ديوانه: صـ٢٤، والكتاب لسيبويه: ٣٤٦/٢، ولسان العرب مادة «كدح»، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٠٣/٢، والدر المصون: ٢٩٨/٤، من بحر الطويل.

(٣) المحتسب لابن جني: ٢١٢/١.

(٤) انظر: تفسير ابن عطيَّة: ٢٠٣/٢، والدر المصون للسَّمين: ٢٩٨/٤.

المطلب الثاني

ما يتعلق بالفاعل

١-تاء الفاعل بين الخطاب والتكلُّم:

«عَجِبْتُ» مقابل ﴿عَجِبْتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[(١)].

اختلف القراء في ضمِّ التاء وفتحها من قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾، حيث قرأ من السبعة ابن كثيرٍ، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر بفتح التاء ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾.

وقرأ حمزة، والكسائي «بَلْ عَجِبْتُ»[(٢)]، وهي قراءة النخعي، وابن وثاب، وطلحة، وشقيق، والأعمش[(٣)]، ورويت هذه القراءة عن عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس[(٤)].

التوجيه والمعنى:

قراءة الجمهور ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء خطابٌ من الله -عز وجل- لنبيِّه -ﷺ- أي: عجبت يا محمَّد من إعراضهم عن الحق، وعماهم عن الهدى، وأن يكونوا كافرين مع ما جئتهم به من الله، ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من هذا القرآن[(٥)]، فالتاء للخطاب، والمخاطب هو النبي الكريم ﷺ.

---

(١) سورة الصافات الآية (١٢).

(٢) انظر: السبعة، لابن مجاهد: صـ٥٤٧، والحجَّة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: ٥١٣/٦ وغيرهما، وانظر كذلك تفسير السمعاني: ٣٩٣/٤، وتفسير البغوي: ٢٧/٤، وغيرها.

(٣) انظر: تفسير ابن عطيَّة المحرر الوجيز: ٤٦٧/٤، وتفسير القرطبي: ٥٧٠٨/٨، والبحر: ٩٤/٩، ٩٥، وفتح القدير: ٤٤٤/٤، والدر: ٢٩٥/٦، ٢٩٦، وروح المعاني: ٧٤/١٢ وغيرها.

(٤) انظر: السابق، وكذا معاني القرآن للفراء: ٣٥٨/٢، وتفسير السمعاني: ٤٦٧/٤، وتفسير البغوي: ٢٧/٤ وغيرها.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية: ٤٦٧/٤.

وأمَّا قراءة النخعي، وحمزة، والكسائي من السبعة، وابن وثاب، وشقيق، والأعمش، وطلحة بن مصرف، ورويت عن الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– (علي، وابن مسعود، وابن عباسٍ) «بَلْ عَجِبْتُ» قد وجِّهت بتوجيهيْن:

– **الأول:** إسناد العَجَب للباري –سبحانه وتعالى– ويكون بمعنى «عظم وكبر»، والمعنى: «بَلْ عَظُمَ عِنْدِي وَكَبرَ اتِّخَاذُهُمْ لِي شَرِيكًا، وَتَكْذِيبُهُمْ منزلي وَهُمْ يَسْخَرُونَ»(١).

قال الزجَّاج: «ومن قرأ «عَجِبتُ» فهو إخبار عن الله»(٢).

وقال الفرَّاء: «قرأها الناس بنصب التاء ورفعها، والرفع أحبّ إليَّ؛ لأنَّها قراءة عَليّ، وابن مسعود، وعبد الله بن عَبَّاسٍ»(٣).

وأنكر جماعةٌ هذه القراءة بحجَّة أنَّ العَجَب لا يكون من الله.

قال الزجَّاج: «وأنكر قومٌ هَذهِ القراءةَ، وقالوا: الله –عزَّ وجلَّ– لا يعجب، وإنكارهم هذا غلط؛

لأنَّ القراءة والرواية كثيرةٌ، والعجب من الله –عزَّ وجلَّ– خلافُهُ من الآدميّين، كما قال: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾(٤)، و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾(٥)، ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾(٦)، والمكر من الله والخداع خلافه من الآدميّين»(٧).

وقال الفرَّاء: «... قَالَ شقيق: قرأتُ عند شُرَيح «بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ» فقال: إنَّ الله لا يَعْجب من شيءٍ، إنَّما يَعجب مَنْ لا يعلم. قَالَ: فذكرت ذَلِكَ

---

(١) تفسير الطبري (جامع البيان): ٣٣/٢١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٢٨٤/٤.

(٣) معاني القرآن للفراء: ٣٥٨/٢، وانظر كذلك فتح القدير، للشوكاني: ٤٤٦/٤، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٥٧٠٨/٨، وغيرها.

(٤) سورة الأنفال من الآية (٣٠).

(٥) سورة التوبة من الآية (٧٩).

(٦) سورة النساء من الآية (١٤٢).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجَّاج: ٢٨٤/٤.

لإبراهيم النَّخَعيّ فقال: إن شرُيحًا شاعر يُعجبه عِلمه، وعبد الله أعلم بذلك منه. قرأها «بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ». قَالَ أَبُو زكريّا: والعجب وإن أُسند إلى الله، فليسَ معناهُ من الله كمعناهُ من العباد»(١).

وأنكر أبو علي الفارسي إضافة العَجَب إلى الله، لكنَّه لم ينكر القراءة بالضمِّ؛ حيث قال: «وقد احتجّ بعضهم للضّمّ بقوله: ﴿*وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾ (٢)، وليس في هذا دلالة على أنّ الله –سبحانه– أضاف العَجَب إلى نفسه، ولكن المعنى: «وإن تعجب فعجب قولهم عندكم»... ولا يجوز أن يكون الوصف بالعَجَب في وصف القديم سبحانه، كما يكون في وصف الإنسان؛ لأنَّ العَجَب فينا إنَّما يكون إذا شاهدنا ما لَمْ نشاهد مثله، ولم نعرف سببه، وهذا منتفٍ عن القديم سبحانه»(٣).

لكنَّ الطبريَّ أكَّد صحَّة القراءتين، حيث قال: «وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَكُونُ مُصِيبًا الْقَارِئُ بِهِمَا مَعَ اخْتِلَافِ مَعْنَيَيْهِمَا؟ قِيلَ: إِنَّهُمَا وَإِنِ اخْتَلَفَ مَعْنَيَاهُمَا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَعْنَيَيْهِ صَحِيحٌ، قَدْ عَجِبَ مُحَمَّدٌ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضْلِ، وَسَخَرَ مِنْهُ أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَقَدْ عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ عَظِيمِ مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي اللَّهِ، وَسَخَرَ الْمُشْرِكُونَ بِمَا قَالُوهُ، فَإِنْ قَالَ: أَكَانَ التَّنْزِيلُ بأحدهما أَوْ بِكِلْتَيْهِمَا؟ قِيلَ: التَّنْزِيلُ بِكِلْتَيْهِمَا...»(٤).

فالطبريُّ لم ينكر أن يقع العَجَب من الله، لكنه بمعنى الإعظام، والإكبار.

وَقِيلَ: «إِنَّ مَعْنَى الْإِخْبَارِ مِنَ اللَّهِ –سُبْحَانَهُ– عَنْ نَفْسِهِ بِالْعَجَبِ أَنَّهُ أَظْهَرَ مِنْ أَمْرِهِ وَسُخْطِهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْعَجَبِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ.

---

(١) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣٥٨/٢.
(٢) سورة الرعد من الآية (٥).
(٣) الحجَّة للقراء السبعة: ٥٤/٦.
(٤) جامع البيان، للطبري: ٣٣/٢١.

وقَالَ الْهَرَوِيُّ: وَيُقَالُ مَعْنَى عَجِبَ رَبُّكُمْ: أَيْ رَضِيَ رَبُّكُمْ وَأَثَابَ، فَسَمَّاهُ عَجَبًا، وَلَيْسَ بِعَجَبٍ فِي الْحَقِيقَةِ، فَيَكُونُ مَعْنَى «عَجِبْتُ» هُنَا عَظُمَ فِعْلُهُمْ عِنْدِي.

وَحَكَى النَّقَّاشُ أَنَّ مَعْنَى «عَجِبْتُ»: بَلْ أَنْكَرْتُ، والتَّعَجُّبُ مِنَ اللَّهِ إِنْكَارُ الشَّيْءِ وَتَعْظِيمُهُ، وقيل: بل جاز بينهم على عجبهم»(١).

وقيل: المعنى أنَّه بلغ حدًّا يقول القائل في مثله «عَجِبْتُ»(٢).

- **الثاني:** توجه القراءة «بَلْ عَجِبْتُ» صرف ذلك للمخاطب هو الرسول –ﷺ– أي: قل يا محمَّد «بَلْ عَجِبْتُ» أي: الخبر عن النبي ﷺ(٣).

قال أبو جعفر: «سمعت علي بن سليمان: معنى القراءتين واحدٌ، والتقدير: قل: يا محمد «بَلْ عَجِبْتُ»؛ لأنَّ النبيّ ﷺ مخاطب بالقرآن»(٤).

قال النحَّاس: «وهذا قولٌ حسنٌ»(٥).

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي موافقة لما قرأ به حمزة، والكسائي، كما رويت القراءة عن كبار الصحابة، واختارها بعض العلماء، فهي من القراءات المتواترة.

٢- وجِّهت القراءة التي قرأ بها النخعي بأنَّ العَجَب من الله، وأنَّه عجب مخالف لما هو معروف لدى الآدميّين، كما فُسِّر أيضًا بالإنكار، أو الإعظام، أو أنَّ كفر الكافرين بلغ حدًّا يقال في مثله «عَجِبْتُ»، كما وجِّهت بأنَّ ذلك خطاب للنبي والقرآن منزل عليه قل يا محمَّد «عَجِبْتُ»، وتقدير القول كثير في العربيَّة.

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني: ٤٤٦/٤.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ١٠٨٨/٢.

(٣) السابق، وإتحاف فضلاء البشر: ٤٠٩/٢.

(٤) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٨٠/٣، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٦٧/٤.

(٥) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٨٠/٣.

٣- القراءتان مشهورتان والقارئ بأيِّهما مصيبٌ، وإن اختلف معنييهما من وجهة نظر بعض العلماء، فكلُّ واحدٍ من المعنييْن صحيحٌ.

٢- تذكير الفعل مع الفاعل المؤنَّث مقابل تأنيثه عند الفصل بينه وبين فاعله

وذلك في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾(١).

قرأ الجمهور: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ بتاء تدلُّ على تأنيث الفعل للفاعل، وقرأ النخعي «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ» بالياء(٢).

التوجيه:

- **أولًا:** قراءة الجمهور: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾، فالفعل ﴿تَكُن﴾ مسندٌ إلى الفاعل ﴿صَٰحِبَةٞۖ﴾، وهنا طابق بين الفعل وفاعله، حيث أتى بالتاء التي تدلُّ على أنَّ الفعل مؤنَّث مع وجود فاصل بين الفعل ﴿تَكُن﴾ وفاعله ﴿صَٰحِبَةٞۖ﴾ بالجار والمجرور ﴿لَّهُۥ﴾ الذي هو خبر «كان» المقدَّم على اسمها ﴿صَٰحِبَةٞۖ﴾ على اعتبار أنَّ «كان» ناقصة لم تكتفِ بالمرفوع.
- **ثانيًا:** قراءة النخعي: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ» ذكر العلماء لهذه القراءة توجيهاتٍ عدَّة، أشهرها ما يأتي:

١- أنَّ ﴿صَٰحِبَةٞۖ﴾ اسم «كان»، وجاز التذكير للفصل.

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١٠١).

(٢) انظر: نسبة القراءة للنخعي في المحتسب، لابن جني: ٢٢٤/١، ومختصر شواذ القرآن، لابن خالويه: صـ٤٠، والمحرر الوجيز= تفسير ابن عطيَّة: ٣٢٩/٢، والبحر: ٦٠٤/٤، والدر المصون: ٩/٥، وروح المعاني: ٢٢٩/٤.

قال ابن جني: «أن تكون ﴿صَيْحَةٌ﴾ اسم «كان»، وجاز التذكير هنا؛ للفصل بين الفاعل والفعل بالظرف الذي هو الخبر؛ كقولنا: كان في الدار هند»(١).

وقد ذكر ذلك التوجيه كثيرٌ من العلماء، وعلى رأسهم: العكبري، وابن عطيَّة، والزمخشري، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والألوسي، وغيرهم(٢).

واستشهد بعضهم لهذا بقول الشاعر:

لَقَدْ وَلَدَ الْأُخَيْطِلَ أُمُّ سَوْءٍ على باب استها صلب وشام(٣)

والشاهد: «ولد»، حيث ترك تاء التأنيث من الفعل؛ لوجود فاصلٍ بينه وبين الفاعل.

وكذا بقول الآخر:

إنَّ امرَأً غَرَّه منكنَّ واحدةٌ بَعْدي وبعدكِ في الدنيا لمغرورُ(٤)

والشاهد: «غَرَّه»، حيث حذف التاء للفصل.

وذكر ابن جني، وتبعه ابن عطيَّة في تفسيره أنَّ تذكير «كان» مع تأنيث اسمها كما في القراءة السابقة أسهل من ذلك في سائر الأفعال، فقولك: «كان في الدار هند» أسوغ من «قام في الدار هند»(٥).

---

(١) المحتسب: ٢٢٤/١، ٢٢٥.

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء: ٢١٧/١، والمحرر الوجيز: ٣٢٩/٢، والكشاف للزمخشري: ٤٥/٢، والبحر: ٦٠٤/٤، والدر المصون: ٩/٥، وروح المعاني: ٢٢٩/٤.

(٣) من الوافر لجرير ضمن قصيدة يهجو بها الأخطل وقومه، والصلب: جمع «صليب»، والشام: جمع «شامة» وهي العلامة، وهو في المقتضب: ١٤٥/٢، والخصائص: ٤١٤/٢، والبحر: ٦٠٤/٤، والدر: ٩/٥، وروح المعاني: ٢٢٩/٤، وشرح المفصل: ٩٢/٥ وغيرها.

(٤) من البسيط، لم أقف على قائله، وهو في الخصائص: ٤١٤/٢، وشرح المفصل: ٥٣/٥، والدر: ٩٠/٥، وغيرها.

(٥) انظر: المحتسب، لابن جني: ٢٢٥/١.

ووضح ابن جني العلَّة في ذلك بقوله: «إنَّما احتيج إلى تأنيث الفعل عند تأنيث فاعله؛ لأنَّ الفعل انطبع بالفاعل حتَّى اكتسى لفظه من تأنيثه، فقيل: «قامت هند»...، وإنَّما كان ذلك؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما لا يستغني عن صاحبه، فأنَّث الفعل إيذانًا بأنَّ الفاعل الموقع بعده مؤنث، وليس كذلك حديث «كان» وأخواتها؛ لأنَّه ليست «كان» مع اسمها كالجزء الواحد، من قِبَل أنَّك لو حذفت «كان» لاستقلَّ ما بعدها برأسه، ولم يحتج إليها لم يتصل به اتصال الفاعل بفعله، نحو: «قام جعفر، وجلس بِشر».

ألا تراك لو حذفت الفعل هنا، لانفرد الفاعل جزءًا برأسه، فلم يستقل استقلال الجملة بعد «كان» بنفسها؟ فلما لم تَقْوَ حاجته إلى «كان» قوة حاجة الفاعل إلى الفعل انحطت رتبته في حاجته إلى «كان»، فامتاز منها امتيازًا قد أحطنا به، فساغ لذلك ألا يلزم تأنيث «كان» لاسمها إذا كان مؤنثًا تأنيث الفعل لفاعله إذا كان مؤنثًا، ولم يذكر أحدٌ من أصحابنا هذا، فافهمه، فإن هذه حاله»[1].

فهنا يفرِّق ابن جني بين حاجة الفعل للفاعل، وبين حاجة «كان» لاسمها، مبينًا قوَّة حاجة الفاعل إلى الفعل، وأنهما يجريان مجرى الجزء الواحد في الاستقلال، بينما يستقل اسم «كان» حيث لم تَقْوَ حاجته إلى «كان»؛ من أجل ذلك لزم تأنيث الفعل لفاعله المؤنَّث، بينما لم يحدث ذلك اللزوم من تأنيث «كان» لاسمها المؤنَّث.

وقد تبع ابن عطيَّة ابنَ جني في ذلك[2]، لكن أبا حيَّان أنكره، حيث قال: «وَلَا أَعْرِفُ هَذَا عَنِ النَّحْوِيِّينَ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ كَانَ وَغَيْرِهَا»[3].

(١) المحتسب، لابن جني: ١/٢٢٥.
(٢) انظر: تفسير ابن عطيَّة: ٢/٣٢٩.
(٣) البحر: ٤/٦٠٤، وانظر الدر: ٥/٩٠.

وصحح كلام أبي حيَّان السمين الحلبي، حيث قال: «كلامٌ صحيحٌ يؤيده أنَّ الفارسي قال بحرفية بعضها -يقصد أخوات «كان»- كـ«ليس»، فإنَّه لا يُجيز حَذْفَ التاء منها، لو قلت: «ليس هند قائمة» لم يجز»[(١)].

٢- أن يكون في «يَكُنْ» ضمير يعود على الله تعالى، و﴿لَّهُۥ﴾ خبر مقدَّم، و﴿صَٰحِبَةٌ﴾ مبتدأ مؤخَّر، والجملة ﴿لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ خبر «كان»، واسمها الضمير العائد.

٣- أن يكون في «يَكُنْ» ضمير الشأن، والجملة بعده تفسير وخبر[(٢)].

ملاحظات:

١- لدى البحث ثلاثة توجيهات لقراءة النخعي، يتفق الأول مع قراءة الجمهور في الإعراب، مع اختلاف في تذكير الفعل وتأنيثه، والثاني: أنَّ اسم «كان» ضمير يعود إلى الله تعالى، وجملة ﴿لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ خبر «كان»، والثالث: أن اسم «كان» ضمير الشأن، والجملة تفسير له وخبر لـ«كان».

٢- قراءة النخعي وإن كان لها توجيه يتفق مع الوجوه النحويَّة، ويتساوى مع الاستعمال العربي، إلا أنهَّا قراءة شاذَّة لم تُرْوَ عن السبعة المتواترة، وكذا الثلاثة الزائدة عليها.

٣- ليس لقراءة النخعي أثر صوتي سوى إبدال التاء الدالَّة على تأنيث الفاعل، أو اسم «كان» بالياء الدالَّة على جواز تذكيره؛ لوجود فاصلٍ بينهما.

---

(١) الدر المصون: ٥/٩٠.

(٢) انظر التوجيه الثاني والثالث في المحتسب: ١/٢٢٤، والتبيان في إعراب القرآن: ١/٥٢٧، وتفسير ابن عطيَّة: ٢/٣٢٩، والبحر: ٤/٦٠٤، والدر: ٥/٩٠ وغيرها.

٣-الاختلاف في الفاعل والمفعول:

نصب لفظ الجلالة «الله» في مقابل رفعه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[(١)]، فقد قرأ الجمهور بالرفع للفظ الجلالة، بينما قرأ النخعي، وابن وثاب بالنصب للفظ الجلالة[(٢)].

التوجيه:

قراءة الجمهور ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ إخبارٌ بخاصَّة موسى، وأنَّ الله –تعالى– شرَّفه بكلامه ثمَّ أكَّد الفعل بالمصدر، وذلك منبئٌ عن تحقيق الفعل ووقوعه، وأنه خارج عن وجوه المجاز والاستعارة.

وكلام الله للنبي موسى –عليه السلام– دون تكييف، ولا تحديد، ولا حروف، ولا أصوات،... وأنَّ الكلام هو المعنى القائم في النفس، ويخلق الله لموسى أو جبريل إدراكًا من جهة السمع يتحصَّل به الكلام[(٣)].

أمَّا قراءة النخعي، وابن وثاب «وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تَكْلِيمًا» بالنَّصب على أنَّ موسى –عليه السلام– هو المُكَلِّمُ، فيكون فاعلًا مؤخرًا، ولفظ الجلالة مفعول مقدَّمٌ، وهي قراءةٌ وُصِفت بالضعف من جهة الاشتهار[(٤)]، لكنَّها صحيحة من جهة القياس، فهي من المواضع التي يجوز فيها تقديم المفعول على الفاعل، فوضع الجملة أن يتقدَّم الفعل، ثمَّ يأتي الفاعل وبعده المفعول، وإن كان الأصل أن يتقدَّم الفاعل على فعله.

---

(١) سورة النساء من الآية (١٦٤).

(٢) انظر: المحتسب: ٢٠٤/١، وتفسير ابن عطية: ١٣٧/٢، والبحر: ١٣٩/٤، وفتح القدير: ٦٢٠/١، ٦٢١، والدر المصون: ١٥٧/٤، ومختصر شواذ القرآن، لابن خالويه.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١٣٧/٢.

(٤) انظر: السابق.

قال ابن يعيش: «اعلم أنَّ القياس في الفعل، من حيث هو حركةُ الفاعل في الأصل، أن يكون بعد الفاعل؛ لأنَّ وجوده قبل وجودِ فعله»(١).

ولمَّا كان الفعل عاملًا في الفاعل والمفعول، ومرتبة العامل قبل المعمول تقدَّم عليهما، ولمَّا كان الفاعل لازمًا للفعل، إذ هو كالجزء منه، وجب أن يترتَّب بعده، والأصل في المفعول أن ينفصل من الفعل، بأن يتأخَّر عن الفاعل؛ لأنَّه فَضْلَةٌ، لا يتوقّف انعقادُ الكلام على وجوده(٢).

وقد يتقدَّم المفعول، وهذا الموطن من مواطن جواز تقديمه، فيجوز تقديمه إذا لم يوجد ما يوجب تقدمه(٣).

قال ابن جني في توجيه هذه القراءة «وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تَكْلِيمًا» بنصب لفظ الجلالة على أنَّه مفعول به مقدَّم، و«مُوسَى» فاعل مؤخَّر. قال: «يشهد لهذه القراءة قوله -جلَّ وعزَّ- حكاية عن موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾(٤)، وغيره من الآي التي فيها كلامه لله تعالى»(٥).

---

(١) شرح المفصَّل: ١/٧٥.

(٢) انظر: السابق: ١/٧٦، وشرح الأشموني: ٢/٥٥.

(٣) ذكر النحاة واضع لوجوب تقديم المفعول، منها:

١- أن يتَّصل بالفاعل ضمير المفعول نحو: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [سورة البقرة من الآية (١٢٤)].

٢- أن يحصر الفاعل بـ«إنَّما» نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [سورة فاطر من الآية (٢٨)]. راجع في ذلك كتب النحو -إن شئت- على سبيل المثال: شرح ابن عقيل: ١/٤٩٣، والتصريح: ١/٢٨٤ وغيرها.

(٤) سورة الأعراف من الآية (١٤٣).

(٥) المحتسب، لابن جني: ١/٢٠٤.

تعقيب:

١- القراءة وُصِفت بالضعف؛ لأنَّ الله -تعالى- أراد تشريفه بذلك، والإخبار بخاصَّته عن بقيَّة خلقه مؤكدًا ذلك بالمصدر، وإلا فالناس جميعًا مشتركون مع موسى، فكلهم يكلمون الله، لكن موسى اختص بأنَّ الله كلَّمه.

٢- القراءة لم ترد ضمن القراءات المتواترة، فهي قراءة شاذَّة.

٣- لا يوجد أثرٌ صوتيٌّ، أو تغيير في المقاطع بين قراءة الجمهور، وقراءة النخعي.

المطلب الثالث

الفعل الماضي بين البناء للفاعل وأثر ذلك على الفاعل أو نائبه

١- القراءة بفعل ماضٍ مبني للمفعول مقابل ماضٍ آخر مبني للمفعول وثالث مبني للفاعل

«أُنْزِلَ» مقابل ﴿نَزَّلَ﴾، و«نُزِّل»، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ (١).

حيث قرأ جمهور القرَّاء «نُزِّلَ» بضم النون وكسر الزاي مشدَّدة، إلا عاصمًا، فقد قرأ «نَزَّل» بفتح النون وفتح الزاي مع تشديدها(٢).

وقرأ النخعي «أُنْزِل» بالهمزة المضمومة مع كسر الزاي(٣).

المعنى والتوجيه:

في الآية الكريمة يُعلم الحق -سبحانه- المؤمنين بأنَّ المنافقين والكفار يهزؤن بكتاب الله، وأمرهم ألا يقعدوا معهم، حتى يخوضوا في حديث غير القرآن، وقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ﴾ أي: إنَّكم إذا جالستموهم في الخوض في كتاب الله بالهزؤ، فأنتم مثلهم في الإثم والعقوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾(٤).

قراءة الجمهور إلا عاصمًا «نُزِّلَ» بضم النون وكسر الزاي مشددة، على وجه ما لم يسمَّ فاعله أي: أنَّ الفعل مبني للمفعول(٥).

---

(١) سورة النساء الآية (١٤٠).

(٢) انظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٢٣٩، والنشر: ٢٥٣/٢ وغيرها.

(٣) انظر تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز: ١٢٥/٢، والبحر: ١٠٢/٤، والدر: ١٢١/٤.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ١٢١/٢ وغيره.

(٥) انظر التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٢٩٨/١.

وكذا قراءة النخعي «أُنْزِل» بالهمزة المضمومة على ما لم يسمَّ فاعله[١] أيضًا، والقائم مقام الفاعل «أن» وما هو تمام لها[٢]، أو ما في حَيِّزها، والمعنى: وقد نَزَّل عليكم المنعَ من مجالستهم عند سماعِكم الكفرَ بالآيات، والاستهزاءَ بها[٣].

و«أن» هي المخففةُ من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، أي: أنَّ الأمر والشأن إذا سمعتم الكفر والاستهزاء فلا تقعدوا[٤]، فنائب الفاعل في قراءة الجماعة، وقراءة النخعي، هو المصدر المؤول من «أنْ» والفعل.

أمَّا قراءة عاصم ﴿نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل، وفاعله ضمير راجع إلى اسم الله -تعالى- في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾[٥][٦]، و«أنْ» مع ما بعدها في محل نصب مفعولًا به[٧].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: «وَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ... وَجْهٌ يَبْعُدُ مَعْنَاهُ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِيَ أَخْتَارُ الْقِرَاءَةَ بِهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: «وَقَدْ نُزِّلَ» بِضَمِّ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الزَّايِ، عَلَى وَجْهِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ فِيهِ: التَّقْدِيمُ عَلَى مَا وَصَفْت قَبْلُ»[٨].

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي موافقةً لقراءة الجماعة بالبناء للمفعول «أُنْزِل»، و«نُزِّلَ»، غير أنَّ إحداها بالهمز، وهي قراءة النخعي، والثانية بالتضعيف، وهي قراءة الجماعة.

---

(١) انظر البحر: ١٠٢/٤، والدر: ١٢١/٤.
(٢) التبيان: ٢٩٨/١.
(٣) الدر: ١٢١/٤.
(٤) الدر: ١٢١/٤، والتبيان في إعراب القرآن: ٢٩٨/١.
(٥) سورة النساء من الآية (١٣٩).
(٦) انظر فتح القدير، للشوكاني: ٦٠٧/١، والدر: ١٢١/٤.
(٧) انظر السابق.
(٨) جامع البيان، للطبري: ٢٢٢/٩.

٢- قراءة النخعي خالفت قراءة عاصم في البناء للمفعول، حيث جاءت قراءة عاصم ﴿نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل.

٣- قراءة النخعي شاذَّة رغم موافقتها قراءة الجماعة في التوجيه اللغوي، لم ترد عن واحدٍ من السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم.

٤- حدث تأثير صوتي بين الراءات الثلاثة؛ بسبب البناء للفاعل، أو البناء للمفعول، وكذا بسبب الهمز، أو التضعيف، ومع ذلك لم يحدث تأثير مقطعي، وبيان المقاطع كالتالي:

نُزِّلَ	نز	ز	ل	نَزَّلَ	نز	ز	ل	أُنزِلَ	أنـ	ز	ل
	ص ح ص	ص ح	ص ح		ص ح ص	ص ح	ص ح		ص ح ص	ص ح	ص ح

٢-القراءة بفعل ماض مبني للمفعول مقابل فعل ماض مبني للفاعل

«عُبِدَ» مقابل «عَبَدَ» في ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ من قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ (١).

فقد جاء في لفظ «عَبَدَ» قراءات متعددة بلغت نحو أربع وعشرين قراءة(٢)، اثنين في السبع المتواترة وهما(٣):

١ - ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ بالبناء للفاعل، قرأ هذه الجمهور إلا حمزة.

٢ - «وَعَبُدَ الطاغوت» بفتح العين وضمِّ الباء وحفض «الطَّاغوتِ»، وهي قراءة حمزة.

---

(١) سورة المائدة من الآية (٦٠)، وانظر الدر المصون، للسَّمين الحلبي:٣٢٧/٤ وما بعدها.

(٢) انظر: السبعة، لابن مجاهد: صـ٢٤٦.

(٣) انظر: مختصر شواذ القراء، لابن خالويه: صـ٤٠، وتفسير ابن عطيَّة: ٢١٣/٢، وزاد المسير: ٥٦٤/١، والبحر: ٣٠٧/٤، والدر: ٣٣١/٤.

وأمَّا قراءة النخعي فهي «وعُبِدَ الطَّاغوتُ»، ونُسِبت هذه القراءة لأبي جعفر بن القعقاع، والأعمش في رواية هارون(١)، كما نسبت لأبي جعفر الرقاشي(٢)، وأبي عمران الجوني، ومُوَرِّق العجلي(٣)، وذلك ببناء الفعل «عُبِدَ» للمفعول.

التوجيه:

١- القراءة الأولى للجمهور ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ واضحة ببناء الفعل «عَبَدَ» وهو فعلٌ ماضٍ للفاعل، وفيه ضمير يعود على ﴿مَن﴾ ونصب ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ على المفعوليَّة(٤).

قال الزجَّاج في معناها: «الطاغُوتُ هو الشيطان، وتأويل ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: أطاعه فيما سَوَّلَ لَه، وأغراهُ به»(٥).

وقال القرطبي -معناها-: «وَجَعَلَ مِنْهُمْ مَنْ يُبَالِغُ فِي عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ»(٦).

٢- قراءة حمزة «وعَبُدَ الطَّاغوتِ» بضم الباء وفتح الدال وخفض «الطَّاغوتِ»، وتوجه على أن «عبُدَ» واحد يراد به الكثرة، وليس بجمعٍ؛ لأنَّه ليس من أبنيته(٧).

قال ابن جني: «وأمَّا «وعَبُد الطاغوتِ» فاسم على «فَعُل». قال أبو الحسن: جاء به نحو: حَذُر وفَطُن»(٨).

---

(١) انظر: تفسير ابن عطيَّة: ٢/٢١٣، والبحر: ٤/٣٠٧، والدر: ٤/٣٣١.
(٢) فتح القدير، للشوكاني: ٢/٦٣.
(٣) انظر زاد المسير: ١/٥٦٤.
(٤) انظر الدر المصون: ٤/٣٢٧.
(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٢/١٨٨.
(٦) الجامع لأحكام القرن: ٣/٢٣٢٨، ط. دار الغد.
(٧) انظر الدر: ٤/٣٢٧.
(٨) المحتسب: ١/٢١٥.

وقد جاء على «فَعُل»؛ لأنَّه بناءٌ يُراد به الكثرةُ والمبالغةُ في نحو: «يَقُظ ونَدُس»، كأنَّه قد ذهب في عبادة الطاغوت كلَّ مذهب(١).

وقال الزمخشري: «معناه: الغلوّ في العبوديَّة، كقولهم: «رجل حَذُرَ، وفَطُن»، للبليغ في الحَذَر، والفطنة»(٢).

توجيه قراءة النخعي ومَنْ سار على نهجه: «وعُبِدَ الطَّاغوتُ» توجَّه على أنَّه بنى الفعل «عُبِدَ» للمفعول، و«الطَّاغوتُ» نائب فاعل.

قال ابن جني: «وقرأ بعضهم: «وعُبِد الطاغوتُ»، كقولك: «ضُرِب زيدٌ» لم يسمَّ فاعله»(٣).

وإلى هذا ذهب كثيرٌ من العلماء، وعلى رأسهم الهذلي، والعكبري، حيث قالا في توجيههما: وقرئ «وعُبِدَ الطَّاغوتُ» بضمِّ العين وكسر الباء وفتح الدال، ورفع التاء على ما لم يسمَّ فاعله(٤).

كما ذهب إلى هذا التوجيه الزمخشري، حيث قال: «وعُبِدَ الطَّاغوتُ، على البناء للمفعول، وحذف الراجع، بمعنى: وعُبِدَ الطَّاغوتُ فيهم، أو بينهم»(٥).

وكذا ذهب هذا المذهب الرازي(٦)، والقرطبي(٧)، وأبو حيَّان(٨)، والسَّمين الحلبي(٩)، والألوسي(١٠).

---

(١) الدر المصون، للسَّمين الحلبي: ٣٢٨/٤.
(٢) الكشاف، للزمخشري: ٦٢٥/١.
(٣) المحتسب، لابن جني: ٢١٥/١.
(٤) انظر الكامل للهذلي: صـ٥٣٥، والتبيان للعكبري: ٤٤٩/١.
(٥) الكشاف: ٦٢٦/١.
(٦) التفسير الكبير، للفخر الرازي: ٣٩/١.
(٧) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٣٢٩/٣، طبعة دار الغد العربي.
(٨) البحر المحيط: ٣٠٧/٤.
(٩) الدر المصون: ٣٣١/٤.
(١٠) روح المعاني: ٣٤٣/٣.

وقد ضعَّف الطبري القراءة، حيث قال: «حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حدَّثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحْوِيُّ يَقْرَؤُهَا: «وَعُبِدَ الطَّاغُوتُ» كَمَا يَقُولُ: «ضُرِبَ عَبْدُ اللَّهِ»، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذِهِ قِرَاءَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى ذِكْرُه- إِنَّمَا ابْتَدَأَ الْخَبَرَ بِذَمِّ أَقْوَامٍ، فَكَانَ فِيمَا ذَمَّهُمْ بِهِ عِبَادَتُهُمُ الطَّاغُوتَ. وَأَمَّا الْخَبَرُ عَنْ أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ عُبِدَ، فَلَيْسَ مِنْ نَوْعِ الْخَبَرِ الَّذِي ابْتَدَأَ بِهِ الْآيَةَ، وَلَا مِنْ جِنْسِ مَا خَتَمَهَا بِهِ، فَيَكُونُ لَهُ وَجْهٌ يُوَجَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الصِّحَّةِ»(١).

وردَّ أبو حيَّان على الطبري في ذلك، وأكَّد صحَّة القراءة، ووجَّهها بتقديره لرابط محذوف يعود على الموصول «مَنْ» كما قال الزمخشري، فقال: «وَالْمَبْنِيُّ لِلْمَفْعُولِ ضَعَّفَهُ الطَّبَرِيُّ، وَهُوَ يَتَّجِهُ عَلَى حَذْفِ الرَّابِطِ أَيْ: «وَعُبِدَ الطَّاغُوتُ فِيهِمْ أَوْ بَيْنَهُمْ». وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ «وَعَبَدَ» لَيْسَ دَاخِلًا فِي الصِّلَةِ، لَكِنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ مَنْ»(٢).

ملاحظات:

١- ذكر للكلمة هدَّة قراءة منها قراءة الجمهور بالبناء للفاعل ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ على أنَّه فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على اسم الموصول ﴿مَن﴾ ونصب ﴿ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ على أنَّه مفعول به.

والقراءة الثانية قراءة حمزة «عَبُدَ» على وزن «فَعُل» بفتح العين وضمِّ الباء وفتح الدال وخفض «الطَّاغوتِ»، و«عَبُدَ» اسم على «فَعُلَ» مثل «حَذُرَ، وفَطُنَ» وهو بناءٌ أريد به الكثرة، والمبالغة، والغلو في العبوديَّة و«الطَّاغوتِ» مضاف إليه.

---

(١) تفسير الطبري= جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد: ٥٤٣/٨، تحقيق: د/ عبد الله عبد المحسن، نشر مركز البحوث الدراسات الإسلاميَّة، دار هجر، طبعة أولى سنة ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م. ٢٤١/١٠ تحقيق: شاكر.

(٢) البحر المحيط: ٢٠٧/٤.

وأمَّا قراءة النخعي «عُبِدَ» على وزن «فُعِلَ» ببناء الفعل للمفعول، وجعل «الطَّاغوتُ» نائبًا عن الفاعل فجاء مرفوعًا، وفي الجملة رابطٌ محذوفٌ يعود على اسم الموصول المتقدِّم «مَنْ».

٢- جاءت قراءة النخعي ضمن القراءات الشاذَّة، فلم ترد على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، وقد ذكرت في كتب الشواذ كالمحتسب، ومختصر شواذ القرآن.

٣- للقراءة وجهٌ صحيحٌ من العربيَّة، وإن كانت شاذَّةً، كما أنَّها تتفق مع قراءة الجمهور، وقراءة حمزة في عدد المقاطع، والاختلاف بينها وبين قراءة الجمهور في البناء للمفعول، والبناء للفاعل، وبينها وبين قراءة حمزة في الفعليَّة والاسميَّة «عُبِدَ» «عَبُدَ».

٣-البناء للمفعول في مقابل البناء للفاعل

وذلك في ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾[(١)].

فقد قرأ الجمهور ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ بفتح العين والصاد[(٢)]، وقرأ ابن وثاب، والنخعي بضمِّ العين والصاد «عُمُوا وصُمُّوا»[(٣)].

التوجيه:

أولًا: قراءة الجمهور:

جاءت قراءة الجمهور ببناء الفعليْن للفاعل، وذلك بفتح العين والصاد ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾، والأصل: عَمِيُوا وصَمِمُوا كشَرِبُوا، فأُعِلَّ الأولُ بالحذفِ -بأن

(١) سورة المائدة من الآية (٧١).

(٢) انظر الكشاف: ٦٣٥/١، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٢١/٢، والبحر: ٣٢٨/٤، والدر المصون: ٣٧٣/٤.

(٣) انظر المحتسب، لابن جني: ٢١٧/١، ومختصر شواذ القرآن: صـ٤٠، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٢١/٢، والدر المصون: ٣٧٣/٤.

حذف الياء ونقل حركتها وهي الضمَّة إلى الميم قبلها لواو الجمع فصارت «عَمُوا»-، وأُعلَّ الثاني بالإدغام فصارت «صَمِمُوا» إلى «صَمُّوا»(١).

ثانيًا: قراءة النخعي ويحيى «عُمُوا وصُمُّوا» بضم العين والصاد، هنا جاءت القراءة بالبناء للمفعول.

قال أبو الفتح: «يجب أن يكون هذا على تقدير «فُعِلَ»، كقولهم: زُكِمَ وأزكمه الله، وحُمَّ وأَحَمَّه الله، فكذلك هذا أيضًا، جاء على عُمِي وصُمَّ، وأعماه الله وأصمه الله، ولا يقال: عَمَيتُه ولا صَممْته، كما لا يقال: زكَمه الله ولا حَمَّه»(٢).

وإلى هذا ذهب العكبري، حيث قال: «وَيُقْرَأُ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالصَّادِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ زُكِمَ وَأَزْكَمَهُ اللَّهُ، وَلَا يُقَالُ: عَمِيتُهُ وَصَمَمْتُهُ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِغَيْرِ هَمْزَةٍ فِيمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَاللُّغَةُ الْفَاشِيَةُ أَعْمَى وَأَصَمَّ»(٣).

وإلى هذا ذهب ابن عطيَّة(٤)، وأبو حيَّان، حيث قال الأخير: «وَهِيَ أَفْعَالٌ مَبْنِيَّةٌ لِلْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ وَهِيَ مُتَعَدِّيَةٌ ثُلَاثِيَّةٌ، فَإِذَا بُنِيَتْ لِلْفَاعِلِ صَارَتْ قَاصِرَةً، فَإِذَا أَرَدْتَ بِنَاءَهَا لِلْفَاعِلِ مُتَعَدِّيَةً، أَدْخَلْتَ هَمْزَةَ التَّثْقِيلِ وَهِيَ نَوْعٌ غَرِيبٌ فِي الْأَفْعَالِ»(٥).

إذًا فالأفعال تتعدَّى وهي ثلاثيَّة مبنيَّة للمفعول، فإذا أردنا بناءها للفاعل متعدية، فلا بُدَّ من أن تأتي همزة التعدية كما هو واضح من السابق، فلا يقال: «عَمَيْتُه ولا صَمَمْتُه»، ويقال: «أعماهم وأصمَّهم» بالهمزة.

وخالف الزمخشري حيث جعلها ثلاثيَّة متعدية مبنيَّة للفاعل، فقال: «وقرئ: عُموا وصُموا، بالضم على تقدير: «عماهم اللَّه وصمهم»، أي: رماهم

(١) الدر المصون: ٣٧٢/٤.
(٢) المحتسب: ٢١٧/١.
(٣) التبيان في إعراب القرآن: ٤٥٣/١.
(٤) تفسير ابن عطيَّة: ٢٢١/٢.
(٥) البحر المحيط: ٣٥٨/٤، والدر المصون: ٣٧٢/٤، ٣٧٣.

وضربهم بالعمى والصمم، كما يقال: تركته إذا ضربته بالنيزك، وركبته إذا ضربته بركبتك»[1].

فهنا جاءت الأفعال ثلاثيَّة متعدية للفاعل، وهو مخالف لما عليه العلماء، وأعتقد أنَّ ما ذهب إليه ابن جني وغيره هو الأولى بالقبول لا ما ذهب إليه الزمخشري.

والمعنى في الآية الكريمة على القراءتين: أنَّ الكفرة والعصاة من بني إسرائيل ظنوا أن لا يكون ابتلاء وأخذ في الدنيا، وتمحيص فلجوا في شهواتهم، وعموا فيها إذ لم يبصروا الحق[2].

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي ويحيى «عُمُوا وصُموا» ضمن القراءات الشاذَّة، فقد نصَّ على ذلك ابن جني، وابن خالويه، كما ذكرها العكبري؛ وذلك لمخالفتها ما عليه جمهور القراء.

٢- لقراءة النخعي وجه صحيح من وجوه العربيَّة، والمعنى بها واضح، ولا يختلف عن المعنى عند جمهور القراء، إلا أنَّه بنى الفعليْن للمفعول.

٣- لا يوجد لقراءة النخعي أثر في تغيير المقاطع الصوتية للكلمة عن قراءة الجمهور، وإن وجد أثرٌ صوتيٌّ يتمثل في قلب الفتحة ضمَّة؛ نظرًا لبناء الفعلين للمجهول.

(١) الكشاف، للزمخشري: ٦٣٤/١، وانظر الدر المصون: ٣٧٣/٤.

(٢) راجع كتب التفسير وعلى سبيل المثال: تفسير ابن عطية: ٢٢٠/٢.

المطلب الرابع

الفعل المضارع بين البناء للفاعل والمفعول وأثر ذلك على الفاعل أو نائبه

١-القراءة بفعل مضارع مقابل آخر: مبنيان للمعلوم

أ-««فَيَرَى» مقابل ﴿فَتَرَى﴾ وذلك في قول الله -تعالى-: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾[(١)].

قرأ الجمهور ﴿فَتَرَى﴾ بالتاء، وقرأ إبراهيم النخعي، ويحيى «فَيَرَى» بالياء[(٢)].

المعنى والتوجيه:

نزلت الآية في المنافقين، وعبد الله بن أُبَي بن سلول، ومَنْ تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينقاع، ويدخل في الآية مَنْ كان من مؤمني الخزرج يتابعه جهالةً وعصبيَّة، فهذا الصنف له حظُّه من مرض القلب. ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ معناه: في نصرتهم، وتأنيسهم، وتجميل ذكرهم[(٣)].

وقراءة الجمهور خطابٌ من الله -عزَّ وجلَّ- لنبيِّه محمد -صلى الله عليه وسلم- والفاعل ضمير يعود إلى المخاطب -صلى الله عليه وسلم- وهذا ظاهر لا خفاء فيه، والمفعول ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

وأمَّا قراءة إبراهيم النخعي، وابن وثاب «فَيَرَى» بالياء من تحت، فالفاعل محذوف، وفي تقدير ما يأتي:

١-ذكر ابن جني أنَّ فاعل «يرى» مضمر دلَّت عليه الحال، حيث قال: «فاعل «يَرَى» مضمر دلَّت عليه الحال، أي: فيرى رائيهم ومتأمِّلُهم،

---

(١) سورة المائدة من الآية (٥٢).

(٢) انظر المحتسب: ٢١٣/١، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٠٤/٢، ومختصر شواذ القرآن، لابن خالويه: صـ٣٩، والبحر: ٢٩٢/٤، والدر: ٢٠٠/٤.

(٣) راجع المعنى في تفسير ابن عطيَّة: ٢٠٤/٢.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب كقراءة الجماعة، وقد كثر إضمار الفاعل؛ لدلالة الكلام عليه، كقولهم: «إذا كان غدًا فائتني» أي: إذا كان ما نحن فيه من البلاء في غدٍ فائتني، وهو كثيرٌ، ودلَّت عليه – أيضًا– القراءة العامة، أي: فترى أنت يا محمد، أو يا حاضر الحال الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون في ولاء المشركين ونصرهم»(١).

٢– الفاعل هو «الله»، أي: فيرى الله(٢) أو الرائي، فالفاعل ضمير يعود على الله، وقيل: على الرائي من حيث هو(٣).

٣– الفاعل هو الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمفعول هو جملة ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ على تأويل حذف «أن» المصدريَّة، والمعنى: أن يسارعوا، فحذف «أن» إيجازًا(٤).

يلاحظ:

١– قراءة النخعي لها وجه صحيح من العربيَّة، وإن كانت شاذَّة فلم تروى عن السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، وقد أشار العكبري إليها بقوله: «وقرئ في الشاذ بالياء، والفاعل الله»(٥)، كما ذكرها ابن جني في «المحتسب»، وابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن».

٢– لم تتأثر مقاطع الكلمة فقراءة النخعي تتفق مع قراءة الجمهور في عدد المقاطع.

---

(١) المحتسب: ٢١٣/١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٤٤٤/١.

(٣) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٢٠٤/٢، والبحر: ٢٩٢/٤، والدر: ٢٠/٤.

(٤) انظر السابق.

(٥) التبيان في إعراب القرآن: ٤٤٤/١.

﴿تَنَالُهُۥ﴾ و«يَنَالُهُ»

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ (١).

فقد قرأ الجمهور ﴿تَنَالُهُۥ﴾ بالتاء المنقوطة من فوق، وقرأ النخعي، وابن وثاب «ينالُه» بالياء المنقوطة من أسفل(٢).

التوجيه:

يخاطب الحق –تبارك وتعالى– بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: يا مَنْ صدقتم الله ورسوله ﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ليختبرنكم الله ﴿بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ يعني: ببعض الصيد، ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ أي: يمنحنكم في حال إحرامكم بعمرتكم وحجكم، وما تناله الأيدي صغار الصيد، وما تناله الرماح كبار الصيد(٣).

وقراءة الجمهور ﴿تَنَالُهُۥ﴾ بالتاء المنقوطة من فوق لتأنيث الجمع، وهو مؤنَّث مجازيٌّ، وقراءة النخعي وابن وثاب «ينالُه» بالياء المنقوطة أسفل؛ لأنَّ تأنيثه غير حقيقي(٤).

ويجوز تأنيث الفعل وتذكيره مع المؤنث المجازي، والمؤنث المجازي نحو قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩﴾(٥)، ومنه اسم الجنس، واسم الجمع

(١) سورة المائدة من الآية (٩٤).
(٢) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٢/٢٣٦، والبحر المحيط: ٤/٣٦٢، والدر المصون: ٤/٤١٦.
(٣) انظر تفسير الطبري= جامع البيان: ١٠/٥٨٢، ٥٨٣، والمحرر الوجيز، لابن عطيَّة: ٢/٢٣٦.
(٤) انظر البحر: ٢/٣٦٢، والدر: ٤/٤١٦.
(٥) سورة القيامة: الآية (٩).

والجمع؛ لأنَّهن في معنى الجماعة، والجماعة مؤنث مجازي؛ فلذلك جاز التأنيث، نحو: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ (١)، و﴿* قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾(٢)، و«أورقت الشجر»، والتذكير نحو: «أورق الشجر»، ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾(٣)، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾(٤)، و«قام الرجال»... إلا أنَّ سلامة نظم الواحد في جمعي التصحيح أوجبت التذكير(٥).

وذكر النحاة أنَّ الوجهين جيدان، وقد جاء بهما القرآن، ويلاحظ أنَّ قراءة النخعي لها وجه من العربيَّة، إن خالفت ما عليه جمهور الرَّاء، فهي شاذَّة، والأثر الصوتي الحادث الياء بدلًا عن التاء.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾- «سيستدرجهم»

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾(٦).

قرأ الجمهور ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ بالنون، وقرأ النخعي «سيستدرجهم» بالياء، وكذا قرأ ابن وثاب(٧).

(١) سورة الشعراء من الآية (١٠٥).
(٢) سورة الحجرات من الآية (١٤).
(٣) سورة الأنعام من الآية (٦٦).
(٤) سورة يوسف من الآية (٣٠).
(٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام: ١١٦/٢.
(٦) سورة الأعراف الآية (١٨٢).
(٧) انظر المحرر الوجيز= تفسير ابن عطية: ٤٨٣/٢، والبحر: ٢٣٤/٥، لم يذكر السَّمين في الدر: ٥٢٤/٥ إلا النخعي، وذكر ابن خالويه أنَّها بالياء لبعضهم. مختصر شواذ القرآن: صـ٥٣.

التوجيه:

أولا: معنى الاستدراج:

قال الخليل -عن معنى الاستدراج-: «سنطوي أعمارهم في اغترار»[(١)]، والاستدراج: التقريبُ منزلةً منزلةً والأخذ قليلًا قليلًا من الدَّرَج؛ لأن الصاعد يرقى درجةً درجةً وكذلك النازل[(٢)].

ومعنى الآية: سنسوقهم شيئًا بعد شيءٍ، ودرجةً بعد درجةٍ بالنعم عليهم، والإمهال لهم حتى يظنوا أنَّهم لا ينالهم عقاب، أي: من حيث لا يعلمون أنه استدراج[(٣)].

قال أبو جعفر -في المعنى-: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَدِلَّتِنَا وَأَعْلَامِنَا، فَجَحَدُوهَا، وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا بِهَا، سَنُمْهِلُهُ بِغِرَّتِهِ، وَنُزَيِّنُ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ، حَتَّى يَحْسِبَ أَنَّهُ هُوَ فِيمَا عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِهِ بِآيَاتِ اللَّهِ إِلَى نَفْسِهِ مُحْسِنٌ، وَحَتَّى يَبْلُغَ الْغَايَةَ الَّتِي كُتِبَ لَهُ مِنَ الْمَهَلِ، ثُمَّ يَأْخُذَهُ بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، فَيُجَازِيَهُ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ. وَذَلِكَ اسْتِدْرَاجُ اللَّهِ إِيَّاهُ»[(٤)].

ثانيًا: التوجيه:

قراءة الجمهور: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ بنون العظمة، والفاعل هو الله -ﷻ-

وقراءة النخعي «سيستدرجهم» بالياء، فيحتمل أمرين في الفاعل:

- **الأوَّل:** أن يكون الفاعلُ هو اللهَ تعالى، والتفت من التكلم إلى الغيبة.
- **الثاني:** أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ ضَمِيرَ التَّكْذِيبِ الْمَفْهُومِ مِنْ قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا﴾ أَيْ: سَيَسْتَدْرِجُهُمْ هُوَ، أَيِ: التَّكْذِيبُ[(٥)].

---

(١) لم أقف على ذلك «درج» من كتاب العين: ٧٧/٦، ٧٨، والمعنى في البحر: ٢٣٣/٥.
(٢) الدر المصون: ٥٢٤/٥.
(٣) تفسير ابن عطيَّة: ٤٨٣/٢.
(٤) تفسير الطبري= جامع البيان: ٢٨٦/١٣، ٢٨٧.
(٥) انظر البحر: ٢٣٤/٥، والدر : ٥٢٤/٥.

ويلاحظ أنَّ قراءة النخعي وافقت وجهًا صحيحًا من العربيَّة، إلا أنَّها شاذَّة، فلم ترد ضمن السبعة، أو العشرة المتواترة، وذكرها ابن خالويه في مختصر شواذه، وليس لها تأثير على مقاطع الكلمة، والأثر الصوتي الياء بدلًا من النون.

د- «نُضِلُّ» مقابل ﴿يُضَلُّ﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾[1].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿يُضَلُّ﴾ بضمِّ الياء وفتح الضاد[2]، وقرأ النخعي ومحبوب عن الحسن «نُضِلُّ» بالنون المضمومة وكسر الضاد[3].

المعنى والتوجيه:

﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾: مصدر من أنسأ، كالنذير من أنذر، والنكير من أنكر[4]، وقال الجوهري: «النسيء فعيلٌ بمعنى مفعول من نسأت الشيء، فهو منسوء، إذا أخَّرته»[5]، والنَّسِيءُ تَأْخِيرُ حُرْمَةِ الشَّهْرِ إِلَى شَهْرٍ آخَرَ. وَأَخْبَرَ أَنَّ النَّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ أَيْ: جَاءَتْ مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَحْدَثَ مَعْصِيَةً ازْدَادَ كُفْرًا، كَمَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَحْدَثَ طَاعَةً ازْدَادَ إِيمَانًا[6].

---

(١) سورة التوبة الآية (٣٧).

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٩١/٢، وانظر كذلك البحر المحيط: ٤١٧/٥، والدر: ٤٧/٦.

(٣) انظر البحر: ٤١٧/٥، والدر: ٤٧/٦، ووردت بلا نسبة في فتح القدير: ٤١١/٢.

(٤) انظر لسان العرب «نسأ».

(٥) الصحاح «نسأ»: ٧٧/١.

(٦) انظر البحر: ٤١٦/٥، ٤١٧.

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قرأ حفص ومن معه ﴿يُضَلُّ﴾ مبنيًّا للمفعول من «أضلّ»، وهو مناسب لقوله: ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ﴾ في اللفظ (١).

وأمَّا قراءة النخعي «نُضِلُّ» مبنيًّا للفاعل أي: بالنون المضمومة وكسر الضاد أي: «نُضِلُّ» نحن(٢).

ونلاحظ أنَّ قراءة النخعي قد وافقت وجهًا صحيحًا من العربيَّة، وأنَّها شاذَّة حيث لم تأتِ موافقة لما عليه السبعة، أو العشرة المتواترة، ولا يوجد تغيير في مقاطع الكلمة، وإن حدث تغيير صوتي؛ نتيجة بناء الفعل للفاعل، ونطقه بنون العظمة بدلًا من الياء.

هـ-«ويُقَلِّبُ... وَيَذَرُهُمْ» مقابل ﴿ وَنُقَلِّبُ ...وَنَذَرُهُمۡ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ (٣).

قراءة الجمهور ﴿وَنُقَلِّبُ ...وَنَذَرُهُمۡ﴾ بالنون فيهما، وقرأ النخعي: «ويُقَلِّبُ... ويَذَرُهُم» بالياء فيهما، كما قرأ أيضًا: «وَتُقَلَّبُ أَفْئِدَتُهُم وأبصَارُهُم.... وَيَذَرْهُم»، وبها قرأ الأعمش والهمذاني(٤).

التوجيه:

المعنى العام للآية: قيل: نُقَلِّبُ أَفْئِدَتهم وَأَبْصَارَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَعَنِ الْآيَاتِ، كَمَا لَمْ يُؤْمِنْ أَوَائِلُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ بِمَا رَأَوْا مِنَ الْآيَاتِ. وَقِيلَ: نُحِيطُ عِلْمًا بِذَاتِ الصُّدُور، وَخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ مِنْهُمْ، وَمَعْنَى تَقْلِيبِ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ:

(١) تفسير ابن عطيَّة: ٢٣/٣، وزاد المسير: ٢٥٨/٢، والدر: ٤٧/٦.
(٢) انظر البحر: ٤١٧/٥، والدر: ٤٧/٦.
(٣) سورة الأنعام الآية (١١٠).
(٤) انظر المحرر الوجيز: ٣٣٤/٤، والبحر: ٦١٨/٤، ٦١٩، والدر المصون: ١١٢/٥، ونسبت القراءة «ويُقَلِّبُ... ويَذَرُهُم» للكسائي في مختصر ابن خالويه: صـ٤٦، ونسبت قراءة «وَتُقَلَّبُ» للأعمش في المختصر أيضًا، كما نسبت له في الكشاف: ٤٤/٢.،

مَا يَنْشَأُ لهما مِنَ دَوَاعِي الْحَيْرَةِ وَالضَّلَالِ[١]، وقيل: نقلّب أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى لَهَبِ النَّارِ وَحَرِّ الْجَمْرِ، كَما لَمْ يُؤْمِنُوا فِي الدُّنْيَا، ثمَّ استأنف: وَنَذَرُهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[٢].

وقراءة الجمهور ﴿وَنُقَلِّبُ...وَنَذَرُهُمْ﴾ على أنَّ الفاعل هو الله -تعالى- والنون للعظمة، أمَّا قراءة النخعي «ويُقَلِّبُ... ويَذَرُهُم» بالياء والفاعل ضمير الباري تعالى[٣].

وقال ابن عطيَّة: «بالياء فيهما كناية عن الله تبارك وتعالى»[٤].

وقراءته «وَتُقَلَّبُ أَفْئِدَتُهُم وأبصَارُهُم» فتكون على البناء للمفعول، ورفع ما بعده على قيامه مقام الفاعل[٥].

أما قراءته «وَيَذَرْهُم» بالياء وجزم الراء، ففيه توجيهان:

- **الأول:** إنَّه سكن لثقل توالي الحركات.
- **الثاني:** إنَّه مجزومٌ عطفًا على ﴿لَمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾[٦].

ويلاحظ أنَّ النخعي نُسِب إليه النطق بالياء مع البناء للفاعل في «ويُقَلِّبُ... ويَذَرُهُم»، كما نُسِب إليه «وَتُقَلَّبُ» بالبناء للمفعول، ورفع ما بعده؛ لأنَّه نائب فاعل.

كما نُسِب إليه أيضًا «وَيَذَرْهُم» بالياء وسكون الراء إمَّا تخفيفًا، وإمَّا عطفًا على المجزوم قبله ﴿لَمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾.

(١) انظر البحر المحيط: ٦١٨/٤.
(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس: ٢٧/٢، وفتح القدير: ١٧٤/٢.
(٣) انظر البحر: ٦١٨/٤، والدر: ١١٢/٥.
(٤) المحرر الوجيز: ٣٣٤/٢.
(٥) الكشاف، للزمخشري: ٤٤/٢، ٤٥، والدر: ١١٢/٥.
(٦) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٥٣١/١، وانظر الدر: ١١٢/٥.

وتُعَدُّ قراءته شاذَّةً، حيث لم ترد ضمن المتواتر من القراءات، فذكر ابن خالويه «ويُقَلِّبُ، ونقلِّب» ونسب الأولى إلى الكسائي، والثانية للأعمش، وذكر العكبري «وَيَذَرْهُم» بالياء وسكون الراء دون نسبة.

و_«تَرْتَع ويَلْعَب» مقابل ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾[1].

ذكر العلماء لهذه أربع عشرة قراءة، وقراءة جمهور القرَّاء وعلى رأسهم عاصم، وحمزة، والكسائي، ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء والجزم، وبها قرأ يعقوب، وخلف، والحسن، والأعمش[2].

وقرأ الابنان، وأبو عمرو «نَرْتَعْ ونَلْعَبْ» بالنون والجزم[3].

وقرأ النخعي «نَرْتَعْ ويَلْعَبْ» بنون في الأولى وياء في الثانية[4].

كل هذه القراءات والفعلان فيها مبنيان للفاعل.

المعنى:

معنى الرتوع: الإقامة في الخصب والمرعى في أكلٍ، وشربٍ[5]، وأصله: أن تأكل وتشرب ما تشاء، وهذا حقيقة في البهائم ويُستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير[6].

---

(١) سورة يوسف الآية (١٢).

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر: ١٤١/٢، وانظر كذلك تفسير ابن عطية: ٢٢٤/٣، وذكر في البحر: ٢٤٥/٦، وروح المعاني: ٣٨٥/٦ أنَّها قراءة الجمهور.

(٣) المصدران السابقان ونفس الصفحات.

(٤) انظر البحر: ٢٤٥/٦، وروح المعاني: ٣٨٥/٦، والدر المصون: ٤٥٠/٦، ونسبت القراءة في الكامل للهذلي: صـ٥٧٥ للزعفراني.

(٥) انظر المعنى في جامع البيان: ٥٧٠/١٥، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٢٣/٢.

(٦) روح المعاني: ٣٨٥/٦.

﴿وَيَلْعَبْ﴾: يدخل هذا في اللعب المباح كاللعب بالخيل، والرمي، ونحوه، وليس المراد باللعب الذي هو ضد الحق، وقرين اللهو، وقيل لأبي عمرو بن العلاء: كيف يقولون: نلعب وهم أنبياء؟ قال: لم يكونوا حينئذ أنبياء(١).

التوجيه:

قراءة الجمهور: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء والجزم مع البناء للفاعل واضحة وفيها إسناد ذلك ليوسف –عليه السلام– وهذا يلائم حاله من صغر السن بالنسبة لإخوته(٢).

قال أبو جعفر: «وَأَوْلَى الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ فِي الْحَرْفَيْنِ كِلَيْهِمَا بِالْيَاءِ، وَبِجَزْمِ الْعَيْنِ فِي» ﴿يَرْتَعْ﴾؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا سَأَلُوا إِيَّاهُمْ إِرْسَالَ يُوسُفَ مَعَهُمْ، وَخَدَعُوهُ بِالْخَبَرِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ عَمَّا لِيُوسُفَ فِي إِرْسَالِهِ مَعَهُمْ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَالنَّشَاطِ بِخُرُوجِهِ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَفُسْحَتِهَا وَلِعْبِهِ هُنَالِكَ، لَا بِالْخَبَرِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ»(٣).

وأمَّا قراءة الابنين، وأبي عمرو «نَرْتَعْ ونَلْعَبْ» بالنون والجزم والبناء للفاعل فتعنى إسناد ذلك إليهم جميعًا بما فيهم يوسف عليه السلام.

وقراءة النخعي «نَرْتَعْ ويَلْعَبْ» بنون في «نَرْتَعْ» وياء في «يَلْعَبْ» فيها إسناد اللعب إلى يوسف –عليه السلام– وحده لصباه(٤)، واللعب مناسبٌ للصغار(٥).

ملاحظات:

١– قراءة النخعي جمعت بين قراءتين متواترتين، حيث أخذت «نَرْتَعْ» من قراءة الابنين، وأبي عمرو، و«يَلْعَبْ» من قراءة عاصم ومَنْ معه.

---

(١) جامع البيان: ٥٧٠/١٥، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٢٣/٢.
(٢) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٢٢٣/٢، وروح المعاني: ٣٨٥/٦.
(٣) جامع البيان: ٥٧٠/١٥.
(٤) انظر البحر: ٢٤٥/٦.
(٥) الدر المصون: ٤٥٠/٦.

٢- القراءة أيَّدها كثيرٌ من العلماء، وقال فيها الهذلي: «وهو الاختيار، حيث فرق بين اللعب من يوسف -عليه السلام- والرتع لإخوته»(١).

٣- ليس للقراءة أثرٌ صوتي سوى إبدال النون والياء، وكذا لم يكن لها أثر على تغيير مقاطع الكلمة كمًّا، أو كيفًا.

ز- «نُدَبِّرُ... نُفَصِّلُ» مقابل ﴿يُدَبِّرُ... يُفَصِّلُ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾(٢).

قرأ الجمهور ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ﴾ بالياء فيهما(٣)، وقرأ النخعي، وأبو رزين، وأبان بن تغلب عن قتادة «نُدَبِّرُ الأَمْرَ نفصِّل» بالنون فيهما(٤).

المعنى والتوجيه:

ذكر الحق -سبحانه- في الآية قبل هذه في بداية سورة الرعد مخاطبًا نبيَّه محمد -ﷺ- ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾(٥) يعني: القرآن وغيره من الوحي ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾(٦) يعني: أهل مكة وغيرهم، عرَّف الدليل الذي يُوجب التّصديق بالخالق فقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ الآية،

(١) الكامل في القراءات الأربعين والعشر الزائدة عليها، للهذلي: صـ٥٧٥.

(٢) سورة الرعد الآية رقم (٢).

(٣) انظر إتحاف فضلاء البشر، للبنا: ١٥٩/٢، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٩٢/٣، والدر المصون: ١١/٧ وغيرها.

(٤) انظر زاد المسير: ٤٨٠/٢، والبحر: ٣٤٥/٦، والدر: ١١/٧، وروح المعاني، للألوسي: ٨٧/٧، ونسبت القراءة للحسن في «نُدَبِّرُ» انظر مختصر ابن خالويه: صـ٧٠، وتفسير ابن عطيَّة: ٢٩٢/٣، والإتحاف: ١٩٥/٢.

(٥) من الآية الأولى من سورة الرعد.

(٦) من الآية الأولى من سورة الرعد.

أي: رفعها بلا دعامة تمسكها، ثمَّ قال: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أي: تشاهدونها، أي: ما تشاهدون من هذا الأمر العظيم، يغنيكم عن إقامة الدلائل عليه. ثمَّ قال: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: ذلَّلهما لما يُراد منهما ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: إلى وقتٍ معلومٍ، وهو فناء الدنيا. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: يصرِّفه بحكمته. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: يبيّن الآيات التي تدل أنه قادر على البعث لكي توقنوا بذلك(١).

وقراءة العامَّة بالياء في ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ بالياء من تحت جريًا على ضمير اسم الله تعالى(٢)، وَهُمَا مُسْتَأْنَفَانِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَسَخَّرَ﴾، وَالثَّانِي حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿يُدَبِّرُ﴾(٣).

وأمَّا قراءة النخعي ومَنْ معه «نُدَبِّرُ الأَمْرَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ» بالنون فيهما، والمعنى ظاهرٌ(٤)، أي بنون العظمة(٥)، ولا يختلف المعنى، ولا الإعراب من قراءة العامَّة.

ملاحظات:

١- قراءة النخعي ومَنْ سار على نهجه قراءة شاذَّة لم ترد على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم.

٢- لم يختلف المعنى في قراءة النخعي عن قراءة الجمهور.

٣- لا يوجد أثر صوتي سوى إبدال حرف المضارعة من ياء الضمير إلى نون العظمة، ولا يوجد تغيير في المقاطع كمًّا، ولا كيفًا.

---

(١) انظر زاد المسير: ٢/٤٧٩، ٤٨٠، وجامع البيان، للطبري: ١٦/٣٢٥ وغيرهما.

(٢) الدر: ٧/١١.

(٣) انظر التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٢/٧٥٠، والبحر: ٦/٣٤٥، ٣٤٦، والدر: ٧/١١.

(٤) التبيان: ٢/٧٥٠.

(٥) تفسير ابن عطيَّة: ٣/٢٩٢.

ح- «سَيُدْخِلُهُمْ» مقابل ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾، «ويُدْخِلُهُم» مقابل «ونُدْخِلُهُم»، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾[1].

قرأ الجمهور ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾، «ونُدْخِلُهُم»، وقرأ النخعي، وابن وثاب[2]، ونسبت القراءة لعبد الله[3] أيضًا «سَيُدْخِلُهُمْ»، «ويُدْخِلُهُم».

التوجيه:

بيَّن الله -تعالى- في الآية السابقة لهذه الآية حال مَنْ كفر بآيات الله، يعني: بالقرآن الكريم، وقيل: بسائر معجزات الرسول الكريم -ﷺ- أو سائر الشواهد التي أتى بها الأنبياء، بأنَّه سوف يصليهم نارًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾[4]، وقد بيَّن الحق سوء حالهم، ثمَّ بعدها بيَّن حسن حال المؤمنين؛ تكميلًا للمساءة والمسرة[5].

وقراءة الجمهور ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾، «ونُدْخِلُهُم» بالنون والضمير لاسم الجلالة تعظيمًا له سبحانه، والقراءة بالنون مناسبة فيها ملاحظة لقوله تعالى في وعيد الكفار ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾[6].

---

(١) سورة النساء الآية (٥٧).

(٢) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٦٩/٢، والبحر: ٦٨١/٣، وفي الدر المصون: ٨/٤ نسبت القراءة للنخعي فقط، وفي مختصر شواذ القرآن نسبت القراءة لابن وثاب فقط: صـ٣٣.

(٣) انظر روح المعاني، للألوسي: ٥٨/٣.

(٤) سورة النساء: الآية (٥٦).

(٥) انظر المعنى في روح المعاني، للألوسي: ٥٨/٣، ٥٩.

(٦) انظر البحر: ٦٨١/٣، والدر المصون: ٨/٤.

وأمَّا قراءة النخعي «سَيُدْخِلُهُمْ»، «ويُدْخِلُهُم» بالياء والضمير للاسم الجليل أيضًا فيهما، «ويُدْخِلُهُم» معطوفة على «سَيُدْخِلُهُمْ»، وقد أجرى ذلك على الغيبة ملاحظة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾[1].

ويلاحظ أنَّ قراءة النخعي لها وجهٌ صحيحٌ من العربيَّة، وإن كانت شاذَّةً من ناحية عدم ورودها على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم، وذكرها ابن خالويه في مختصر شواذه، وأنها لم يتغير بها المعنى، كما أنَّها لم تؤثر في مقاطع الكلمة، وإن حدث إبدال بين نون المتكلِّم وياء الغائب ترتَّب عليه أثر صوتي.

٢- البناء للمفعول مقابل البناء للفاعل في ﴿يَصْعَدُ﴾

وذلك من قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2].

قرأ الجمهور ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ﴾ وقرأ النخعي «يُصْعَدُ»، وكذا قرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، والسلمي، والجحدري، والشيرزي عن الكسائي[3].

التوجيه:

أولًا: قراءة الجمهور ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ تكون على بناء الفعل ﴿يَصْعَدُ﴾ للفاعل، و﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ ﴿ٱلْكَلِمُ﴾: فاعل مرفوع، و﴿ٱلطَّيِّبُ﴾: صفة للكَلِم مرفوعة[4].

---

(١) انظر السابق ونفس الصفحات.

(٢) سورة فاطر من الآية (١٠).

(٣) انظر زاد المسير، لابن الجوزي: ٥٠٧/٣، والبحر: ١٨/٩، حيث نسبت القراءة لإبراهيم، والسلمي، وعلي، وابن مسعود، وجاءت القراءة غير واضحة الضبط في نختصر شواذ القرآن، لابن خالويه: صـ١٢٤، وفتح القدير: ٣٩١/٤، حيث نسب لعلي، وابن مسعود «يُصْعَدُ» عن «أَصْعَد».

(٤) راجع الدر المصون: ١١٧/٩.

والكلم الطيِّب: هو التوحيد والذكر، وقيل: الكلم الطيِّب لا إله إلا الله[١]، والعمل الصالح: أداء الفرائض، واجتناب المحارم، وقيل: هو كل ذكرٍ من تسبيح، وتكبيرٍ، وتهليلٍ، وقراءة القرآن، ودعاءٍ، واستغفار، وغير ذلك[٢].

ثانيًا: قراءة النخعي «يُصْعَدُ» فالفعل مبني للمفعول، و«الكَلامُ الطيِّب»[٣]، أو «الكَلِمُ الطيِّب» نائب فاعل.

وضبط «يُصْعَدُ» في بعض المراجع منسوب لعلي، وابن مسعود، فتكون على تسمية الفاعل، ويكون من «أصعد» رباعيًّا، و«الكلمَ الطيِّبَ» بالنصب على المفعوليَّة[٤].

ملاحظات:

١- جاءت قراءة النخعي «يُصْعَدُ» ضمن القراءات الشاذَّة، حيث ذكر في مختصر شواذ القرآن، كما جاءت مخالفة لما عليه جمهور القرَّاء.

٢- للقراءة وجهٌ صحيحٌ من وجوه العربيَّة، فلا خلاف في اتحاد المعنى مع قراءة الجمهور، إلا أنَّه بنى الفعل للمجهول.

٣- لا يوجد للقراءة أثر في تغيير المقاطع الصوتيَّة عن قراءة الجمهور، وإن وجد أثر صوتي يتمثَّل في قلب الفتحة ضمَّة للبناء للمجهول.

٣-مضارع مبني للفاعل مقابل آخر مبني للمفعول

أ- «يُوحِي» بكسر الحاء مقابل ﴿يُوحَىٰٓ﴾ بفتحها، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾[٥].

---

(١) زاد المسير: ٥٠٧/٣.

(٢) الكشاف، للزمخشري: ٣٠٢/٣.

(٣) جاء في البحر: ١٨/٩ «الكلام الطيِّب» بالجمع للكلام.

(٤) راجع فتح القدير: ٣٩١/٤، والدر المصون: ١١٧/٩.

(٥) سورة فصلت الآية (٦).

قرأ الجمهور ﴿يُوحَىٰٓ﴾ بفتح الحاء مبنيًّا للمفعول، وقرأ النخعي، والأعمش «يُوحِي» بكسر الحاء مبنيًّا للفاعل(١).

المعنى والتوجيه:

في الآية الكريمة خطابٌ لمحمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– بأن يقول للمعرضين عن آيات الله والإيمان بها من قومه: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا امتياز لي عليكم، فلا أقدر على حملكم على الإيمان ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ يعني: أوحي إليَّ التوحيد، والأمر به ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: بالطاعة والرغبة في العبادة يتب عليكم ويغفر لكم، ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ يعني: إن أبيتم إلا الكفر والشرك هلكتم(٢).

وقراءة الجمهور بالبناء للمفعول ﴿يُوحَىٰٓ﴾ بفتح الحاء، وأمَّا قراءة النخعي، وابن وثاب، والأعمش بالبناء للفاعل «يُوحِي» أي: يوحي الله إليَّ(٣).

ملاحظات:

١– أنَّ المعنى واضحٌ في قراءة النخعي، ولا يختلف عن المعنى في قراءة الجمهور سوى البناء للفاعل.

٢– قراءة النخعي شاذَّةٌ، فليست موافقة لقراءة الجمهور، وقد ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن.

٣– لم يترتَّب على القراءة أثر في تغيير مقاطع الكلمة، والأثر الصوتي الحاصل هو إبدال فتحة الحاء كسرةً للبناء للفاعل.

---

(١) ذكر قراءة النخعي والأعمش ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن: صـ١٣٤، والبحر المحيط: ٢٨٦/٩، وفتح القدير، للشوكاني: ٥٨٠/٤، والدر: ٥٠٧/٩، وروح المعاني: ٣٥١/١٢، ونسبت القراءة للمطوعي في إتحاف فضلاء البشر: ٤٤١/٢.

(٢) راجع كتب التفاسير؛ للوقوف على المعنى –إن شئت– على سبيل المثال: فتح القدير: ٥٨٠/٤، وجامع البيان، للطبري: ٤٣٠/٢١.

(٣) انظر الدر المصون: ٥٠٧/٩، وروح المعاني: ٣٥١/١٢.

ب- «يُقْتَلُونَ ويَقْتُلُونَ» مقابل ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾

بتقديم الفعل المبني للمفعول على المبني للفاعل عند اجتماعهما مقابل العكس، وذلك في قوله تعالى: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[1].

فقد قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، بينما قرأ حمزة، والكسائي[2]، والنخعي، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش بعكس ذلك[3]، وكذا خلف[4].

معنى الآية وسبب نزولها:

الآية الكريمة نزلت في بيعة العقبة الكبرى، وذلك حين بايعت الأنصار – رضي الله عنهم– رسول الله –ﷺ– وكانوا رجالًا أنافوا على السبعين، وكان أصغرهم سنًّا عقبة بن عمرو، اجتمعوا مع رسول الله –ﷺ– عند العقبة، وقالوا: «اشْتَرِطْ لِرَبِّكَ وَنَفْسِكَ مَا شِئْتَ» والمتكلم بذلك عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فقال: رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: «أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ»، قَالُوا: فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فَمَالَنَا؟ قَالَ:

---

(١) سورة التوبة من الآية (١١١).

(٢) انظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٣١٩، وحجة القراءات، لابن أبي زرعة: صـ٣٢٥، والحجَّة للقراء السبعة، لأبي علي: ٢٣٢/٤، والإتحاف: ٩٩/٢، وجامع البيان، للطبري: ٤٩٨/٤، وتفسير ابن عطيَّة: ٨٧/٣، وزاد المسير: ٢٠٢/٢.

(٣) تفسير ابن عطيَّة: ٨٧/٣، وفتح القدير: ٤٦٤/٢، والبحر: ٥٠٩/٥، وذكر القرطبي في تفسيره: ٣١٩٤/١٤ النخعي، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وخلف.

(٤) الإتحاف: ٩٩/٢، وفتح القدير: ٤٦٤/٢، تفسير القرطبي: ٣١٩٤/١٤.

«الْجَنَّةُ» قَالُوا: رِبِحَ الْبَيْعُ لَا نَقِيلُ وَلَا نَسْتَقِيلُ فَنَزَلَتْ: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ...﴾ الآية[1].

ثمَّ إنَّ الآية بعد ذلك عامَّة في كل مَنْ جاهد في سبيل الله من أمَّة محمد –ﷺ– إلى يوم القيامة، وقال بعض العلماء: ما من مسلم إلا ولله في عنقه هذه البيعة وفَّى بها أو لم يف[2].

وهذه القصة وهب الله عباده أنفسهم وأموالهم، ثمَّ أمرهم ببذلها في سبيله، ووعدهم على ذلك ما هو خير منها[3].

قال كثير من أهل العلم: ثامن الله –تعالى– في هذه الآية عباده فأغلى لهمن فقد ابتاع الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة وعدًا عليه حقًّا أن يوفّي لهم به[4].

التوجيه:

ما قرأ به ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر من تقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ قال أبو علي في توجيه ذلك: «لأنَّهم يُقاتلون أولًا في سبيل الله ويُقْتَلُون، ولا يَقْتُلُوا إذا قُتِلُوا»[5].

وذكر ابن أبي زرعة: أن قراءة «يَقْتُلُونَ» بالفاعلين قبل المفعولين، وحجَّتهم فِي ذَلِك: أَن الله وَصفهم بِأَنَّهُم قَاتلُوا أَحيَاءً، ثمَّ قُتِلُوا بعد أَن قَاتلُوا، وَإِذا

(١) انظر جامع البيان، للطبري: ٤٩٩/١٤، وزاد المسير، لابن الجوزي: ٢٠٢/٢ وغيرهما.
(٢) انظر السابق ونفس الصفحات.
(٣) انظر زاد المسير: ٢٠٢/٢.
(٤) جامع البيان: ٤٩٩/١٤.
(٥) الحجة للقراء السبعة: ٢٣٢/٤.

أخبر عَنْهُم وَبَدَأَ بِأَنَّهُم قد قتلوا فمحال أَن يَقْتُلُوا بعد هلاكهم، هَذَا مَا يُوجِبهُ ظَاهر الْكَلَام(١).

وذكر ابن خالويه: أنَّ تقديم الميني للفاعل على المبني للمفعول، أو على ما لم يسمَّ فاعله، يقرأ بذلك على الترتيب(٢).

يعني: أنَّ المبني للفاعل مقدَّم على المبني للمفعول، وقيل: لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ الْكُفَّارَ، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنْهُمْ إِلَى أَنْ يَصِيرُوا مَقْتُولِينَ(٣).

أمَّا قراءة النخعي، وكذا حمزة، والكسائي، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش، قال أبو علي: «ومَنْ قدَّم الفعل المسند إلى المفعول على المسند إلى الفاعل، جاز أن يكون في المعنى مثل الذي تقدَّم؛ لأنَّ المعطوف بالواو يجوز أن يُرَاد به التقديم، فإن لم يقدّر فيه التقديم، فالمعنى: يَقْتُل مَنْ بقي منهم بعد قَتْلِ مَنْ قُتِل، كما أنَّ قوله سبحانه: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٤) وما وهن مَنْ بقي منهم لقتل مَنْ قُتِل من الرِّبِّيِّين(٥).

وذكر الرازي ما يقارب هذا المعنى إن كان التقديم غير مقدَّر، فقال: «أَنَّ طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ صَارُوا مَقْتُولِينَ لَمْ يَصِرْ ذَلِكَ رَادِعًا لِلْبَاقِينَ عَنِ الْمُقَاتَلَةِ، بَلْ يَبْقُونَ مُقَاتِلِينَ مَعَ الْأَعْدَاءِ، قَاتِلِينَ لَهُمْ»(٦).

فيرى أبو علي أنَّ المعطوف والمعطوف عليه بالواو كالشيء الواحد يجوز معها تقديم أيهما على الآخر، وإن كان التقديم غير مقدَّر، فالمعنى يقتل من

(١) حجَّة القراءات: صـ٣٢٥.
(٢) الحجة في القراءات السبع: صـ١٠٤.
(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ١٨٣/١٥.
(٤) سورة آل عمران من الآية (١٤٦).
(٥) الحجة للقراء السبع: ٢٣٢/٤.
(٦) مفاتيح الغيب: ١٨٣/١٥.

بقي منهم بعد القتل لمن قُتِل منهم أيضًا، ومثَّل بالآية الكريمة، وذلك ابن خالويه أنَّ المبني للمفعول يُقْرأ به مقدمًا للسعة(١).

ووجهٌ آخر ذكره ابن أبي زرعة، قال: قَالَ أَحْمد بن يحيي في هَذَا –يعني: في تقديم المبني للمفعول– مدح لأَنَّهم يَقْتُلُون بعد أَن يُقْتَل مِنْهُم(٢). أي: أنَّ القتل حدث لهم أولًا لم يكن منهم اعتداءٌ على عدوِّهم، بل الأعداء هم مَن بدأوا.

وذكر ابن عطيَّة أنَّ المعنى واحدٌ، إذ الغرض أنَّ المؤمنين يُقاتلون فيوجد فيهم مَنْ يَقْتُل، وفيهم مَنْ يُقْتَل، وفيهم مَنْ يجتمعان له، وفيهم مَنْ لا تقع له واحدةٌ منهما، وليس الغرض أن يجتمع، ولا بُدَّ لكل واحدٍ واحد(٣).

ملاحظات:

١– أنَّ المعنى واحدٌ في القراءتين عند أكثر العلماء، وإن لم يتَّحد عند آخرين، فلا يؤدي ذلك إلى تناقض، أو تضاد.

٢– أنَّ قراءة النخعي وافقت قراءة حمزة، والكسائي، وقراءتهما متواترة.

٣–لم نلاحظ أثرًا على المقاطع الصوتيَّة في كلتا القراءتين، لا كمًّا، ولا كيفًا.

(١) الحجة في القراءات: صـ١٠٤.

(٢) حجة القراءات: صـ٣٢٥.

(٣) تفسير ابن عطية: ٨٧/٣، والبحر: ٥٠٩/٥، وانظر الدر المصون: ٥٤٢/٣، ٥٤٣، حيث تعرض للآية رقم (١٩٥) آل عمران.

المطلب الخامس

الجملة بين الاستئناف والاتصال والعطف

١- الجملة بين الاستئناف والاتصال

وذلك في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾[(١)]، أو الانقطاع «نَزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابُ».

قرأ الجمهور ﴿ نَزَّلَ ﴾ بالتشديد، ونصب ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، وقرأ النخعي «نَزَلَ» بتخفيف الزاي، ورفع الباء في «الكِتَابُ»، وكذا قرأ الأعمش، وابن أبي عبلة[(٢)].

التوجيه:

قراءة الجمهور ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ جملة تتصل بما قبلها في الآية السابقة، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ ﴾، حيث يقدر ضميرٌ في ﴿ نَزَّلَ ﴾ يعود على لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾، وتكون جملة ابتداء، فـ﴿ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأ، و﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ جملة في محل رفع خبر بعد خبر، فلك أن تخبر عن المبتدأ بأكثر من خبر متى تضمَّن كلُّ خبرٍ من هذه الأخبار فائدة.

قال ابن جني: «مَن شدَّد الزاي ونصب ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيكون اسم ﴿ٱللَّهُ﴾ مرفوعًا بالابتداء، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر عنه، ويكون ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ صفة له، وثناء عليه، وإن شئت جعلت قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثناء عليه معترضًا بين المبتدأ والخبر، ويكون ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ خبرين عنه، كحلو حامض.

وإن شئت أن تخبر عن المبتدأ بعشرة أخبار أو بأكثر من ذلك جاز وحسن؛ لما يتضمَّنه كل خبر منها من الفائدة... ومن شدَّد الزاي ونصب ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، جاز أن يكون على قوله خبرًا رابعًا، وجاز أن يكون أيضًا جميع ما قبل ﴿نَزَّلَ﴾ ثناءً وإعظامًا، ويفرد قوله: «نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ» فيجعل خبرًا

---

(١) سورة آل عمران من الآية (٣).

(٢) نسبها ابن عطيَّة للنخعي في تفسيره: ٣٩٧/١، ونسبها ابن جني في المحتسب: ١٦٠/١ له وللأعمش، ونسبت للثلاثة في البحر: ١٤/٣، والدر المصون: ١٥/٣.

عنه؛ كقولك: الله سبحانه، وجل ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه، يأمر بالعدل، وينهى عن السوء. وفيه أكثر من هذا، إلا أنَّ في هذا مقنعًا بحمد الله»(١).

وأمَّا قراءة النخعي: «نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ» فتقتضي أن تكون جملة قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ جملة مستقلَّة.

قال أبو الفتح: هذه القراءة تدلُّ على استقلال الجملة التي هي قوله عزَّ اسمه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾(٢).

واحتمل بعض العلماء اتصال جملة «نَزَلَ» بالتخفيف بما قبلها، والضمير محذوف وتقديره: «من عنده» أي: «نَزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابُ مِنْ عِنْده»(٣).

وقراءة النخعي شاذَّة، حيث لم ترد عن السبعة، أو عن العشرة المتواترة.

٢-عطف جملة اسميَّة على جملة فعليَّة مقابل عطف فعليَّة على فعليَّة

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾(٤).

قرأ الجمهور: ﴿ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ بجزم الكاف، وقرأ النخعي، وطلحة(٥): «ثُمَّ يُدْرِكُهُ» برفع الكاف.

---

(١) **المحتسب، لابن جني:** ١/١٦٠، ١٦١.

(٢) **السابق:** ١/١٦٠، **وتفسير ابن عطية:** ١/٣٩٧.

(٣) انظر: التبيان، للعكبري: ١/٢٣٦، والبحر المحيط: ٣/١٤، والدر المصون: ٣/١٥.

(٤) سورة النساء من الآية (١٠٠).

(٥) ذكر ابن جني أنَّ القارئ هو طلحة بن سليمان، وذلك في المحتسب: ١/١٩٧، وكذا ذكر ابن عطيَّة في تفسيره: ١/١٠٢، بينما ذكر أبو حيَّان في البحر: ٤/٤٤ طلحة بن مصرف، وكذا تبعه السَّمين الحلبي في الدر المصون: ٤/٨٢، وجاءت القراءة بلا نسبة في التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ١/٣٨٥، والكشاف، للزمخشري: ١/٥٥٨، وروح المعاني، للألوسي: ٣/١٢٣، وطلحة بن سليمان السمان مقرئ متصدر، أخذ القراءة عن فيَّاض بن عزوان عن طلحة بن المصرف، وله شواذ تروى في طبقات القراء: ١/٣٤١.

التوجيه:

- **أولًا: قراءة الجمهور:**

في قراءة الجمهور ﴿ثُمَّ يُدۡرِكُهُ﴾ بجزم الكاف عطف لهذه الجملة على الجملة قبلها في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ﴾ وجواب شرط «مَن» قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾، وهنا عطف جملة فعليَّة على جملة فعليَّة أخرى.

- **ثانيًا: قراءة النخعي، وطلحة:**

في قراءة النخعي وطلحة توجيهان في رفع الكاف من «يُدْرِكُهُ» وهما: إمَّا أن تكون جملة «ثُمَّ يُدْرِكُهُ» استئنافيَّة، أي: «ثُمَّ هُوَ يُدْرِكُهُ» على تقدير مبتدأ محذوف، وإمَّا أن يكون ضم الكاف منقول من الهاء، وإليك التفصيل:

- **التوجيه الأوَّل:**

وهو أنَّ «ثُمَّ يُدْرِكُهُ» برفع الكاف جملة استئنافيَّة، أي: «ثُمَّ هُوَ يُدْرِكُهُ» على تقدير مبتدأ محذوف، و«يُدْرِكُهُ المَوْتُ» خبر عنها، وعطفت جملة المبتدأ والخبر على جملة الفعل والفاعل، وهي جملة: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ﴾.

ذكر هذا التوجيه كثيرٌ من العلماء، وعلى رأسهم ابن جني، حيث قال: «ظاهر هذا الأمر أن «يُدْرِكُهُ» رفع على أنَّه خبر ابتداء محذوف، أي: «ثُمَّ هُوَ يُدْرِكُهُ المَوْتُ»، فعطف الجملة التي من المبتدأ والخبر على الفعل المجزوم بفاعله، فهما –إذن– جملة، فكأنَّه عطف جملةً على جملةٍ. وجاز العطف هاهنا أيضًا؛ لما بين الشرط والابتداء من المشابهات، فمنها أنَّ حرف الشرط يجزم الفعل، ثمَّ يعتور الفعل المجزوم مع الحرف الجازم على جزم الجواب،

كما أنَّ الابتداء يرفع الاسم المبتدأ، ثمَّ يعتور الابتداء والمبتدأ جميعًا على رفع الخبر؛ ولذلك قال يونس في قول الأعشى[١]:

إِنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبُ الخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ[٢]

إنَّما أراد: أو أنتم تنزلون، أفلا تراه كيف عطف المبتدأ والخبر على فعل الشرط الذي هو «تركبوا»؟ وعليه قول الآخر:

إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأْتِنِي بَقِيَّتُكُمْ فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ مِنْكُم فوت[٣]

فكأنَّه قال: إن تذنبوا ثمَّ أنتم تأتيني بقيتكم، هذا أوجه من أن يحمله على أنَّه جعل سكون الياء في «تأْتيني» علَم على الجزم، على إجراء المعتل مجرى الصحيح نحو قوله:

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأَنْبَاءُ تنمِي[٤]

فهذا جواب كما تراه»[٥].

فهنا مثَّل أو استشهد بما يشبه ما في القراءة، حيث قدَّر في كل مبتدأ محذوف، والجملة بعده خبر، وهي معطوفة على جملة فعليَّة قبلها، وفصَّل أن يخرج البيت التالي: «ثمَّ تأتيني بقيتكم» على إضمار مبتدأ «أنتم تأتيني» بدلً من أن يخرج على أن سكون الياء علامة للجزم إجراءً للمعتل مجرى الصحيح.

---

(١) حمل يونس بن حبيب قول الأعشى هذا على تقدير مبتدأ محذوف، ذكره سيبويه في كتابه: ٥١/٣، حيث قال: وأمَّا يونس فقال: أرفعه على الابتداء كأنَّه قال: أو أنتم نازلون، واختار الخليل فيه عطف التوهم؛ لأنَّ معناه: أتركبون فذاك عادتنا.

(٢) من البسيط، للأعشى في ديوانه: صـ٦٣، والكتاب لسيبويه: ٥١/٣، والمقتضب، للمبرد: ٢٢٠/٢، وتفسير ابن عطيَّة: ١٠٢/٢، والبحر: ٤٤/٤، والدر المصون: ٨٢/٤، وروح المعاني، للألوسي: ١٢٣/٣.

(٣) من البسيط، نسبه ابن عطيَّة لرويشد بن كثير الطائي، ولسان العرب «بقي»، والبحر: ٤٤/٤، والدر المصون: ٨٢/٤.

(٤) صدر بيت من الوافر، وعجزه: «بما لاقت لبونُ بني زياد» في الكتاب: ٣١٦/٣، والنوادر، لأبي زيد: صـ٢٠٣، وتفسير ابن عطيَّة: ١٠٢/٢.

(٥) المحتسب، لابن جني: ١٩٤/١، ١٩٥.

- **التوجيه الثاني:**

وهو أنَّه أراد الجزم، هو عطف جملةٍ فعليَّة على جملةٍ فعليَّة، ولا يوجد تقدير، إلا أنَّه نقل الحركة فيه من الهاء إلى الكاف.

قال ابن جني: «وإن شئت ذهبت فيه مذهبًا آخر غيره، إلا أنَّ فيه غموضًا وصنعة؛ وهو أن يكون أراد: «ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ» جزمًا، غير أنه نوى الوقف على الكلمة فنقل الحركة من الهاء إلى الكاف؛ فصار «يُدْرِكُهُ»، على قوله:

من عنَزِيٍّ سبَّني لَمْ أضربُه(١)

أراد: لم أضربْه، ثم نقل الضمة إلى الباء لما ذكرناه»(٢).

ويلاحظ على قراءة النخعي الآتي:

١- أنَّها موافقة لوجهٍ من وجوه العربيَّة، وإن كانت القراءة شاذَّة مخالفة لما عليه جمهور القراء.

٢- إنَّ لقراءة النخعي أثرًا في التغيير المقطعي للكلمة، حيث أنه زاد حركة أدَّت إلى زيادة مقطع، فقراءة الجمهور تتكوَّن من ثلاثة مقاطع:

يد| رك| هـ ص ح ص+ ص ح ص+ ص ح

وقراءة النخعي تتكوَّن من أربعة مقاطع:

يد|ر|ك|هـ ص ح ص+ ص ح+ ص ح+ ص ح.

٣-الاختلاف في المعطوف عليه

العطف على الضمير المجرور به في لفظ «الأَرْحَامِ» بجر الميم مقابل العطف على لفظ الجلالة «الأَرْحَامَ» بالنصب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾(٣).

---

(١) عجز بيت صدره «عَجِبْتُ وَالدَّهْرُ كَثِيرٌ عجبُهُ»، وهو في الكتاب لسيبويه: ٤/٨٠، والكشاف، للزمخشري: ١/٥٥٨، لزياد الأعجم.

(٢) المحتسب لابن جني: ١/١٩٧، ١٩٨، وانظر: تفسير ابن عطية: ١/١٠٢، والكشاف: ١/٥٥٨، والبحر: ٤/٤٤، والدر المصون: ٤/٨٢.

(٣) سورة النساء من الآية رقم (١).

فقد قرأ جمهور السبعة بنصب الميم «الأَرْحَامَ»، وقرأ حمزة بجرِّها[١]، وهي قراءة النخعي، وقتادة، والأعمش[٢].

التوجيه:

- **أولًا:** قراءة جمهور القراء بنصب «الأَرْحَامَ».

نصب جمهور القراء «الأَرْحَامَ»، والمعنى واضحٌ جليٌّ، وفيه توجيهان:

١- أنَّه معطوف على لفظ الجلالة، أي: اتقوا اللهَ واتقوا الأرحامَ فلا تقطعوها، أو اتقوا الأرحامَ أن تقطعوها[٣]، وهذا قول كثيرٍ من المفسِّرين، واللغويِّين كالفراء، والزجاج، ووجه القراءة عند البصريِّين[٤].

٢- أنَّه عطف على محل الجار والمجرور، أو عطف على موضع به، كما تقول: «مررت بزيدٍ وعمرًا»، أي: اتقوا اللهَ الذي تساءلون به وتتساءلون بالأرحامِ، وهو اختيار أبي علي الفارسي[٥].

- **ثانيًا:** قراءة النخعي، وقتادة، والأعمش، وحمزة بجر «الأرحامِ»، وذلك بالعطف على الضمير المجرور «بِهِ والأَرْحَامِ».

---

(١) انظر: السبعة، لابن مجاهد: صـ٢٢٦، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، والحجَّة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: ١٢١/٣، والحجة في القراءات السبعة، لابن خالويه: ١١٩/١، وإتحاف فضلاء البشر: ٥٠١/١، ٥٠٢، وانظر كذلك: تفسير ابن عطية: ٤/٢، وفتح القدير: ٤٨٠/١، والبحر: ٤٩٧/٣ وغيرها.

(٢) نسبت القراءة في البحر: ٤٩٧/٣، وفتح القدير: ٤٨٠/١، ونسبت للأعمش، وإبراهيم النخعي في معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٥٢/١، وإبراهيم، وقتادة، وحمزة في إعراب القرآن للنحَّاس: ١٩٨/١، وللثلاثة في القرطبي: ١٦٦٨/٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للفرَّاء: ٢٥٢/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجَّاج: ٦/٢، وإعراب القرآن للنحَّاس: ١٩٨/١، والحجَّ' في القراءات السبع، لابن خالويه: ١١٩/١، والحجَّة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: ١٢٢/٣، والبحر: ٤٩٧/٣، وغيرها.

(٤) انظر: الحجَّة للقراء السبعة: ١٢١/٣.

(٥) انظر السابق: ١٢١/٣، والكشاف، للزمخشري: ٤٩٣/١، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٦٥٣/٨.

اختلف العلماء حول هذه القراءة بين رافضٍ لها، ومؤيِّد موجه، فالبصريُّون يرفضون هذه القراءة، ويصفها بعضهم بالقبح، وبعضهم بالخطأ، ومخالفة القياس، وأمَّا الكوفيُّون فيجيزون القراءة بها، وإن كانت قراءة النصب عندهم أولى، وتفصيل ذلك كالتالي:

- **الرافضون للقراءة:**

طعن جماعةٌ على قراءة الجر، وعلى رأسهم الزجَّاج، حيث رفض القراءة من جانبيْن: من العربيَّة، وأمر الدِّين، ووصف ذلك بالخطأ، حيث قال: «القراءَة الجيِّدةُ نصب «الأرحامَ». المعنى: «واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها»، فأما الجر في «الأرحامِ» فخطأٌ في العربيَّة لا يجوز إلا في اضطرار الشعر، وخطأٌ أيضًا في أمْر الدِّين عظيم؛ لأنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»[1]، رأيت أبا إسحاق إسماعيل بن إسحاق يذهب إلى أنَّ الحَلِفَ بغير اللَّه أمرٌ عظيمٌ، وأنَّ ذلك خاصٌّ باللَّهِ -عزَّ وجلَّ- على ما أتت به الرواية.

فأمَّا العربيَّة فإجماع النحويِّين أنَّه يَقْبحُ أنْ يُنْسق باسمٍ ظاهرٍ على اسمٍ مضمرٍ في حال الجر، إلا بإظهار الجار، يَسْتَقْبح النحويُّون: «مررتُ به وزيدٍ، وبك وزيدٍ»، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبزيد، فقال بعضهم: لأنَّ المخفوض حرف مُتَصِل غيرُ منفصلٍ، فكأنَّه كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف باسمٍ يقُومُ بنفسه على اسمٍ لا يقوم بنفسه. وكذا رفضها المازني، حيث نقل الزجَّاج تفسيره، وقال: هذا تفسيرًا مُقْنِعًا، حيث قال: الثاني في العطف شريك للأوَّل، فإن كان الأوَّل يصلح شريكًا للثاني، وإلا لم يصلح أن يكون

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، حديث رقم(٢١٠١)، وحسَّنه الحافظ في فتح الباري: ٣٥٣/١١، والحديث في مسند أحمد برقم (٤٦٦٧)، ونصه: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، لِيَحْلِفْ حَالِفٌ بِاللَّهِ أَوْ لِيَسْكُتْ»: ٢٩٣/٨، وفي صحيح البخاري، باب «لا تحلفوا بآبائكم» رقم (٦٦٤٦): ١٣٢/٨.

الثاني شريكًا له. قال: فكما لا تقول: «مررت بزيد»، فكذلك لا يجوز مررت بك وزيدٍ»(١).

وقال الفرَّاء: «حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْن عبد الله عن الأعمش عن إِبْرَاهِيم أَنَّه خفض «الأرحامِ»، قال: هُوَ كقولهم: بالله والرحم، وفيه قبحٌ؛ لأنَّ العرب لا ترد مخفوضًا على مخفوضٍ وقد كنى عَنْهُ»(٢).

وقال أبو علي الفارسي: «وأمَّا مَنْ جرَّ «الأرحامِ» فإنَّه عطفه على الضمير المجرور بالباء.

وهذا ضعيفٌ في القياس، وقليلٌ في الاستعمال، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن... إلخ»(٣). ثمَّ ذكر العلل التي ذكرها الزجَّاج، والفرَّاء، وتبعهم كذلك الزمخشري، وابن عطيَّة.

قال الزمخشري: «والجرّ على عطف الظاهر على المضمر، وليس بسديدٍ؛ لأنَّ الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيءٍ واحدٍ، فكانا في قولك «مررت به وزيد»، و«هذا غلامه وزيد» شديدي الاتصال، فلمَّا اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة، فلم يجز ووجب تكرير العامل، كقولك: «مررت به وبزيد»، و«هذا غلامه وغلام زيد» ألا ترى إلى صحة قولك: «رأيتك وزيدًا»، و«مررت بزيدٍ وعمرو» لما لم يقوَ الاتصال؛ لأنَّه لم يتكرر»(٤).

وقال ابن عطيَّة: «ويَرُدُّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان:

- **أحدهما:** أنَّ ذكر الأرحام فيما يتساءل به لا معنى له في الحضِّ على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأنَّ الأرحام يتساءل بها،

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٥/٢، ٦، وانظر تفسير القرطبي: ١٦٦٩/٣.
(٢) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٥٢/١.
(٣) الحجَّة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: ٢٢/٣.
(٤) الكشاف، للزمخشري: ٤٩٣/١.

وهذا تفرق في معنى الكلام، وغضٌّ من فصاحته، وإنَّما الفصاحة في أن يكون لذكر الأرحام فائدةٌ مستقلَّةٌ.

- **والوجه الثاني:** أنَّ في ذكرها على ذلك تقريرًا للتساؤل بها، والقَسَم بحُرمتها، والحديث الصحيح يَرُدُّ ذلك في قوله -عليه السلام-: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(١)]...»[(٢)].

وَحَكَى أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ أَنَّ الْمُبَرِّدَ قَالَ: «لَوْ صَلَّيْتُ خَلْفَ إِمَامٍ يَقْرَأُ... «وَالْأَرْحامِ» بِالْجَرِّ، لَأَخَذْتُ نَعْلَيَّ وَمَضَيْتُ»[(٣)].

وإذا كان البصريُّون قد رفضوا العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة حرف الجر، وهو مذهب سيبويه، والمبرِّد، فقد أجازوا ذلك في الشعر.

قال سيبويه: «وقد يجوز في الشعر... وقال الآخر:

فاليومَ قرّبتَ تَهْجُونا وتشتمِنا فاذهبْ فما بك والأيامِ من عجبِ[(٤)][(٥)]

وحين تعرَّض الزجَّاج، والفرَّاء لقراءة الجر السابقة «والأرحامِ» أقرَّا بأنَّ ذلك جائزٌ في الشعر، **قال الفراء:** «وإنما يجوز هذا فِي الشعر لضيقه»[(٦)]، واستشهد بقول الآخر:

---

(١) صحيح البخاري، «باب كيف يستحلف»: ٣/١٨٠، حديث رقم (٢٦٧٩).

(٢) تفسير ابن عطيَّة: ٢/٥.

(٣) فتح القدير، للشوكاني: ١/٤٨٠، وانظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): ٣/١٦٦٩.

(٤) من البسيط في الكتاب لسيبويه: ٢/٣٨٣، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ١/١٩٨، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٢/٧، وتفسير القرطبي: ٣/١٦٦٩، والدرر اللوامع: ١/٩، ٢/١٩٢، وشرح المفصَّل، لابن يعيش: ٣/٧٨، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٨/٦٥٣، والكشاف: ١/٤٩٣، وتفسير ابن عطيَّة: ٢/٤، وفتح القدير، للشوكاني: ١/٤٨٠، والبحر المحيط: ٣/٤٩٩، وغيرها، وهو بلا نسبة.

(٥) الكتاب: ٢/٣٨٢، ٣٨٣.

(٦) معاني القرآن، للفراء: ١/٢٥٣.

نعلق فِي مثل السواري سُيُوفنا وما بينها والكَعْبِ غوط نفانف[1]

وعدَّ الزمخشري مَن استشهد على صحَّة القراءة بمثل هذا متمحلًا، حيث قال: «وقد تَمَحَّل لصحة هذه القراءة بأنَّها على تقدير تكرير الجار ونظيرها: فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ»[2].

- **المجيزون للقراءة:**

قال أبو البقاء: «وأجازه الكوفيُّون على ضعفٍ»[3]، وقالوا: هو قبيحٌ[4].

ذكر ابن خالويه أنَّ الكوفيّين أجازوا الخفض، واحتجّوا للقارئ بأنَّه أضمر الخافض، واستدلوا بقول العجَّاج: كان إذا قيل له: كيف تجدك؟ يقول: خيرٍ عافاك اللهُ، يريد: بخيرٍ[5].

وقد ردَّ كثيرٌ من علماء الدِّين على مَنْ قدح في قراءة الجر بأنَّها ثبتت عن النبيّ -ﷺ- **قال الْإِمَامُ أَبُو نَصْرٍ الْقُشَيْرِيُّ:** «وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ مَرْدُودٌ عِنْدَ أَئِمَّةِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَاتِ التي قرأ بها أئمة القرَّاء ثبتت عن النبيّ -ﷺ- تَوَاتُرًا،... وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُحْتَجَّ لِلْجَوَازِ بِوُرُودِ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ كَمَا تقدَّم»[6].

وقال أبو حيَّان: «مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَتَبِعَهُمْ فِيهِ الزمخشري، وابن عطية: من امْتِنَاعِ الْعَطْفُ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ إِلَّا بِإِعَادَةِ الْجَارِّ، وَمِنِ

---

(١) من الطويل، لمسكين الدارمي في ديوانه: صـ٥٣، وفيه «تنائف» بدلًا من «نفانف»، وشرح الأشموني: ٤٣٠/٢، وشرح المفصَّل: ٧٩/٣، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٦٥٣/٨، وتفسير ابن عطيَّة: ٤/٢، وفتح القدير: ٤٨٠/١، والبحر المحيط: ٤٩٩/٣.

(٢) الكشاف: ٤٩٣/١.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء: ٣٢٧/١.

(٤) تفسير القرطبي: ٦٦٨/٣.

(٥) الحجَّة في القراءات السبع، لابن خالويه: ١٩٩/١.

(٦) فتح القدير، للشوكاني: ٤٨٠/١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي): ١٦٧٠/٣.

اعْتِلَالِهِمْ لِذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ، بَلِ الصَّحِيحُ مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ فِي ذَلِكَ وَأَنَّهُ يَجُوزُ. وَقَدْ أَطَلْنَا الِاحْتِجَاجَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1]. وَذَكَرْنَا ثُبُوتَ ذَلِكَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ نَثْرِهَا، وَنَظْمِهَا، فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ هنا»[2].

وانتصر لحمزة، وأنَّه من الأئمَّة الذين أخذوا القراءة عن سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَاتَّصَلَتْ قراءته بِأَكَابِرِ الصَّحَابَةِ –رضي الله عنهم– الَّذِينَ تَلَقَّوُا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وردَّ كلامَ ابن عطيَّة، والزمخشري[3].

ثمَّ قال: «وَلَسْنَا مُتَعَبَّدِينَ بِقَوْلِ نُحَاةِ الْبَصْرَةِ، وَلَا غَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ، فَكَمْ حُكْمٍ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْكُوفِيِّينَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ لَمْ يَنْقُلْهُ الْبَصْرِيُّونَ، وَكَمْ حُكْمٍ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْبَصْرِيِّينَ لَمْ يَنْقُلْهُ الْكُوفِيُّونَ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ لَهُ اسْتِبْحَارٌ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ»[4].

وينتصر الفخر الرازي لقراءة الجر بقوله: «وَالْعَجَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ النُّحَاةِ يَسْتَحْسِنُونَ إِثْبَاتَ هَذِهِ اللُّغَةِ –يقصد العطف على الضمير المجرور– بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْمَجْهُولَيْنِ، وَلَا يَسْتَحْسِنُونَ إِثْبَاتَهَا بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ، وَمُجَاهِدٍ، مَعَ أَنَّهُمَا كَانَا مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ.

وَاحْتَجَّ الزَّجَّاجُ عَلَى فَسَادِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»، فَإِذَا عَطَفْتَ «الْأَرْحَامَ» عَلَى الْمُكَنَّى عَنِ اسْمِ اللَّهِ، اقْتَضَى ذَلِكَ جَوَازَ الْحَلِفِ بِالْأَرْحَامِ.

وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ عَنْهُ: بِأَنَّ هَذَا حِكَايَةٌ عَنْ فِعْلٍ كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، وَحِكَايَةُ هَذَا الْفِعْلِ عَنْهُمْ فِي الْمَاضِي،

---

(١) سورة البقرة: من الآية (٢١٧).
(٢) البحر المحيط: ٣/٤٩٩.
(٣) انظر البحر المحيط: ٣/٥٠٠.
(٤) البحر المحيط: ٣/٥٠٠.

لَا تُنَافِي وُرُودَ النَّهْيِ عَنْهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَيْضًا الحديث نهى عن الحَلِف بالآباء فقط، وهاهنا لَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ حَلِفٌ بِاسْمِ أَوَّلًا ثُمَّ يَقْرِنُ بِهِ بَعْدَهُ ذِكْرَ الرَّحِمِ، فَهَذَا لَا يُنَافِي مَدْلُولَ ذَلِكَ الْحَدِيثِ»(١).

ويقول السَّمين الحلبي: «ولقائلٍ أن يقول: «إنَّ لله –تعالى– أن يُقْسِم بما شاء، كما أقسم بمخلوقاتِه كالشمس، والنجم، والليل، وإن كنَّا نحن مَنْهيين عن ذلك»(٢).

وقدَّر بعضهم مضافًا؛ فرارًا من الحلف بغير الله، وتقديره: «ورب الأرحامِ»، وردَّ أبو البقاء قائلًا: «وهَذَا أَغْنَى عَنْهُ مَا قَبْلَهُ»(٣)، يعني: الحلف بالله.

ويرى البحث: أنَّ حمل القراءة على العطف على الضمير المجرور هو الأولى والأجدر بالقبول؛ حيث ورد ذلك في كلام العرب شعرًا –كما سبق– ونثرًا –كما ذكر في إجابة العجاج–، ولا يلتفت إلى مَنْ طعن في صحَّة هذه القراءة، فهي متواترة، قرأ بها من السبعة حمزة، وقرأ بها غيره كالنخعي، وقتادة، والأعمش، فالقراءة موافقة لوجهٍ من وجوه العربيَّة، ولا ينبغي الطعن فيها.

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٦٥٣/٨.

(٢) الدر المصون، للسمين الحلبي: ٥٥٦/٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٦٧٠/٣.

(٣) التبيان في إعراب القرآن: ٣٢٧/١.

المطلب السادس

المفعول بين الحذف والإسناد

١-حذف أحد المفعولين للفعل ﴿يُخَوِّفُ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾[(١)].

فقد قرأ الجمهور ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، وقرأ النخعي «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ»، ونُسِبَ إليه أيضًا «يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ».

ففي تفسير ابن عطيَّة قرأ ابن عباس وأبو عمرو الداني «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ»... وبذلك قرأ النخعي[(٢)].

وفي البحر: «وقرأ النخعي «يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ»[(٣)].

التوجيه:

﴿يُخَوِّفُ﴾: فعل يتعدَّى إلى مفعولين، لكن يجوز الاقتصار على أحدهما، إذ الآخر مفهوم من بنية هذا الفعل؛ لأنَّك إذا قلت: خوَّفت زيدًا، فمعلوم أنَّك خوفته شيئًا حقه أن يخاف، وقرأ جمهور القرَّاء: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ وفيه أقوال:

- **الأوَّل**: أنَّ المحذوف هو المفعول الأوَّل، وتقديره: «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ»[(٤)]، ويقوِّي هذا التقدير قراءة ابن عبَّاس، وأبي عمرو الداني، وكذا قراءة النخعي «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ».

---

(١) سورة آل عمران: من الآية (١٧٥).

(٢) تفسير ابن عطيَّة: ٥٤٤/١.

(٣) البحر المحيط: ٤٤٠/٣، وانظر كذلك: الدر المصون: ٤٩٣/٣.

(٤) انظر: تفسير ابن عطيَّة: ٥٤٤/١، والمحتسب، لابن جني: ١٧٧/١، والبحر: ٤٠٤/٣.

وذكر الفرَّاء التقدير: «يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ» ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، ومثل ذلك: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[1]، معناه: «لينذركم يوم التلاق»، وقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾[2]، والمعنى: «لينذركم بأسًا شديدًا» البأس لا ينذر، وإنَّما ينذر به[3].

وكذا ذكر العكبري[4]، **وقال الأخفش:** «يُرْهِبُ النَّاسَ أولِياءَهُ» أي: بِأَوّلِيائِهِ[5].

- **الثاني:** أن يكونَ المفعول الثاني هو المحذوف، و«أَوْلِيَاءَهُ» هو الأوَّل، والتقدير: «يُخَوِّف أولياءه شرَّ الكفار»، ويكون المراد بأوليائه على هذا الوجه المنافقون، ومَنْ في قلبه مرض مِمَّن تخلَّف عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الخروج،... وأما أنتم -يقصد المؤمنين- فلا يَصِل إليكم تخويفُه[6].
- **الثالث:** أنَّ المفعولَيْن محذوفان، و«أَوْلِيَاءَهُ» نُصِب على إسقاطِ حرف الجر، والتقدير: «يُخوِّفكم الشرَّ بأوليائه»، والباء للسبب أي: بسبب أوليائه[7].

أمَّا قراءة «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ» والتي قرأ بها النخعي، وابن عبَّاس، وأبو عمرو الداني، ونسبها ابن جني لعكرمة، وعطاء، فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان.

---

(١) سورة غافر من الآية (١٥).
(٢) سورة الكهف من الآية رقم (٢).
(٣) معاني القرآن، للفرَّاء: ٢٤٨/١.
(٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن: ٣١١/١.
(٥) معاني القرآن، للأخفش: ٢٤٠/١.
(٦) الدر المصون: ٤٩٣/٣.
(٧) البحر المحيط: ٤٤٠/٣، والسابق: ٤٩٤/٣.

قال أبو الفتح: «في هذه القراءة دلالةٌ على إرادة المفعول في ﴿يُخَوِّفُ﴾ وحذفه في قراءة أكثر الناس: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾. وليس هذا كقولنا: فلانٌ يُخوِّف غلامَه، ويخوِّف جاريَتَه مِن ضربه إيَّاهما، وإساءته إليهما. فالمحذوف هنا هو المفعول الثاني، وهو في الآية المفعول الأول كما قدَّمنا»[(١)].

ففرَّق ابن جني في ذلك بين «فلانٌ يخوِّف غلامَه»، حيث حذف فيها المفعول الثاني، بينما حذف المفعول الأول في قراءة الجمهور.

أمَّا القراءة الثالثة «**يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ**» وقرأ بها النخعي، وأُبَي، فتحتمل أمرين:

- **الأوَّل:** أن تكون الباء زائدة، فتكون كقراءة الجمهور في المعنى.
- **الثاني:** أن تكون الباء للسبب، والمفعولان محذوفان[(٢)] كما تقدَّم.

وفسِّرت قراءة الجمهور ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ وغيرها، والضمير في ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ لكفار قريش وغيرهم من أولياء الشيطان، حقَّر الله شأنهم، وقوَّى نفوس المؤمنين عليهم، وأمرهم بخوفه تعالى، وامتثال أمره من الصبر والجلَد، ثم قرَّر ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٣)].

ويلاحظ الآتي:

١- أنَّ المعنى واحدٌ في القراءات الثلاثة.

٢- أنَّ ما قرأ به النخعي «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ»، و«يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ» لم يرد إلا في الشواذِّ، فلم يقرأ به أحدٌ من السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم.

---

(١) المحتسب: ١/١٧٧، وانظر: تفسير ابن عطيَّة: ١/٥٤٤.

(٢) البحر: ٣/٤٤٠، والدر المصون: ٣/٤٩٤.

(٣) انظر: تفسير ابن عطيَّة: ١/٥٤٤.

٢-«اتَّخذ» بين كونها ناصبة لمفعولَيْن مقابل نصبها لمفعول واحدٍ

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾[١].

فقد قرأ جمهور القرَّاء ﴿نَّتَّخِذَ﴾ مبنيًّا للمفعول، وقرأ النخعي، والسلمي، وهي قراءة الحسن، وأبي جعفر، ومجاهد، وغيرهم[٢].

التوجيه:

- **أولًا:** قراءة الجمهور ﴿نَّتَّخِذَ﴾ بالبناء للفاعل:

الفعل «اتَّخذ» من الأفعال التي تتعدَّى تارة إلى مفعولٍ واحدٍ، وقراءة الجمهور عليها فإن قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ في موضع المفعول به، أي: أولياء، فهو كقولك: «ضربت رجلًا»، فإن نفيت قلت: «ما ضربت من رجلٍ»[٣]، و﴿مِن دُونِكَ﴾ متعلقٌ بالاتخاذ، أو بمحذوف على أنه حال من ﴿أَوْلِيَآءَ﴾[٤].

وَجَازَ دُخُولُ «مِنْ» -كما مثَّل ابن جني-؛ «لِأَنَّهُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾[٥]»[٦].

---

(١) سورة الفرقان من الآية (١٨).

(٢) جاءت قراءة الجمهور في الإتحاف: ٣٠٦/٢، ونسبت قراءة البناء للمجهول لأبي جعفر، وللنخعي عند أبي حيان في البحر: ٩٢/٨، كما نسبت لأبي جعفر، وأبي بن ثابت، وأبي الدرداء، ومجاهد، ونصر بن علقمة، وزيد بن علي، وأبي رجاء، والحسن، وحفص بن حميد، ومكحول، ومحمد بن علي في المحتسب: ١١٩/٢، وانظر كذلك: النسبة للسلمي، والزعفراني في البحر: ٩٢/٨، وغيره من المواجع.

(٣) المحتسب، لابن جني: ١٢٠/٢.

(٤) الدر المصون، للسَّمين: ٤٦٥/٨.

(٥) سورة المؤمنون من الآية (٩١).

(٦) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٩٨٢/٢.

ويجوز أن تكون ﴿نَّتَّخِذَ﴾ متعدية إلى مفعولين ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ هو المفعول الأوَّل، و﴿مِن دُونِكَ﴾ المفعول الثاني(١).

واختلف الناس في الموقف المجيب هنا، حيث قال الحق: ﴿ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧﴾ فقيل: المجيب كل مَنْ ظلم بأن عبد ممن يعقل كالملائكة، وعُزَيْر، وعيسى، وغيرهم، وقيل: الأصنام التي لا تعقل يقدرها الله –تعالى– يومئذٍ على هذه المقالة، ويجيء خزي الكفرة لذلك أبلغ(٢)، والمعنى: ما كان يصحّ لنا، ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولَّى أحدًا دونك، فكيف يصحّ لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولنا دونك(٣).

– **ثانيًا:** قراءة النخعي وغيره «نُتَّخَذَ» بالناء للمفعول، وفيها توجيهاتٌ، هي:

١– أنَّ «نُتَّخَذَ» متعدية للمفعولين، الأول هو ضمير المتكلمين، والثاني هو ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾، **قال أبو البقاء:** «وَيُقْرَأُ بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الْخَاءِ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مُضْمَرٌ، وَ ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ الثَّانِي»(٤).

وعليه: فإنَّ ﴿مِنۡ﴾ هنا مزيدةٌ، واعترض أكثر النحاة على زيادتها في المفعول الثاني، قال: «وَهَذَا لَا يَجُوزُ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّحْوِيِّينَ؛ لِأَنَّ «مِنْ» لَا تُزَادُ فِي الْمَفْعُولِ الثَّانِي؛ بَلْ فِي الْأَوَّلِ؛ كَقَوْلِكَ: مَا اتَّخَذْتُ مِنْ أَحَدٍ وَلِيًّا؛ وَلَا يَجُوزُ: مَا اتَّخَذْتُ أَحَدًا مِنْ وَلِيٍّ»(٥).

وقال الزجَّاج: «وهذه القراءة عند أكثر النحويّين خَطأٌ، وإنَّما كانت خطأً؛ لأنَّ «مِنْ» إنَّما يدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مَفْعُولَة أولًا، ولا

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٢/٩٨٢.
(٢) انظر: تفسير ابن عطيَّة= المحرر الوجيز: ٤/٢٠٤.
(٣) الكشاف، للزمخشري: ٣/٩٩.
(٤) التبيان في إعراب القرآن: ٢/٩٨٢.
(٥) السابق.

تَدْخُل على مفعول الحال، تقول: ما اتخذت مِن أَحَدٍ وَليًّا، ولا يجوز ما اتخذت أَحَدًا مِنْ وَلِيٍّ؛ لأن «مِنْ» إنَّمَا دخلت لأنَّها تنفي واحدًا في معنى جميع، تقول: ما مِنْ أحَدٍ قَائمًا، وما مِنْ رَجُلٍ مُحِبًّا لما يَضَره، ولا يجوز ما رجل من مُحِبٍّ مَا يَضُره. ولا وجه لهذه القِرَاءَةِ، إلا أَنَ الفرَّاء أجازها على ضَعْفٍ»(١).

وكذا ذكر النحَّاس إجماع النحاة على أنَّ فتح النون أولى، وأنَّ أبا عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر لا يجيزان «نُتَّخَذَ» بضمِّ النون(٢).

وإذا كان الزجَّاج قد قال بخطأ هذه القراءة، فإنَّ غيره أجازها على ضعفٍ.

قال ابن عطيَّة: «ويضعف هذه القراءة دخول ﴿مِنۡ﴾ في قوله: ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾»(٣).

وكذا أجازها مع ضعفٍ الفرَّاء، كما ذكر الزجَّاج، قال الفرَّاء: «والقراء مجتمعة عَلَى نصب النون فِي ﴿نَّتَّخِذَ﴾ إلا أبا جَعْفَر المدنيّ فإنه قرأ «أن نُتَّخَذَ» بضم النون ﴿مِن دُونِكَ﴾ فلو لَمْ تكن فِي الأولياء ﴿مِنۡ﴾ كَانَ وَجهًا جيدًا، وهو عَلَى شذوذه، وقلَّة من قرأ بِهِ، قد يَجوز عَلَى أن يَجعل الاسم فِي ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ وإن كانت قد وقعت في موقع الفعل، وإنَّما آثرت قول الجماعة؛ لأنَّ العرب إنَّما تُدخل «من» فِي الأسماء، لا فِي الأخبار...»(٤).

٢- أنَّ المفعول الأول هو ضمير المتكلمين في «نُتَّخَذَ»، والمفعول الثاني ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾، و﴿مِنۡ﴾ للتبعيض، أي: ما كان ينبغي أن نَتَّخذ بعض أولياء، وهو ما ذهب إليه الزمخشري(٥).

---

(١) معاني القرآن، للزجَّاج: ٤/٦٠، ٦١.

(٢) إعراب القرآن، للنحَّاس: ٣/١٠٣.

(٣) تفسير ابن عطيَّة: ٤/٢٠٤.

(٤) معاني القرآن، للفراء: ٢/٢٦٤.

(٥) انظر: الكشاف، للزمخشري: ٣/٩٩، وكذا البحر: ٨/٩٢، والدر المصون: ٨/٤٦٥.

٣- أنَّ ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ في موضع الحال، **وهو رأي ابن جني، حيث قال:** «أمَّا إذا ضُمَّت النون فإنَّ قوله: ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ في موضع الحال، أي: ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ من دونك أولياء، ودخلت ﴿مِنۡ﴾ زائدة لمكان النفي، كقولك: اتخذت زيدًا وكيلًا، فإن نفيت قلت: ما اتخذت زيدًا من وكيلٍ. وكذلك أعطيته درهمًا، وما أعطيته من درهم،... وقوله: «مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُتَّخَذَ» أي: لسنا ندعي استحقاق الولاء، ولا العبادة لنا»[(١)].

قال السَّمين: «فظاهرُ هذا أنه جَعَلَ الجارَّ والمجرورَ في موضعِ الحالِ، وحينئذٍ يَسْتحيلُ أَنْ تكونَ ﴿مِنۡ﴾ مزيدةً، ولكنه يريدُ أنَّ هذا المجرورَ هو الحالُ نفسُه»[(٢)].

تعقيب:

١- يرى البحث ترجيح ما ذهب إليه الزمخشري في توجيه قراءة النخعي من أن «أَنْ نُتَّخَذَ» بالبناء للمجهول متعدية لمفعولين: الأول ضمير المتكلِّم النائب عن الفاعل، والثاني هو ﴿ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ و﴿ مِنۡ ﴾ تبعيضيَّة، حيث لم يعترض على رأيه معترضٌ.

٢- قراءة النخعي شاذَّة، حيث لم ترد في السبع المتواترة، أو الثلاثة الزائدة عليها، وأنَّ قراءة الجمهور هي الأَوْلى والأجود كما نصَّ العلماء.

٣- أنَّه لم يحدث أي تغيير في مقاطع الكلمة كمًّا، أو نوعًا، وإنَّما حدث تغيير صوتي ذو توجيه نحوي، وهو البناء للمفعول بدلًا من البناء للفاعل ﴿ نَّتَّخِذَ ﴾ في قراءة الجمهور، و«نُتَّخَذَ» في قراءة النخعي.

---

(١) المحتسب: ٢/١٢٠.

(٢) الدر المصون: ٨/٤٦٥.

المطلب السابع

متفرقات من أبواب النحو

١-الحمل على المعنى

أ- قرأ «كَذَبَ» بالتخفيف مقابل ﴿ كَذَّبَ ﴾ بالتشديد

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[١].

فقد قرأ الجمهور ﴿ كَذَّبَ﴾ بالتشديد، بينما قرأ النخعي، ويحيى، وابن أبي عبلة[٢] «كَذَبَ» بالتخفيف.

التوجيه:

- **أولًا:** الفعل ﴿ كَذَّبَ﴾ في قراءة الجمهور.

جاء الفعل ﴿ كَذَّبَ﴾ في قراءة الجمهور بتشديد الذال فعلًا لازمًا، وقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ متعلق به[٣]، والمعنى: كذَّب بمحمد -ﷺ- والقرآن الكريم[٤].

- **ثانيًا:** «كَذَبَ» بالتخفيف في قراءة النخعي، وابن وثاب، وابن أبي عبلة.

جاء الفعل «كَذَبَ» بالتخفيف متعديًا[٥]، وقد ذكر كثيرٌ من العلماء القراءة، ولم يعلقوا عليها مكتفين بذكرها أنها قرئت بتخفيف الذال[٦]، وذكر بعضهم لها توجيهًا، وقد وجهت بتوجيهيْن:

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١٥٧).

(٢) قراءة الجمهور ﴿ كَذَّبَ﴾ نصَّ على ذلك كثيرٌ من علماء التفسير، كما ورد في السبع المتواترة، وأمَّا القراءة الثانية «كَذَبَ» بالتخفيف فقد نُسِبت في المحتسب ليحيى وإبراهيم: ٢٣٥/١، وكذا في مختصر شواذ القرآن: صـ٤٧، وجاءت في تفسير ابن عطيَّة: ٣٦٦/٢ منسوبة ليحيى، وابن أبي عبلة، وكذا في البحر: ٦٩٧/٤، والدر المصون: ٣٣١/٥، وغيرها.

(٣) انظر الدر المصون: ٣٣١/٥.

(٤) انظر المعنى في تفسير ابن عطيَّة: ٣٦٦/٢، والبحر: ٦٩٧/٤ وغيرهما.

(٥) انظر روح المعاني للألوسي: ٣٠٤/٤.

(٦) راجع في ذلك: تفسير ابن عطيَّة، والبحر، والدر المصون، وروح المعاني، نفس الصفحات السابقة.

- **الأوَّل:** أنَّها جاءت حملًا على المعنى، وذلك بزيادة الباء ليدل على معنى فعل متعدٍّ بها.

قال ابن جني: «ينبغي أن يكون دخول الباء هنا حملًا على المعنى؛ وذلك لأنَّه في معنى مَكَرَ بها، وكفر بها»(١).

وأيَّد كلامه بما يصادفه من الكلام العربي، مستشهدًا على ذلك بقوله: «وما أكثر هذا النحو في هذه اللغة... ومنه قوله:

ألـــم يأْتيـــك والأنبـــاءُ تَنمـــي بمـــا لاقـــت لبـــون بنـــي زيـــاد(٢)

زاد الباء في: «بما لاقت» لمَّا كان معناه: ألم تسمع بما لاقت لبونهم، وفيه ما أنشدَناه أبو علي:

أم كيف ينفعُ ما تعطى العَلوقُ به رئْمـانَ أنـف إذا مـا ضُـنَّ بـاللبنِ(٣)

ألحق الباء في «به»، لمَّا كان «تعطى» في معنى تسمح به، ألا تراه قال في آخر البيت: «إذا ما ضُنَّ باللبن؟» فالضن نقيضُ السماحة، والبذل»(٤).

- **الثاني:** أن «كَذَبَ» بالتخفيف في معنى التشديد.

ذهب إلى هذا أبو البقاء العكبري، حيث قال: «﴿مِمَّنكَذَّبَ﴾ الْجُمْهُورُ عَلَى التَّشْدِيدِ، وَقُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ، وَهُوَ فِي مَعْنَى التشديد، فَيَكُونُ: بِآيَاتِ اللَّهِ مَفْعُولًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا؛ أَيْ: كَذَّبَ وَمَعَهُ آيَاتُ اللَّهِ»(٥).

---

(١) المحتسب: ٢٣٥/١.

(٢) من الوافر، لقيس بن زهير، والنبأ: الخبر، وتنمي: تزيد وتكثر، ولبون: الإبل ذات اللبن، وبنو زياد بن سفيان بن عبد الله العبسي. انظر: الكتاب: ٣١٦/٣، والخصائص: ٣٣٣/١، والمحتسب: ٦٧/١، ٢٣٥، وشرح المفصَّل: ٣٤/٨ وغيرها.

(٣) من البسيط، يُنسب لأفنون التغلبي، والعلوق: التي عطفت على ولد غيرها فلم تدر، أو هي التي ترأم بأنفها وتمنع درتها، وفي التهذيب: «رأم»، واللسان «رأم، وعلق»، والمحتسب: ٢٣٥/١، وخزانة الأدب: ٤٥٥/٤.

(٤) المحتسب: ٢٣٥/١.

(٥) التبيان في إعراب القرآن: ٥٥١/١.

والراجح: ما ذهب إليه ابن جني من أنَّ الباء جاء حملًا على المعنى أي: ليتضمن «كذب» معنى «مكر أو كفر»، كما أنَّ زيادة الباء مع المفعول كثيرة، إلا أنَّها غير مقيسة(١)، وتخريج كثير من الشواهد ممكن على التضمين، وكذا بعض الآيات القرآنيَّة، والحمل على المعنى، أو التضمين بابٌ واسعٌ من أبواب العربيَّة، يدل على سعة تصرفها، والتفنن في أساليبها، فما أمكن تخريجه عليه لا يحكم بزيادة الحرف فيه، فقد قيل بقياسيته في اللغة(٢).

ويلاحظ في قراء النخعي الآتي:

١- أنَّها قراءة شاذَّة، ولم ترد في السبعة المتواترة، وكذا لم ترد في الثلاثة الزائدة عليها، وإن كان لها وجه صحيح في العربيَّة.

٢- أدَّى التخفيف إلى التأثير على المقاطع الصوتيَّة للكلمة في نوع المقاطع، فقراءة الجمهور ﴿كَذَّبَ﴾ بالتشديد تتكون من المقاطع الآتية:

كذ	ذ	ب
ص ح ص	ص ح	ص ح

وأمَّا قراءة النخعي «كَذَبَ» بالتخفيف فتتكون من:

كـ	ذ	ب
ص ح	ص ح	ص ح

حيث حدث اختلاف في نوع المقطع الأول بين القراءتين.

(١) انظر الجني الداني، للمرادي: صـ٤٨، ٥١.

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد الأول: صـ١٨٠؛ لتقف على قرار المجمع نحو قياسية التضمين في اللغة، وموقف النحاة منه.

ب-اختلاف العامل وحمل الإعراب على المعنى:

وذلك بالنصب والجر مقابل الرفع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[1].

حيث قرأ الجمهور -عدا حمزة، والكسائي-: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ بالرفع، وقرأ الأخوان: حمزة والكسائي: «وَحُورٍ عِينٍ»[2]، وكذا قرأ النخعي بالجر، إلا أنَّه قلب الواو ياءً، فقرأ: «وحِيرٍ عينٍ» بكسر الحاء، وقلب الواو ياءً[3]، وقد تقدَّم توضيحه.

وقرأ النخعي أيضًا بنصبهما «وحُورًا عينًا»، وكذا قرأ العقيلي، وعيسى بن عمر[4]، وهي قراءة أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود[5].

التوجيه:

- **أولًا:** توجيه الرفع:

رفع الجمهور ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾، وفيه عدَّة أوجه، أشهرها ما يلي:

١- أنَّه معطوف على ﴿وِلْدَانٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾[6]، أي: أنَّ الحور العين يطفن عليهم بذلك، أي: بما يطوف به الولدان[7].

---

(١) سورة الواقعة الآية (٢٢).

(٢) إتحاف فضلاء البشر: ٥١٥/٢.

(٣) تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز: ٢٤٣/٥، وانظر البحر المحيط، لأبي حيان: ٨٠/١٠، والدر المصون: ٢٠٤/١٠، وغيرها.

(٤) فتح القدير، للشوكاني: ١٨١/٥.

(٥) معاني القرآن، للفراء، حيث نسبها لأبي بن كعب: ١٢٤/٣، ونسبها ابن جني في المحتسب لأبي، وابن مسعود: ٣٠٩/٢، وانظر الدر المصون: ٢٠٤/١٠.

(٦) سورة الواقعة من الآية (١٧).

(٧) انظر: تفسير ابن عطيَّة: ٢٤٣/٥، وفتح القدير: ١٨١/٥، والتبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء: ١٢٠٤/٢، والدر المصون: ٢٠٤/١٠ وغيرها.

٢- الرفع على أنَّه مبتدأ محذوف الخبر، وتقديره: «لهم حورٌ عينٌ»، أو «فيها حورٌ عينٌ»، أو «ثَمَّ حورٌ عينٌ»(١).

قال الفرَّاء: «وإن كَانَ أكثر القراء عَلَى الرفع؛ لأنَّهم هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاف بهنَّ، فرفعوا عَلَى قولك: ولهم حورٌ عينٌ، أَوْ عندهم حورٌ عينٌ»(٢).

٣- الرفع على أنَّه خبرٌ لمبتدأ مضمر، أي: على تقدير مبتدأ، أي: نساؤُهم حورٌ عينٌ(٣).

- **ثانيًا:** توجيه الجر:

وذلك على قراءة حمزة، والكسائي «وحورٍ عينٍ»، وقراءة النخعي «وحيرٍ عينٍ»، وفيه الأوجه الآتية:

١- أنَّ الجرَّ حدث للعطف على ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٣﴾، كأنَّه قيل: «في جنات، وفاكهة، ولحم، وحور»، قاله الزمخشري(٤)، ونقله الشوكاني عن الزجَّاج(٥).

قال أبو حيَّان: «وَهَذَا فِيهِ بُعْدٌ وَتَفْكِيكُ كَلَامٍ مرتبط بَعْضِهِ بِبَعْضٍ، وَهُوَ فَهْمٌ أَعْجَمِيٌّ»(٦).

ورُدَّ عليه بأنَّ ما ذهب إليه الزمخشري معنى حسنٌ جدًّا، وهو على حَذْفِ مضافٍ أي: وفي مقاربة حور، وهذا هو الذي عناه الزمخشري. وقد صرَّح غيرُه بتقدير هذا المضاف(٧).

---

(١) انظر السابق، وكذا معاني القرآن، للفراء: ١٢٣/٣.

(٢) معاني القرآن، للفرَّاء: ١٢٣/٣.

(٣) انظر التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري: ١٢٠٤/٢، والبحر المحيط: ٨٠/١٠، وفتح القدير: ١٨٠/٥ وغيرها.

(٤) الكشاف، للزمخشري: ٤/

(٥) فتح القدير: ١٨١/٥.

(٦) البحر المحيط: ٨٠/١٠، وانظر زاد المسير: ٢٢١/٤.

(٧) الدر المصون: ٢٠٢/١٠.

وذكر الشوكاني هذا التقدير نقلًا عن الزجَّاج، حيث قال: «وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى ﴿جَنَّٰتٍ﴾، أَيْ: هُمْ فِي جَنَّاتٍ، وَفِي حُورٍ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: وَفِي مُعَاشَرَةِ حُورٍ»[1].

٢- أنَّه معطوف على «أكوابٍ» على سبيل التجوُّز.

قال الفرَّاء: «والخفض عَلَى أن تتبع آخر الكلام أوله، وإن لم يحسن فِي آخره ما حسن فِي أوله، أنشدني بعض العرب:

إِذَا مَا الغانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وزَجَجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا[2]

فالعَين لا تزجج إنَّما تكحَّل، فردَّها عَلَى الحواجب؛ لأن المعنى يعرف... وأنشدني بعض بني دبير:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وماءً بارِدًا حتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عيناها[3]

والماء لا يعتلف إنَّما يُشرب، فجعله تابعًا للتبن، وَكان ينبغي لمن قَرَأَ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾؛ لأنَّهن -زعم- لا يطاف بهن أن يَقُول: «وَفاكِهَةٍ وَلَحْمِ طَيْرٍ»؛ لأنَّ الفاكهة واللحم لا يطاف بهما، ليس يطاف إلَّا بالخمر وحدها، ففي ذَلِكَ بيان؛ لأن الخفض وجه الكلام»[4].

---

(١) فتح القدير: ٥/١٨٠.

(٢) من الوافر، للراعي النميري، انظر شرح شواهد العيني: ٢/٧٧٥، ٧٧٦، والدرر اللوامع: ١/١٩١، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ٤/٢١٩، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢/٢٤٧، ولسان العرب «زجج»، والمقاصد النحوية: ٣/٩١، والخصائص: ٢/٤٣٢، وشرح الأشموني: ٢/٢٢٦، شاهد رقم (٢٥٩).

(٣) ذكره ابن هشام في شرح شذور الذهب، شاهد رقم (١١٥) من الكامل، وذكر في أوضح المسالك، شاهد رقم (٢٥٨) لذي الرمَّة في ديوانه: صـ٦٦٤، واللسان «علف»، وهو منسوب إنشادًا لبعض بني دبير، كما ذكر الفراء في معاني القرآن: ٣/١٢٤، وانظر خزانة الأدب: ١/٤٩٩.

(٤) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣/١٢٣، ١٢٤، وانظر إعراب القرآن، للنحَّاس: ٤/٢٢٠.

ونقل الشوكاني عنه: «الْجَرُّ عَلَى الْإِتْبَاعِ فِي اللَّفْظِ وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ الْحُورَ لَا يُطَافُ بِهِنَّ»(١).

٣- أنَّه معطوف على «أكوابٍ» على سبيل الحقيقة.

نقل الشوكاني عن قطرب: «هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَكْوَابِ وَالْأَبَارِيقِ مِنْ غَيْرِ حَمْلٍ عَلَى الْمَعْنَى. قَالَ: وَلَا يُنْكَرُ أَنْ يُطَافَ عَلَيْهِمْ بِالْحُورِ، وَيَكُونُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ لَذَّةٌ»(٢).

وهو أنَّ الوِلْدانَ طافُوا عليهم بالمأكولِ والمشروبِ والمُتَفَكَّهِ بعد المنكوحِ(٣).

- **ثالثًا:** توجيه النصب:

وهي قراءة النخعي، والعقيلي، وعيسى بن عمر، وقرأ كذلك أبي وعبد الله: «وحُورًا عِينًا»، يوجه ذلك بوجهيْن:

١- إضمار فعل، قال ابن جني: «من ذلك قراءة أبي بن كعب، وابن مسعود: «وَحُورًا عِينًا». هذا على فعلٍ مضمرٍ، أي: يؤتون، أو يزوجون حورًا عينًا، كما قال: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾(٤)، وهو كثير في القرآن والشعر»(٥).

وفي موطن آخر قال: «ومثله مما نصب على إضمار فعل يدل عليه ما قبله قوله:

جئْنِي بِمِثْلِ بني بَدْرٍ لِقَوْمِهِمُ أو مِثْلَ أسرة مَنْظُورِ بنِ سيَّارِ»(٦)(٧)

---

(١) فتح القدير: ٥/١٨٠.

(٢) فتح القدير: ٥/١٨١.

(٣) الدر المصون: ١٠/٢٠٢.

(٤) سورة الدخان من الآية (٥٤).

(٥) المحتسب، لابن جني: ٢/٣٠٩.

(٦) من البسيط، لجرير، والخطاب للفرزدق يفخر عليه بسادات قيس أخواله في ديوانه: صـ٣١٢، والكتاب لسيبويه: ١/٤٨، ٨٦، ومعاني القرآن للفرَّاء: ٣/١٢٤، والمحتسب: ٢/٧٨.

(٧) انظر المحتسب: ٢/٧٨.

وقال الفرَّاء: «وفي قراءة أَبِي بْن كعب: «وحورًا عينًا» أراد الفعل الَّذِي نجده فِي مثل هَذَا من الكلام، كقول الشَّاعِر:

جئْنِي بِمِثْلِ بنِي بَدْرٍ لِقَوْمِهِمُ أو مِثْلَ أسرة مَنْظُورِ بنِ سيَّارِ»[(١)]

فكأنه قال: أو هاتِ مثلَ أسرة[(٢)].

وقد ذكر هذا التوجيه كثيرٌ من العلماء[(٣)].

٢- وقيل: هو منصوب بالحمل على المعنى، فهو محمول على معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾؛ لأنَّ معناه يهطون كذا وكذا، فعطف عليه هذا على معناه[(٤)].

ويلاحظ في قراءة النخعي بالخفض أنَّه قرأ «حيرٍ عينٍ»، وقد سبق أن ذكر البحث أنَّها قراءة شاذَّة، وكذا ما نُسِب إليه في قراءة النصب «وحورًا عينًا» شاذَّة أيضًا، فلم ترد عن السبعة، أو العشرة، وحتى الأربعة عشر.

٢-البدل مقابل الإضافة

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ مقابل «بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ»، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾[(٥)].

قرأ النخعي، والأعمش، ومسروق[(٦)]﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ ﴿بِزِينَةٍ﴾ مخفوض منون، و﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ بخفض الباء، وهي قراءة حمزة، وحفص عن عاصم.

---

(١) معاني القرآن، للفراء: ١٢٤/٣.

(٢)المحتسب: ٧٨/٢.

(٣) انظر التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ١٢٠٤/٥، وفتح القدير: ١٨١/٥، والدر المصون: ٢٠٢/١٠ وغيرها.

(٤) الدر المصون: ٢٠٣/١٠.

(٥) سورة الصافات الآية (٦).

(٦) نسب القراءة للثلاثة القرطبي في تفسيره: ٥٧٠٢/٨، ونسبها للنخعي، والأعمش الشوكاني في فتح القدير: ٤٤٤/٤.

وقرأ الباقون –أي: السبعة غير حمزة وعاصم– «بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ» أي: بحذف التنوين، وإضافة «زينة» لـ«الكواكبِ»[(١)].

التوجيه:

توجه قراءة النخعي، وهي أيضًا قراءة حمزة، وعاصم من السبعة ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ على أنَّ المعنى: «إنَّا زيَّنا السماء الدنيا بالكواكب»، فالكواكب بدل من الزينة، أو بيان لها، وهي كقولك: مررتُ بأبي عبد الله زيد[(٢)].

قال الفرَّاء: «﴿بِزِينَةٍ﴾ وبخفض ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ بالتكرير من معرفة عَلَى نكرة»[(٣)].

وتوجّه قراءة الجمهور غير حمزة، وعاصم على إضافة الزينة إلى الكواكب.

قال أبو علي: «من قرأ: «بزينةِ الكواكِبِ»، أعمل الزينة في الكواكب، والمعنى: أن زيَّنا الكواكب فيها»[(٤)].

وذكر العكبري أنَّ القراءة بالإضافة فيها وجهان:

- **الأول:** أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ النَّوْعِ إِلَى الْجِنْسِ؛ كَقَوْلِكَ: بَابٌ حَدِيدٌ؛ فَالزِّينَةُ كَوَاكِبُ[(٥)]، وعبَّر غيره بأنَّه إضافةَ أعمَّ إلى أخصَّ للبيان، مثل: ثوبُ خَزّ[(٦)].

(١) انظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٥٤٧، والحُجَّة للقراء السبعة، لأبي علي: ٥١/٦، والإتحاف: ٤٠٨/٢، وغيرها.

(٢) انظر الإتحاف: ٤٠٨/٢، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٢٩٨/٤، وتفسير ابن عطيَّة: ٤٦٥/٤، والدر: ٢٩١/٩.

(٣) معاني القرآن، للفراء: ٣٨٢/٢.

(٤) الحجَّة للقراء السبعة: ٥١/٦.

(٥) التبيان: ١٠٨٧/٢.

(٦) البحر: ٩٢/٩، والدر: ٢٩١/٩.

- **الثاني:** أَنْ تَكُونَ الزِّينَةُ مَصْدَرًا أُضِيفَ إِلَى الْفَاعِلِ-أي: زَيَّنَتِ الكواكبُ السماءَ- أو أضيف إِلَى الْمَفْعُولِ، بأَنْ زَيَّنها اللهُ(١).

ويلاحظ: أنَّ قراءة النخعي وافقت حمزة، وعاصمًا من السبعة المتواترة قراءتهم، والقراءتان مشهورتان، وللقارئ أن يقرأ بأيِّهما شاء.

٣-التنوين مقابل الإضافة

وذلك في ﴿شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾(٢).

فقد قرأ جمهور القرَّاء ﴿شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ بالإضافة، أي: بنصب ﴿شَهَٰدَةَ﴾ دون تنوين، ولفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه(٣).

وقرأ إبراهيم النخعي «شَهَادَةً أَللهِ» مقصور ويُنَوّن «شهادة»، قال أبو الفتح وتابعه -يعني: الشعبي- على «شهادةً أَللهِ» السلمي، ويحيى، وإبراهيم، وسعيد بن جبير، ويحيى بن يعمر، والحسن، والكلبي(٤).

ورويت القراءة عن أبي بكر بن عيَّاش(٥)، كما روي غير هذه القراءة عن الشعبي.

---

(١) انظر التبيان: ١٠٨٧/٢، والبحر: ٩٢/٩، والدر: ٢٩١/٩ وغيرها.

(٢) سورة المائدة الآية رقم (١٠٦).

(٣) انظر: جامع البيان: ١٧٧/١١، حيث قال الطبري: «قرأ عامة الأمصار».

(٤) المحتسب، لابن جني: ١٢١/١، وانظر زاد المسير، حيث نسب القراءة للشعبي: ٥٩٧/١.

(٥) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٢٥٣/٢، والدر المصون: ٤٧٠/٤.

التوجيه:

- **أولًا:** قراءة الجماعة:

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ معطوف على قوله: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾ وأضاف الشهادة إلى الله؛ لأنَّه أمر بها، فصارت له، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾[1]، فالله هو الآمر بإقامتها، والناهي عن كتمانها، فلا نشتري به، أي: بالله عرضًا نزرًا من عروض الدنيا، فنحلف كاذبين لأجل ذلك العرض، ولو كان المشهود له ذا قربى[2].

قال ابن جني: «أما «شهادةً» فهي أعمُّ من قراءة الجماعة: ﴿شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ بالإضافة، غير أنَّها بالإضافة أفخم، وأشرف، وأحْرَى بترك كتمانها؛ لإضافتها إلى الله سبحانه»[3].

- **ثانيًا:** قراءة النخعي، ومَنْ سار على نهجه «شهادةً أَللهِ» بالتنوين، وقطع الهمزة مقصورة من الجر للفظ الجلالة، ويوجَّه على أنَّ لفظ الجلالة مجرور بحرف القسَم المحذوف، ولا يعوَّض منه بهمزة الاستفهام؛ لكثرة الاستعمال، و«شهادةً» بالتنوين أعمُّ من ﴿شَهَٰدَةَ﴾ بلا تنوين

قال أبو الفتح: «أما «شهادةً» فهي أعم... وأمَّا "أللهِ" مقصورة بالجر فحكاها سيبويه: أنَّ منهم مَنْ يحذف حرف القَسَم ولا يعوض منه همزة الاستفهام، فيقول: «أللهِ لقد كان كذا»، قال: وذلك لكثرة الاستعمال»[4].

---

(١) سورة الطلاق من الآية (٢).

(٢) انظر المعنى في كتب التفاسير، وعلى سبيل المثال: فتح القدير، للشوكاني: ٢/٩٩.

(٣) المحتسب: ١/١٢١.

(٤) السابق: ١/١٢١، وانظر الكتاب لسيبويه عن حرف القسَم المحذوف: ٢/١٦٠، ١٦١، ٣/٤٩٩.

وقال العكبري: «وَيُقْرَأُ «شَهَادَةً» بِالتَّنْوِينِ، وَ«أَللَّه» بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ، وَبِكَسْرِ الْهَاءِ، عَلَى أَنَّهُ جَرَّهُ بِحَرْفِ الْقَسَمِ مَحْذُوفًا، وَقَطَعَ الْهَمْزَةَ؛ تَنْبِيهًا عَلَى ذَلِكَ. وَقِيلَ: قَطْعُهَا عِوَضٌ عنْ حَرْفِ الْقَسَمِ، وَيُقْرَأُ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ بِوَصْلِ الْهَمْزَةِ، وَالْجَرُّ عَلَى الْقَسَمِ مِنْ غَيْرِ تَعْوِيضٍ، وَلَا تَنْبِيهٍ»(١).

من السابق نلاحظ:

١- أنَّ قراءة الجمهور أفضل وأشرف وأحْرى بترك كتمان الشهادة؛ نظرًا لإضافتها إلى الله -سبحانه- حيث أمر بذلك.

٢- في قراءة النخعي عموم نشأ من تنوين التنكير، فقراءته أعم من قراءة الجماعة، «وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةً» أي شهادة.

٣- تُعَدُّ قراءة النخعي من القراءات الشاذَّة؛ لخروجها عن القراءات السبع والعشر المتواترة، وقد ذكرها ابن جني في محتسبه، كما ذكرها العكبري.

٤- اختلفت القراءتان المتواترة والشاذَّة في المقاطع، حيث زادت المقاطع في القراءة الشاذَّة؛ نظرًا للتنوين وقطع الهمزة، وبيانها كالتالي:

أولًا قراءة الجمهور:

ش	ها	د	تل	لا	هـ
ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح

ثانيًا قراءة النخعي:

ش	ها	د	تن	أل	لا	هـ
ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح

زادت قراءة النخعي مقطعًا من النوع الثالث المتوسط المغلق.

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٤٦٨/١.

المبحث الرابع

التوجيه الدلالي لقراءة النخعي

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول: اختلاف المعنى لاختلاف الجذر.**
- **المطلب الثاني: اختلاف المعنى للإدراج أو الزيادة أو النقص.**

المطلب الأول

اختلاف المعنى لاختلاف الجذر

أ- «تُوَفَّاهُم» مقابل ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾

وذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[1].

قرأ الجمهور ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ بفتح التاء، وقرأ النخعي «تُوَفَّاهُم» بضم التاء[2].

المعنى والتوجيه:

هذه الآية المباركة نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْهِجْرَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ هَاجَرَ، وَعُرِضَ بَعْضُهُمْ عَلَى الْفِتْنَةِ فَافْتُتِنَ، وَشَهِدَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ حَرْبَ الْمُسْلِمِينَ في بدر، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا فاستغفر لهم، فَأَبَى اللَّهُ قَبُولَ مَعْذِرَتَهُمُ الَّتِي اعْتَذَرُوا بِهَا، والَّتِي بَيَّنَهَا فِي قَوْلِهِ خَبَرًا عَنْهُمْ: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[3].

وقراءة الجمهور ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ بفتح التاء، معناها: تقبض أرواحهم، أو تدفعهم للحشر إلى النار[4]، وعبَّر بـ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ أي: تميتهم وتقبض أرواحهم،

---

(١) سورة النساء من الآية (٩٧).

(٢) انظر قراءة النخعي في المحتسب، لابن جني: ١٩٤/١، وتفسير ابن عطيَّة: ٩٩/٢، والبحر المحيط: ٤٠/٤.

(٣) راجع كتب التفسير وعلى رأسها: جامع البيان، للطبري: ١٠٠/٩، وتفسير ابن عطيَّة: ٩٩/٢، ١٠٠.

(٤) انظر المعاني زاد المسير: ٤٥٦/١، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٤٥/٥، دار الكتب المصرية، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ١٩٦/١١، والبحر المحيط: ٤٠/٤، وفتح القدير: ٥٨٢/١ وغيرها.

فَعَدَلَ عَنْ «يَمُوتُونَ» أَوْ «يُتَوَفَّوْنَ» إِلَى ﴿تَوَفَّٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ لِيَكُونَ وَسِيلَةً لِبَيَانِ شَنَاعَةِ فِتْنَتِهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ(١).

و﴿تَوَفَّٰهُمُ﴾ يحتمل أن يكون فعلًا ماضيًا، لم يستند بعلامة تأنيث، إذ إن تأنيث لفظ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ غير حقيقي.

ويحتمل أن يكون فعلًا مضارعًا، أو مستقبلًا وأصله «تتوفَّاهم» فحذف إحدى التاءين(٢).

قال الفراء: «إن شئت جعلت ﴿تَوَفَّٰهُمُ﴾ فِي موضع نصب، ولم تضمر تاء مع التاء، فيكون مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾(٣)، وإن شئت جعلتها رفعًا تريد: إن الذين تتوفَّاهم الملائكة، وكل موضع اجتمع فِيهِ تاءان، جاز فِيهِ إضمار إحداهما»(٤).

وأمَّا قراءة إبراهيم النخعي «تُوَفَّاهُم» بضم التاء، فمعناها يختلف عن معنى ﴿تَوَفَّٰهُمُ﴾ بالفتح، فليست من التوفي بمعناه السابق، وإنَّما هي فعل مضارع من «وَفَّيْتُ»، وَالْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ يُوَفِّي الْمَلَائِكَةَ أَنْفُسَهُمْ فَيَتَوَفَّوْنَهَا، أَيْ: يُمَكِّنُهُمْ مِنَ اسْتِيفَائِهَا فَيَسْتَوْفُونَهَا(٥).

قال أبو الفتح: معنى هذا كقولك: إن الذين يُعَدُّون على الملائكة يُرَدُّون إليهم يحتسبون عليهم، فهو نحو من قولك: إن المال الذي تُوفَّاه أَمَةُ الله؛ أي: يُدفع إليها ويحتسب عليها، كأنَّ كل ملَك جُعل إليه قبض نفس بعض الناس،

---

(١) انظر التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: ١٧٢/٥،الدار التونسيَّة للنشر.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٩٤/٢، ومعاني القرآن، للفراء: ٢٨٤/١، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٣٥/١، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/٥، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٢٨٤/١، والبحر المحيط: ٤٠/٤٠، والدر المصون: ٧٨/٤ وغيرها.

(٣) سورة البقرة من الآية (٧٠).

(٤) معاني القرآن، للفراء: ٢٨٤/١.

(٥) انظر البحر المحيط: ٤٠/٤.

ثم مُكن من ذلك وَوفِّيَه، أو كأنَّ ذلك في بعض الملائكة، فجرى اللفظ على الجميع(١).

ملاحظات:

١- اختلف معنى اللفظة في القراءتين، فهذا من التوفي بمعنى الموت، وقبض الروح، وذاك من «وَفَّيْتُ» بمعنى التمكين، والاستيفاء.

٢- قراءة النخعي شاذة فلم ترد على ألسنة السبعة أو العشرة المتواترة قراءتهم، وقد ذكرها ابن جني في المحتسب.

٣- قراءة النخعي لها وجهٌ صحيحٌ من العربية، إلا أنَّ اللفظة على قراءة الجمهور أوضح وأبين، فهما وإن تقاربتا في المعنى، إلا أنَّ كل واحدةٍ منها من جذر يختلف عن الأخرى.

ب- «نُشْرا» و«نَشْرًا» و«نَشَرا» في مقابل ﴿بُشْرًا﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾(٢).

وفي اللفظة الكريمة ﴿بُشْرًا﴾ جاءت أربع قراءات متواترةً(٣)، حيث قرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بالباء الموحدة المضمومة، وإسكان الشين.

وقرأ ابن عامر بالنون مضمومة وإسكان الشين «نُشْرًا»، وقرأ حمزة، والكسائي بالنون المفتوحة وسكون الشين «نَشْرًا»، وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو بضم النون والشين «نُشُرًا».

وأمَّا النخعي فقد روي عنه أنَّه قرأ «نُشْرًا»، وهي قراءة عبد الله بن عباس، وابن وثاب، وطلحة بن مصرف، والأعمش، ومسروق(٤)، وهذه موافقة لقراءة ابن عامر.

---

(١) المحتسب، لابن جني: ١٩٤/١، وانظر تفسير ابن عطيَّة= المحرر الوجيز: ٩٩/٢، ١٠٠.

(٢) سورة الأعراف من الآية (٥٧).

(٣) انظر السبعة، لابن مجاهد: صـ٢٨٢، والإتحاف: ٥٢/٢ وغيرها.

(٤) انظر البحر: ٧٦/٥، ٧٧، والدر: ٣٤٨/٥.

ونسب إلى النخعي -أيضًا- أنَّه قرأ «نَشْرًا» بفتح النون وسكون الشين، وهي موافقة لقراءة حمزة، والكسائي[1]، ونسب إليه أيضًا أنَّه قرأ بالنون المفتوحة والشين المفتوحة «نَشَرًا»، وهي قراءة أبي رجاء العطاردي، ومسروق، ومؤرق العجلي[2].

التوجيه:

أولًا: قرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بالباء وإسكان الشين والتنوين، جمع بشير، أي: أنَّ الرياح تبشر بالمطر، وشاهده قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾[3]، وأصل الشين الضم، لكن سكنت تخفيفًا، كرُسُلٌ ورُسْلٌ.

قال أبو علي: «وقراءة عاصم: ﴿بُشْرًا﴾ بالباء خفيفة الشين منونة، و ﴿بُشْرًا﴾ جمع بشير، وبُشُر من قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أي تبشّر بالمطر والرحمة، وجمع بشيرًا على بُشُر، ككتاب على كتب»[4].

وقد احتجَّ ابن خالويه لقراءة «بُشُرًا» و﴿بُشْرًا﴾ بضمتين وبضم فإسكان، قال: «من قرأ بالباء، وضم الشين... وهي التي تبشّر بالمطر، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾، والحجة لِمَنْ أسكن الشين: أنَّه كره الجمع بين ضمّتين متواليتيْن فأسكن تخفيفا»[5].

(١) انظر تفسير ابن عطيَّة= المحرر الوجيز: ٤١٢/٢.
(٢) انظر زاد المسير، لابن الجوزي: ١٣١/٢.
(٣) سورة الروم من الآية (٤٦).
(٤) الحجَّة للقراء السبعة: ٣٩/٤.
(٥) الحجَّة في القراءات السبع: صـ١٥٧.

وكذا ذكر ابن عطيَّة[١]، والعكبري[٢]، والقرطبي[٣]، وأبو حيَّان[٤]، وغيرهم.

فالمبشرات: هي الريح التي تهب بالسَّحاب، وتبشِّر بالغيْث، و﴿بُشْرًا﴾ جمع «بشير»، وهي من البشارة.

ويلاحظ هنا أنَّ عاصمًا قرأ ﴿بُشْرًا﴾ جمعًا بإسكان الشين، وهذا الجمع موافق لمنهج التميميين في إسكان ما تتابعت فيه ضمتان، وقد سبق أن قدم البحث أمثلةً لذلك مثل: رُسُل، ورُسْل.

ثانيًا: قراءات النخعي للفظة:

القراءة الأولى: قرأ النخعي «نُشْرًا» مضمومة، وإسكان الشين، وهي قراءة ابن عامر –كما سبق أن وضح البحث– وهي أيضًا مخففة من قراءة الضم «نُشُرًا»، وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو كما سبق، وفي معنى «نُشُرًا» أقوال منها:

١– أنَّها جمع «نَشُور».

قال أبو الفتح: «أما «نُشْرًا» فتخفيف «نُشُرًا» في قراءة العامة، والنُّشُر جمع نَشُور؛ لأنَّها تَنْشُر السحاب وتستدرُّه، والتثقيل أفصح؛ لأنَّه لغة أهل الحجاز، والتخفيف في نحو ذلك لغة لتميم»[٥].

إذًا: فقد اتَّبع النخعي منهج التميميّين في الجمع فأسكن «نُشْرًا»، بينما كانت قراءة العامَّة –ويقصد بهم: نافعًا، وابن كثير، وأبا عمرو– «نُشُرًا» على منهج الحجازيّين، والمعنى واحد.

قال السَّمين: «أن «نُشُرًا» جمع «نَشُور». هذا فيه احتمالان، أحدهما: وهو الأرجح أنَّه بمعنى فاعِل، وفَعول بمعنى فاعِل ينقاس جمعُه على «فُعُل»

(١) انظر تفسير ابن عطيَّة: ٤١٢/٢.
(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٥٧٦/١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي: ٢٧٤٥/٣، طبعة دار الغد العربي.
(٤) البحر المحيط: ٧٧/٥.
(٥) المحتسب: ٢٥٦/١.

كصَبُور، وصُبُر، وشكور، وشُكُر. والثاني: أنه بمعنى مفعول كرَكوب بمعنى مَرْكوب... إلا أن ذلك غيرُ مقيس في المفرد، وفي الجمع، أعني: أنَّه لا ينقاس فَعول بمعنى مفعول...»[(١)].

٢- أنَّها جمع «ناشر» بمعنى: ذات نشر:

قال ابن عطيَّة: «وأما «نُشُرًا» بضم النون والشين فيحتمل أن يكون جمع «ناشر» على النسب أي: ذات نشر من الطي، أو نشور من الحياة،... وأما مثال الأول في قولنا: «نَاشِرٌ ونُشُر» فـ«شَاهِد وشُهُد»، و«نَازِل ونُزُل»، كما قال الشاعر:

أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُل[(٢)]»[(٣)].

وكذا ذكر العكبري: أنَّها جمع «نَشُور» كما أجاز أن تكون جمع «ناشر»[(٤)].

وأمَّا مَنْ قرأ «نُشْرًا» بضم النون وسكون الشين، فإنَّما خفف الشين.

قال العكبري: «ويقرأ بضم النون وإسكان الشين على تخفيف المضموم»[(٥)].

٣- أنَّها من النَّشْر بالفتح:

قال الطبري: «إِذَا قُرِئَتْ بِضَمِّ النُّونِ فَيَنْبَغِي أَنْ تُسَكَّنَ شِينُهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لُغَةً بِمَعْنَى النَّشْرِ بِالْفَتْحِ، وَقَالَ: الْعَرَبُ تَضُمُّ النُّونَ مِنَ النَّشْرِ أَحْيَانًا، وَتَفْتَحُ أَحْيَانًا

(١) الدر المصون: ٣٤٧/٥.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) تفسير ابن عطيَّة= المحرر الوجيز: ٤١٢/٢، ٤١٣،وانظر كذلك معاني القرآن، لأبي جعفر النحَّاس: ٤٤/٣.
(٤) انظر التبيان: ٥٧٥/٢.
(٥) السابق: ٥٧٥/٢.

بِمَعْنَى وَاحِدٍ. قَالَ: فَاخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ فِي ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا فِي لُغَتِهَا فِيهِ. وَكَانَ يَقُولُ: هُوَ نَظِيرُ الْخَسْفِ وَالْخُسْفِ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَضَمِّهَا»(١).

فـ«نُشْرًا» تكون مخففة من «نُشُرًا» إذا كانت جمع «نَشُور»، أو جمع «ناشر»، ويحتمل أن تكون من «النَّشْر» على أنَّ «النُّشْر» لغة في «النَّشْر» مثل: «الخُسْف»، و«الخَسْف».

وكذا ذكر الفرَّاء في «نُشْرًا» النَّشْر من الريح الطيبة اللينة التي تنشر السحاب، فقد قرأ بذلك أصحاب عبد الله(٢).

قال أبو جعفر: «أمَّا الفرَّاء فزعم أنَّها لغة بمعنى النشر، كما يقال: خَسف وخُسف»(٣).

القراءة الثانية: قرأ النخعي «نَشْرًا» بفتح النون وسكون الشين، وهي قراءة ابن عامر، وهو مصدر «نشر» بعد الطيِّ، أو من قولك: «أنشر الله الميِّت فنشر» أي: عاش(٤).

وفي الإتحاف: «قصد واقع موقع الحال بمعنى «ناشرة» أو «منشورة» أو ذات نشر»(٥).

وقيل: «نَشْرً» مصدر مؤكَّد؛ لأنَّ أرسل وأنشر متقاربان(٦).

القراءة الثالثة: قرأ النخعي «نَشَرًا» بفتح النون والشين، فهي اسم هو على النسب.

---

(١) جامع البيان، للطبري: ٢٢/٤٩١.
(٢) معاني القرآن، للفراء: ١/٣٨١.
(٣) معاني القرآن للنحَّاس: ٣/٤٤.
(٤) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٢/٥٧٦، وانظر تفسير ابن عطيَّة: ٢/٤١٣، والدر: ٥/٣٤٧، وفتح القدير: ٢/٢٤٤.
(٥) إتحاف فضلاء البشر، للبنا: ٢/٥٢.
(٦) الدر المصون: ٥/٣٤٨.

قال أبو الفتح: «وفي «نَشَرًا» فعلى حذف المضاف، أي: ذوات نشر، والنَّشَر: أن تنتشر الغنم بالليل فترعى، فهذا على تشبيه السحاب في انتشاره وعمومه من هاهنا ومن هاهنا بالغنم إذا انتشرت للرعي»(١).

وذكر النحَّاس أنَّ مَنْ قرأ «نَشَرا» فإنَّه يذهب إلى أنَّ المعنى: تنشر نشرًا(٢).

وذكر ابن الجوزي تعليقًا لأبي القاسم على قراءة «نَشَرًا» بأنَّ في النَّشَر وجهان:

- **أحدهما:** أن يكون جمعًا للنشور، كما قالوا: عَمود وَعَمد، وإهاب وأهَب.
- **والثاني:** أن يكون جمعًا، واحده ناشر، يجري مجرى قوله: غائب وغَيَبٌ، وحافد وحفد(٣).

ملاحظات:

١- اختلفت قراءة النخعي عن قراءة عاصم في المعنى، حيث جاءت قراءة النخعي من «نَشَر»، وقراءة عاصم من «بشر»، وسبق توضيح المعاني.

والمعنى: أنَّ الله يرسل الرياح ناشرات، أو مبشرات بين يدي المطر.

٢- وافق النخعي في قراءته للفظة «نُشْرًا» بضم النون وإسكان الشين قراءة ابن عامر، وهي قراءة متواترة، وكذا قراءته لها «نَشْرًا» بفتح النون وإسكان الشين، جاءت متواترة أيضًا حيث وافقت قراءة حمزة، والكسائي.

---

(١) المحتسب: ٢٥٦/١، وانظر المحرر الوجيز: ٤١٣/٢.

(٢) معاني القرآن للنحَّاس: ٤٤/٣.

(٣) زاد المسير: ١٣١/٢.

٣- قرأ النخعي «نَشَرًا» وهذه قراءة وصفها ابن عطيَّة بالشذوذ(١)، وذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن، ونسبها لمسروق(٢)، وهي بفتح النون والشين.

٤- لم تختلف «بُشْرا» عن «نُشْرًا» في عدد المقاطع، وإن اختلف المعنى، وجاء المعنى متفقًا بين «نَشْرًا»، و«نَشَرًا» واختلفا في عدد المقاطع، وذلك في حال الوقف.

نَشْرًا	نشـ	را	نَشَرًا	نـ	شَـ	را
مقطعان	ص ح ص	ص ح ح	ثلاثة مقاطع	ص ح	ص ح	ص ح ح

ج- «لِيُبَيِّتُوكَ» مقابل ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾(٣).

حيث قرأ الجمهور ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، وقرأ النخعي(٤) «لِيُبَيِّتُوك»، ونسبت القراءة ليحيى بن وثاب(٥)، كما نسبت للشعبي(٦).

التوجيه:

اختلف العلماء في تأويل قوله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، وهي قراءة الجمهور، فقال بعضهم معناه: ليقيدوك... وعن ابن عباس: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يعني: ليوثقوك،

(١) المحرر الوجيز: ٤١٣/٢.
(٢) مختصر شواذ القرآن: صـ٤٩.
(٣) سورة الأنفال من الآية (٣٠).
(٤) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٤٩٧/١٤، والبحر: ٣٠٩/٥، والدر: ٥٩٦/٥.
(٥) انظر تفسير ابن عطية: ٥٢٩/٤.
(٦) انظر فتح القدير، للشوكاني: ٣٤٦/٢.

وكذا عن مجاهد، وعن قتادة: ليشدوك، وقال آخرون: بل معناه الحبس والسجن، ليُسحروك[١].

قال عطاء: «كان القوم أرادوا أن يحبسوه في بيتٍ ويشدوا عليه بابه، ويلقوا عليه الطعام»[٢].

وقال الفرَّاء: «قال عَمْرو بن هشام: أرى أن تَحبسوهُ فِي بيتٍ وتُطَيِّنُوه عَلَيْهِ وتفتحوا لَهُ كُوَّة وتضيِّقوا عَلَيْهِ حَتَّى يَموت»[٣].

وأمَّا قراءة النخعي «لِيُبَيِّتُوك» من البيات[٤]، أي: يعيش في بيت كما سبق أن ذكرت.

وأرى أنَّه من التبييت، وتَبْيِيتُ العَدُوِّ: هُوَ أَن يُقْصَدَ فِي اللَّيْلِ مِن غَيْرِ أَن يَعْلم، فَيُؤْخَذَ بَغْتَةً، وَهُوَ البَيَاتُ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «**إِذا بُيِّتُّمْ فَقُولُوا: هُمْ لَا يُنْصَرُونَ**»[٥]. وبَيَّتَ فلانٌ بَنِي فلانٍ إذا أَتاهم بَياتًا... وَفِي الْحَدِيثِ: «**أَنه سُئِل عَنْ أَهل الدَّارِ يُبَيَّتُونَ**»[٦]، أَي: يُصابُون لَيْلًا[٧].

وبيتوا هذا العَمَلَ بَياتًا، أي: عملوه ليلًا، قال عبيد بن هلال:

أَتَوْني فلم أرضَ ما بيتوا وكانوا أتوني بشيء نكر[٨][٩]

---

(١) انظر المعاني في جامع البيان، للطبري: ٤٩١/١٣ وما بعدها، وانظر تفسير ابن عطيَّة: ٥٢٩/٤ وغيرهما.

(٢) البحر المحيط: ٣٠٩/٥.

(٣) معاني القرآن، للفراء: ٤٠٨/١.

(٤) انظر البحر: ٣٠٩/٥، وفتح القدير: ٣٤٦/٢، والدر: ٥٩٦/٥.

(٥) ذكر الحديث ابن منظور في اللسان، ولم أقف على تخريجه بعد الرجوع إلى كتب السنة.

(٦) صحيح البخاري باب أهل الدار يبيتون: ٦١/٤.

(٧) لسان العرب «بيت».

(٨) من المتقارب، ولم أقف على تخريجه وهو في العين: ١٣٨/٨.

(٩) العين: ١٣٨/٨.

ويلاحظ الآتي:

١- الكلمتان ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يختلف معناها عن «لِيُبَيِّتُوك»، وإن كانا يفيدان التآمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- قراءة النخعي لم ترد على ألسنة القراء السبعة أو العشرة المتواترة قراءتهم، فهي شاذة.

و- «وَوَصَّى» مقابل ﴿وَقَضَىٰ﴾

في قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[(١)].

قرأ الجمهور ﴿وَقَضَىٰ﴾، بينما قرأ النخعي «وَوَصَّى»، وهي قراءة ابن عبَّاس، وسعيد بن جبير، وميمون، وأبي بن كعب، وهي في مصحف ابن مسعود «وَوَصَّى ربُّك»[(٢)].

المعنى والتوجيه:

﴿وَقَضَىٰ﴾ في الآية الكريمة بمعنى: أمر، وألزم، وأوجب عليكم، وقيل: بمعنى أوصى، وحكم، والخطاب لمحمَّد -ﷺ- يأمره أن لا تعبدوا إلا الله، وهو وإن اختلف ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ فمعنى جميعهم في ذلك واحد.

قرأ الجمهور ﴿وَقَضَىٰ﴾ فعلًا ماضيًا، والضمير في ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ للمؤمنين من أمَّة محمد إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الإسراء من الآية (٢٣).

(٢) نسبت القراءة للنخعي في تفسير ابن عطية: ٤٤٨/٣، والبحر المحيط: ٣٧/٧، ولابن عباس في مختصر الشواذ: صـ٧٩، ومعاني القرآن للفراء: ١٤٦/٢، ولابن مسعود في تفسير السمعاني: ٢٣١/٣، وانظر كذلك جامع البيان، للطبري: ٤١٣/٢٧، ٤١٤.

وأمَّا قراءة النخعي «وَوَصَّى» من التوصية بدلًا من ﴿وَقَضَىٰ﴾، وينبغي أن تحمل ذلك على التفسير؛ لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف.. قال ابن مسعود وأصحابه: يعني «وَصَّى»(١)، وكذا وردت عن مجاهد(٢).

قال الطبري: «وَفِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «وَصَّى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»، حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ... أَعْطَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ مُصْحَفًا، فَقَالَ: هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: قَالَ يَحْيَى: رَأَيْتُ الْمُصْحَفَ عِنْدَ نُصَيْرٍ فِيهِ: «وَوَصَّى رَبُّكَ» يَعْنِي: وَقَضَى رَبُّكَ...»(٣).

كما رُوِي عن مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَانَ الْأَصْلُ «وَوَصَّى رَبُّكَ» فَالْتَصَقَتْ إِحْدَى الْوَاوَيْنِ بِالصَّادِ فقرئ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾...، هَكَذَا رَوَاهُ عَنْهُ الضَّحَّاكُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَهُوَ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ، وَعَبْدِ اللَّهِ(٤).

ويُردّ على هذا بأنَّه كلام لا ينبغي أن يقال مثله في كتاب الله –عزَّ وجلَّ– فالله –تبارك وتعالى– تولَّى حفظه، إنَّما يمكن أن يقال: إنَّها قراءة مروية بسند.

وضعَّف أبو حاتم أن يكون ابن عباس قال ذلك، وقال: لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا(٥).

وقال الرازي: «وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ بَعِيدٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُ يَفْتَحُ بَابَ أَنَّ التَّحْرِيفَ وَالتَّغْيِيرَ قَدْ تَطَرَّقَ إِلَى الْقُرْآنِ، وَلَوْ جَوَّزْنَا ذَلِكَ لَارْتَفَعَ الْأَمَانُ عَنِ الْقُرْآنِ»(٦).

---

(١) انظر البحر المحيط: ٣٣/٧.
(٢) انظر جامع البيان: ٤١٤/٧.
(٣) السابق: ٤١٣/٧، ٤١٤.
(٤) انظر جامع البيان: ٤١٤/٧، وتفسير ابن عطيَّة: ٤٤٨/٣، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٣٢١/٢٠، وانظر زاد المسير: ١٧/٣.
(٥) تفسير ابن عطيَّة: ٤٤٨/٣.
(٦) مفاتيح الغيب: ٣٢١/٢٠.

ملاحظات:

١- قراءة النخعي يمكن أن تُعَدَّ تفسيريَّة بأن «قَضَى» بمعنى: «أوصى»، حيث إنَّها مخالفة لما عليه القرَّاء المتواترة قراءتهم، فهي قراءة شاذَّة، ذكر في مختصر ابن خالويه، فالمعروف هو «قضى» باتفاق.

٢- تعدَّدت الآراء في لفظ ﴿وَقَضَىٰ﴾، وهي قراءة الجمهور، حيث اختلف في ذلك أهل التأويل، إلا أنَّ المعاني متقاربة.

٣- ينبغي البُعد عن كل ما يؤدي إلى الطعن في كتاب الله عزَّ وجلَّ.

د-«أَهُس» مقابل «أَهُش»

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾[١].

سبق أن تعرَّض البحث لقراءة الجمهور «أَهُشُّ» بفتح الهمزة وضم الشين، وقراءة النخعي «أَهِشُّ» بفتح الهمزة وكسر الشين، و«أُهِشُّ» بضم الهمزة وكسر الشين، وكذا «أُهُشُّ» بضم الهمزة والشين.

وهنا أذكر نسبة «أَهِسُّ» بالسين للنخعي، فقد ذكر أبو حيان عن ابن خالويه أنه قرأ: «أُهِسُّ» بضم الهمزة من «أهس» رباعيًّا[٢].

بينما ذكر الشوكاني أنَّه قرأ «أَهُسُّ» بفتح الهمزة وضم الهاء والسين المهملة[٣].

وهنا نحن أمام قراءتين: إحداهما: من «أَهَسَّ» رباعيًّا، والثانية من «هَسَّ»، وقد رجعت إلى مختصر شواذ القرآن، فلم أجد إلا «أَهُسُّ» من «هسَّ»، وهي منسوبة لعكرمة، وكذا ذكرها ابن جني، وابن عطيَّة «أَهُس» من «هسَّ» الثلاثي منسوبة لعكرمة أيضًا[٤].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية (٥٠).

(٢) البحر المحيط: ٣٢٢/٧.

(٣) انظر فتح القدير: ٤٢٧/٣.

(٤) انظر مختصر شواذ القرآن: صـ٩٠، والمحتسب: ٥/٢، والمحرر الوجيز: ٤١/٤.

فلعلَّه سبق وقع فيه أبو حيَّان، وأنَّ «أهس» بمعنى «هسَّ».

التوجيه:

سبق أن قدَّم البحث معنى كلمة «أَهُشُّ» على قراءة الجمهور، وأنَّ معناها: خيط الشجر فيسقط منه الورق فتأكله الغنم.

وقراءة النخعي «أَهُسُّ» يختلف معناها عن معنى «أَهُشُّ»، فالهسُّ معناه: سوق الغنم(١).

قال ابن جني: «وأما «أهُسُّ» بالسين غير المعجمة فمعناه أسوق: رجلٌ هَسَّاسٌ. أي: سواق. فإن قلت: فكيف قال: «أهسُّ بها على غنمي»؟، وهلا قال: «أهسُّ بها غنمي». كقولك: أسوق بها غنمي، قيل: لما دَخَلَ السَّوقَ معنى الانتحاءِ لها، والميل بها عليها، استعمل معها «على»؛ حملًا على المعنى»(٢).

وقال ابن عطيَّة: «قرأ الجمهور «وأَهُشُّ» بضم الهاء والشين المنقوطة، ومعناه: أخبط بها الشجر حتى ينتثر بها الورق للغنم،... وقرأ عكرمة مولى ابن عباس «وأهُسُّ» بضم الهاء والسين غير المنقوطة ومعناه: أزجر وأخوف»(٣).

وقيل: «أهُشُّ»، و«أهُسُّ» لغتان بمعنى(٤).

والصواب: أنَّهما بمعنيين مختلفين، وكل واحدة منها أصل مستقل بذاته، وقد رجعت إلى كتب اللغة فلم أجدهما بمعنى واحدٍ.

ويلاحظ أنَّ لقراءة النخعي وجه صحيح من العربيَّة، إلا أنَّها شاذَّة، فلم تأت على ألسنة السبعة، أو العشرة المتواترة قراءتهم.

---

(١) راجع اللسان مادتي «هسس، هس»، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٧/١١ وغيرهما.

(٢) المحتسب: ٥١/٢.

(٣) تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز: ٤١/١.

(٤) انظر فتح القدير: ٤٢٧/٣، وروح المعاني: ٤٠٩/٨.

هـ_«صَوَافِن» مقابل ﴿صَوَآفَّ﴾

وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾(١).

قرأ الجمهور ﴿صَوَآفَّ﴾ بفتح الفاء وشدها(٢)، وقرأ النخعي «صَوَافِن» وهي قراءة ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، والأعمش، وأبي جعفر محمد بن علي(٣).

التوجيه:

الحديث في الآية الكريمة عن الهدي الذي يقمه المسلم، قربةً لله – سبحانه– وأنَّه من شعائر الله –ﷻ– ومن مناسك الحج، وأنَّ المسلم يجازى على ما قدَّم منها خيرًا، وبين الحق وجوب ذكره عند القيام بنحرها، وذكر الحال التي تنحر عليها.

قرأ الجمهور ﴿صَوَآفَّ﴾ بفتح الفاء وشدِّها جمع «صافة» أي: تنحر حال كونها صواف، أي: مصطفة في قيامها، فتصف قوائمها؛ لأنَّها تنحر قائمة معقولة(٤).

قال العكبري: «﴿صَوَآفَّ﴾: بعضها إلى جانب بعض»(٥).

أمَّا قراءة النخعي «صَوَافِن» بالنون، جمع «صافنة»، وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل؛ لئلا تضطرب، وهي أن تقام على ثلاث قوائم وتعقل يده

(١) سورة الحج من الآية (٣٦).
(٢) انظر تفسير ابن عطيَّة: ١٢٢/٤، وفتح القدير: ٢٣٧/٣.
(٣) نسب ابن جني وحده ذلك للنخعي في المحتسب: ٨١/٢، وانظر نسبته القراء لغيره، وكذا تفسير ابن عطية، وفتح القدير، والبحر المحيط: ٥٠٩/٥.
(٤) انظر المراجع السابقة.
(٥) التبيان: ٩٤٢/٢.

اليسرى، وقيل: «صوافن» واحدة صافن، وهو الذي يقوم على ثلاث وعلى سنبك الرابعة، وذلك يكون إذا اعتقلت البدنة(١).

قال أبو الفتح: «هي «الصافنات» في قول الله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾(٢)، إلا أنَّها استعملت هنا في الإبل. والصافن: الرافع إحدى رجلَيْه، واعتماده منها على سنبكها. قال عمرو بن كلثوم:

تَرَكْنَا الْخَيْلَ عاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا(٣)(٤)

يلاحظ الآتي:

١- أدَّى اختلاف القراءة إلى اختلاف المعنى، فقراءة الجمهور ﴿صَوَافَّ﴾ أي: مصطفة بعضها بجانب بعضٍ، وقراءة النخعي «صوافن» جمع «صافن»، وهو البعير الذي يقوم على ثلاثة ورفعت إحدى يديْه للعقل.

٢- قراءة النخعي وردت في المحتسب، وهي من القراءات الشاذَّة، فلم ترد على ألسنة المتواتر قراءتهم من القراء السبعة، أو العشرة.

---

(١) انظر التبيان: ٩٤٢/٢، وكذا تفسير ابن عطية: ١٢٢/٤، وفتح القدير: ٢٣٧/٣، وزاد المسير: ٢٣٨/٣.

(٢) سورة ص من الآية (٣١).

(٣) من البسيط، لعمرو بن كلثوم، المحتسب: ٨١/٢، وشرح المعلقات السبع، للزوزني: صـ١٢٥، وتفسير ابن عطية: ١٢٢/٤، وفتح القدير: ٢٣٧/٣.

(٤) المحتسب: ٨١/٢.

المطلب الثاني

اختلاف المعنى للإدراج أو الزيادة أو النقص

١ -إدراج لفظ متتابعات لتوضيح الحكم أو تأييد الرأي

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾[(١)].

قرأ الجمهور: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾، وقرأ النخعي: «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ذَلِكَ»، وكذا قرأ أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود[(٢)].

المعنى والتوجيه:

في الآية الكريمة يبيّن الله -تبارك وتعالى- أنَّه لا يؤاخذ الحالف على يمينه غير المنعقدة، وذهب الجمهور من الصحابة إلى أنَّها قول الرجل: لا والله، وبلى والله في كلامه، ولا تجب عليه فيها كفارة، ثمَّ بيَّن حكم اليمين المنعقدة، والتي تجب فيها كفارة على الحالف إذا حنث، أي: أنَّه يؤاخذكم بأيمانكم المنعقدة الموثقة بالقصد والنيَّة، وضح الحق لنا أنَّ الكفارة تكون بإطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد شيئًا من الأمور المذكورة، فكفارته صيام ثلاثة أيَّام[(٣)].

---

(١) سورة المائدة من الآية (٨٩).

(٢) نسبت للثلاثة في جامع البيان: ٥٦٠/٢٠، ٥٦٣، والمحرر الوجيز: ٣٣٢/٢، وأبو حيان في البحر: ٣٥٥/٤، وانظر النكت والعيون: ٦٣/٢، ولأبي وابن مسعود السمعاني في تفسيره: ٦١/٢، والزمخشري في الكشاف: ١٤١/١، وابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨١/١، ولابن مسعود القرطبي في تفسيره: ٢٣٧٤/٣.

(٣) انظر فتح القدير: ٨٣/٢، ٨٤.

وقراءة الجمهور ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ دون ذكر لفظ «متتابعات»، وعلى هذا اختلف العلماء في صفة الصوم الذي أوجبه الله في كفارة اليمين من ناحية التتابع وعدمه، يعني: المواصلة بين الأيَّام الثلاثة، أو إفرادها.

فذهب الإمام مالك –رحمه الله– وغيره: إن تابع فحسن، وإن فرَّق أجزأ(١).

وقال أبو جعفر: أَخْبَرَنَا أَشْهَبُ، قَالَ: قَالَ مَالِكٌ: «كُلُّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الصِّيَامِ، فَأَنْ يُصَامَ تِبَاعًا أَعْجَبُ، فَإِنْ فَرَّقَهَا رَجَوْتُ أَنْ تُجْزِئَ»(٢).

وهذا أيضًا أحد قولي الشافعي(٣).

وقال أبو جعفر: «وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ –تَعَالَى ذكره– أَوْجَبَ مَنْ لَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ، إِذَا لَمْ يَجِدْ إِلَى تَكْفِيرِهَا بِالْإِطْعَامِ، أَوِ الْكِسْوَةِ، أَوِ الْعِتْقِ سَبِيلًا، أَنْ يُكَفِّرَهَا بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَشْرِطْ فِي ذَلِكَ مُتَتَابِعَةً، فَكَيْفَمَا صَامَهُنَّ الْمُكَفِّرُ مُفَرَّقَةً وَمُتَتَابِعَةً أَجْزَأَهُ،... غَيْرَ أَنِّي أَخْتَارُ لِلصَّائِمِ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ أَنْ يُتَابِعَ بَيْنَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ وَلَا يُفَرِّقُ»(٤).

وأمَّا قراءة النخعي، وأبي، وابن مسعود بإدراج «متتابعات» فتعني: لزوم التتابع وإيجابه، وبه قال أبو حنيفة، والنووي، وهو أحد قولي الشافعي(٥).

وقال الزمخشري: «متتابعات عند أبي حنيفة، تمسكًا بقراءة أبيّ، وابن مسعود رضى الله عنهما»(٦).

---

(١) انظر المحرر الوجيز: ٣٣٢/٢، وتفسير السمعاني: ٦١/٢.

(٢) جامع البيان: ٥٦٣/٢٠.

(٣) انظر زاد المسير: ٥٨/١، وفتح القدير: ٨٢/٢.

(٤) جامع البيان: ٥٦٣/٢٠.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٣٧٤/٣، وفتح القدير: ٨٣/٢، وانظر المعنى في زاد المسير: ٥٨/١.

(٦) الكشاف، للزمخشري: ١٤١/١.

وردَّ الطبري ذلك بقوله: «وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ أُبَيٍّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ قِرَاءَتِهِمَا: «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ»، فَذَلِكَ خِلَافُ مَا فِي مَصَاحِفِنَا، وَغَيْرُ جَائِزٍ لَنَا أَنْ نَشْهَدَ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِي مَصَاحِفِنَا مِنَ الْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»(١).

ويلاحظ الآتي:

١- ترتبت على قراءة النخعي لزوم وإيجاب التتابع في الصيام، وذلك إذا لم يجد سبيلًا إلى التكفير عن يمينه بالإطعام، أو الكسوة، أو العتق، وأمَّا قراءة الجمهور فليس فيها إلزام بالتتابع.

٢- قراءة النخعي جاءت مخالفة لسواد المصحف، ورسمه بهذا الإدراج، وهي قراءة شاذة؛ لخروجها عن القراءات السبع، أو العشر المتواترة.

٢- الزيادة

أ-زيادة (أل) للتعريف

«لِلذِّكْرِ» مقابل ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾(٢).

حيث قرأ الجمهور ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ وقرأ النخعي، والسمي، وأبو رجاء «للذكري» بلام التعريف وألف التأنيث(٣).

التوجيه:

قراءة الجمهور ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ تحتمل عدَّة معانٍ أهمها:

---

(١) جامع البيان: ٥٦٣/٢٠.

(٢) سورة طه من الآية (١٤).

(٣) انظر البحر: ٣١٨/٧، والدر المصون: ١٩/٨، وروح المعاني: ٤٨٦/٨، وفي مختصر الشواذ: صـ٩٠ النبي -صلى الله عليه وسلم- أبو عبد الرحمن، وفي الكشاف: ٥٣٢/٢، وقرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «للذكرى» وغير منسوبة في معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ٣٥٢/٣، وتفسير ابن عطية: ٢٩/٤، وزاد المسير: ١٥٤/٢.

- **الأول:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ أي: لأن تَـذْكُرَني لأن الصـلَاةَ لا تكونُ إلا بذكر اللَّه.
- **الثاني:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ متى ذَكَرْتَ أنَّ عليك صلاةً كنتَ في وقتها، أو لـم تكـن؛ لأنَّ اللَّه عـزَّ وجـلَّ لا يؤاخـذُنا إن نسـينا، مـا لـم نَتعمَّـدْ الأشياء التي تَشْغَلُ وتُلْهِي عن الصلاة(١).
- **الثالث:** أقم الصلاة لأذكرك في عليّين بها(٢).
- **الرابع:** لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها(٣).

إذًا: فالمصدر الذي هو الذكر يحتمل الإضافة إلى الفاعل، أو الإضافة إلى المفعول حسب المعنى المقصود.

قـال العكبـري: «﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ مَصْـدَرُ مُضَـافٌ لِلْمَفْعُـولِ. وَقِيـلَ: إِلَـى الْفَاعِلِ، أَيْ: لِذِكْرِي إِيَّاكَ، أَوْ إِيَّاهَا»(٤).

وأمَّا قراءة النخعي «للذكر» بِلَامِ التَّعْرِيفِ وَأَلِفِ التَّأْنِيثِ، معناه: في وقت ذكرك(٥)، أي: ساعة الذكر لها، فَالذِّكْر بِمَعْنَى التَّذْكِرَةِ، أَيْ: لِتَذْكِيرِي إِيَّاكَ إِذَا ذَكَّرْتُكَ بَعْدَ نِسْيَانِكَ فَأَقِمْهَا(٦).

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٣٥٢/٣ المعنى الأول والثاني، وكذا تفسير ابن عطية: ٢٩/٢، وزاد المسير: ١٥٤/٢.
(٢) انظر المعنى في المحرر الوجيز، لابن عطيَّة: ٢٩/٤، وفتح القدير: ٤٥٤/٢، وإعراب القرآن، للنحَّاس: ٢٤/٣ وغيرها.
(٣) انظر الكشاف، للزمخشري: ٥٣٢/٢.
(٤) التبيان في إعراب القرآن: ٨٧٧/٢.
(٥) معاني القرآن، للزجَّاج: ٣٥٢/٣.
(٦) البحر المحيط: ٣١٨/٧.

ملاحظات:

١- أضافت قراءة النخعي معنًى جديدًا هو إقامة الصلاة متى ذكر الله الإنسان بها، أو ساعة الذكر لها، فمتى سمع الإنسان الأذان فقد ذُكِّر بها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾.

٢- خالفت قراءة النخعي ما عليه الجمهور بأن زيد فيها لام التعريف، وهي قراءة شاذة.

٣- أثرت القراءة على مقاطع الكلمة، فجاءت مخالفة لقراءة الجمهور في نوع المقطع الأول ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾.

لذكري	لـ	ذكـ	ري	للذكرى	لذ	ذكـ	رى
	ص ح	ص ح ص	ص ح ح		ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح

٤-النقص:

أ-«وَلِوَلَدَيَّ» مقابل ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾

وذلك في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾[1].

قرأ جمهور القرَّاء ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ بألف بعد الواو، وقرأ النخعي: «وَلِوَلَدَيَّ» بغير ألف وبفتح اللام، وكذا قرأ ابن مسعود وأبي، والزهري، والحسن بن علي[2].

(١) سورة إبراهيم من الآية (٤١).

(٢) نسب القراءة للنخعي، والحسين بن علي، والزهري، ابن جني في المحتسب: ٣٦٥/١، ولابن مسعود، وأبي، والنخعي، والزهري، ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٧/٢، وللنخعي، ويحيى بن يعمر، الماوردي في النكت والعيون: ٣٩/٣، وتفسير السمعاني: ١٢١/٣، وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن: ٥٣٧/٣، وللنخعي وحده في البحر: ٤٥١/٦، وفتح القدير: ١٣٦/٣، وانظر كذلك روح المعاني، للألوسي: ٢٢٩/٧.

التوجيه:

في قراءة الجمهور ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ طلب ودعاء من إبراهيم –عليه السلام– أن يغفر الله له ولوالديه وللمؤمنين ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ أي: يقوم الناس للحساب.

فإن قيل: كيف استغفر لوالديْه، ولم يكن أبوه مؤمنًا؟

فالجواب: فيه ثلاثة أوجه:

- **أحدها:** أنَّه استغفرَ لأبويه وهما حيّان؛ طمعًا في أن يُهْدَيا إلى الإسلام، أو طمعًا في إيمانهما، فاستغفر لهما بشرط أن يسلما.
- **ثانيها:** أنَّه استغفر لهما قبل أن يتبيَّن عنده أنَّ أباه عدوٌّ لله، ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة؛ لأنَّ الله ذكر عذره في استغفار أبيه دون أمِّه(١).
- **الثالث:** قيل أراد بأبويه آدم وحواء، وقد روي أنَّ العبد إذا قال: اللهم اغفر لي ولِوَالِدَيَّ وكان أبواه كافريْن، انصرفت المغفرة لآدم وحواء(٢).

وقيل: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ يعني: نوح، وأم إبراهيم، وفسر السمعاني عن الدمياطي أنَّ قوله: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ أي: لِوَلَدَيَّ حيث يجوز في اللغة أن يذكر الوالد بمعنى المولود(٣).

أمَّا قراءة النخعي «وَلِوَلَدَيَّ» بغير ألف وبفتح اللام تثنية «ولد»، يعني: ابنيْه(٤): إسماعيل، وإسحاق(٥)، ويدل عليه ذكرهما قبل ذلك في قوله تعالى:

---

(١) انظر تفسير ابن عطية: ٣٤٣/٣، وزاد المسير: ٥١٧/٢، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٣٧٥/٩.

(٢) انظر السابق، والنص من تفسير القرطبي: ٣٧٥/٩.

(٣) تفسير السمعاني: ١٢١/٣، ١٢٢.

(٤) تفسير الماوردي= النكت والعيون: ١٣٩/٣، ومعاني القرآن، للنحَّاس: ٥٣٧/٣.

(٥) انظر زاد المسير: ٥١٧/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٥٣٧/٥، وفتح القدير: ١٣٦/٣ وغيرها.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾[1].

قال الزجَّاج: «وهذه القراءة ليست بشيءٍ؛ لأنَّها خلاف ما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات»[2].

ملاحظات:

١- اختلفت قراءة النخعي عن قراءة الجمهور من ناحية المعنى، كما هو واضح من العرض السابق.

٢- تُعَدُّ قراءة النخعي شاذة، فلم ترد على ألسنة القراء المتواترة قراءتهم، وذكرت في المحتسب، ومختصر شواذ القرآن[3].

٣- لقراءة النخعي وجه صحيح من العربية، وإن جاءت مخالفة لما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات.

ج_«وَلِوَلَدَيَّ» مقابل ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾

في قول الله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾[4].

حيث قرأ الجمهور ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ بألف بعد الواو على تثنية والد[5] نوح – عليه السلام– أن يغفر الله له، ولوالديْه، وكانا مؤمنين وهما: أبوه لمك بن متوشلخ، وأمه شمخاء بنت أنوش، وأهل بيته[6].

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج: ١٦٥/٣.

(٣) انظر مختصر شواذ القرآن: صـ٧٣.

(٤) سورة نوح من الآية (٢٨).

(٥) انظر تفسير ابن عطية: ٣٧٧/٥، والبحر: ٢٨٨/١٠، والدر: ٤٧٨/١٠.

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٣١٣/١٨، ومفاتيح الغيب: ٦٦٠/٣٠، والبحر: ٢٨٨/١٠.

وقرأ النخعي وكذا ابن مسعود، وأبو العالية، ويحيى بن يعمر، والزهري: «وَلِوَلَدَيَّ»[1] بغير ألف وفتح اللام تثنية «ولد»، ويعني: ابنيْه ساما وحاما، وبيته[2].

وذكر ابن الجوزي: أنها من غير ألف التثنية، لكن أرى أنه وقع في سبق.

ويلاحظ أن:

١- القراءة الأولى، وهي قراءة الجمهور «وَلِوَلَدَيَّ» أنه دعا لنفسه، ووالديْه، وبيته، وفي قراءة النخعي «وَلِوَلَدَيَّ» دعا لنفسه، ولابنيْه، وبيته[3]، فهناك فرق في المعنى بين: ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ التي عليها الجمهور، وبين «وَلِوَلَدَيَّ» التي عليها النخعي.

٢- قراءة النخعي ذكرت ضمن القراءات الشاذة، ونسبت له في مختصر شواذ القرآن.

٣- اختلف نوع المقطع الثالث في قراءة الجمهور عنه في قراءة النخعي، حيث جاء متوسط مفتوح في قراءة الجمهور، قصير مفتوح من النوع الأول في قراءة النخعي.

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي: ٣٤٥/٤، ونسبت لابن يعمر، والجحدري، والنخعي في تفسير ابن عطية: ٣٧٧/٥، وللنخعي، والحسن بن علي، والزهري، وابن يعمر في البحر: ٢٨٩/١٠، وكذا في الدر المصون: ٤٧٨/١٠، وللحسين بن علي، والنخعي، والزهري في مختصر شواذ القرآن: صـ١٦٣.

(٢) انظر مفاتيح الغيب: ٦٦٠/٣٠، والبحر المحيط: ٢٨٩/١٠، والدر المصون: ٤٧٨/١٠.

(٣) انظر زاد المسير: ٣٤٥/٤.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة على نبيه المصطفى سيِّد الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين.

وبعد:

فقد تمَّ –بحمد الله وعونه وتوفيقه– هذا البحث، والذي كان من أهم نتائجه ما يلي:

١– تناول البحث قراءة أحد أعلام القرَّاء والتابعين، والذي أخذ القراءة من أوائلهم، كما التقى ببعض صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، المولود سنة ست وأربعين للهجرة النبويَّة الشريفة، والمتوفى سنة ست وتسعين للهجرة، وقد قمتُ بجمع قراءاته للقرآن المتواتر منها، والشاذ، وبلغ ما جمعته نحو عشرين ومائة قراءة، قمت بتوجيهها، وتوجيه ما يقابلها من المتواتر، وقام التوجيه وفقًا لمستوياتٍ لغويَّةٍ أربعةٍ: صوتيَّة، وصرفيَّة، ونحويَّة، ودلاليَّة، وكان نصيب التوجيه الصوتي لهذه القراءات ثلاثًا وثلاثين قراءة، والتوجيه الصرفي إحدى وعشرين، والتوجيه النحوي تسعًا وعشرين، والدلالي سبع عشرة قراءة.

٢– قسَّمتُ البحث وفقًا للمستويات السابقة إلى مباحث، وفيما يلي ملخص ما قيل:

- **المبحث الأول:** التوجيه الصوتي لقراءة النخعي، وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب، هي:
- **المطلب الأول:** الإبدال بين الحركات، تناول هذا المطلب توجيه عددٍ من القراءات بلغت ثماني قراءات شاذة، وخمسًا متواترة:

١– «تَنْقَمُون» بفتح القاف مقابل «تَنْقِمُون» بكسرها، وهي قراءة الجمهور، وهما لغتان، «تنقِمُون» من «نَقَم» بالفتح في الماضي،

والكسر في المضارع، ونقل العلماء على أنَّها الجيِّدة، ولم أقف على عزوٍ لأيٍّ منهما.

٢- «تَحْرَص» بالفتح مقابل «تَحْرِص» بكسر الراء، وصُنِّفت القراءة الثانية بالجيِّدة، أو العالية، وهي ما عليه جمهور القرَّاء، بينما وُصِفت الأولى بأنَّها «لُغَيَّة»، كما وُصِفَت بالرواة، ونسبت اللغة «تَحْرِص» بالكسر للراء لأهل الحجاز، ولم أجد عزوًا لـ«تَحْرَص» بفتح الراء.

٣- «نِسْتَعِين» بكسر النون، أو حرف المضارعة مقابل «نَسْتَعِين» عند الجمهور، وقد عُزِيت الأولى لتميمٍ، وقيسٍ، وأسد، وعامة العرب، بينما نُسِبَت الثانية لقريشٍ، أو الحجازيِّين.

٤- «حَوْبا» بفتح الحاء مقابل «حُوبا» بضمها عند الجمهور، وقد عُزِيت «حَوْبا» بالفتح لتميمٍ، بينما عُزِيَ النطق بالضم لأهل الحجاز، وعليها جمهور االقرَّاء، وقد مثل النخعي في ذلك البيئة التميميَّة.

٥- ٦- «أهش» عند الجمهور والجميع بمعنًى واحد، لكن لم أجد عزوًا لأيٍّ منها.

٧- «يُونَس» بفتح النون مقابل «يُونُس» بضمها، وهو اسم نبي، نُسِب النطق بالضمِّ لأهل الحجاز، وفتح النون -وهو ما عليه النخعي- نُسِب لبعض بنى عقيل، وهو في هذا يمثل البيئة البدويَّة.

٨- «القَيَّام» مقابل «القَيُّوم» عند الجمهور، واجتهدت في نسبة النطق بالياء للحجازيِّين، حيث قرأ ذلك عددٌ من الصحابة، كعثمان، وعمر، وابن مسعودٍ، وأيَّد ذلك القراء في «الفيعال» لأهل الحجاز، بينما نُسِب النطق بالواو لتميم، وهنا خلاف البيئة البدويَّة إلى اختيار ما عليه الحجازيون.

٩- «مَقَام» بفتح الميم الأولى مقابل (مُقَام) بالضمِّ، وافق النخعي في قراءته بالفتح القرَّاء السبعة، ما عدا حفص عن عاصم، ورجَّح البحث أن يكونا بمعنًى واحدٍ، وأمَّا «مُقَام» من «أقام» رباعيًّا، و«مَقَام» من «قام» ثلاثيًّا مصدرًا كان، أو اسم موضع.

١٠، ١١- «السَّدَّيْن»، في الكهف، وَ«سَدًّا» في يس بالفتح مقابل الضم للسين، ووافق النخعي في قراءته للسين بالفتح قراءة حفص عن عاصم، وابن كثير، وأبى عمرو، ورجَّح البحث أن يكونا لغتين.

١٢- «يَصُدُّون» بضم الصاد مقابل «يَصِدُّون» بكسر الصاد عند الجمهور، وقد وافقت قراءة النخعي بضم الصاد قراءة ابن عامر، ونافع، والكسائي من السبعة.

١٣- «الرُّجْز» بضم الراء مقابل «الرِّجز» بكسر الراء، وافق النخعي في قراءته جمهور القرَّاء، ما عدا حفص عن عاصم، فقد قرأ بالضم، وقد خالف في ذلك البيئة التميميَّة، فقد نُسِب الكسر لهم، بينما نُسِب الضم لأهل الحجاز.

المطلب الثاني: السكون والحركة، وفيه خمس قراءات؛ منها أربعة شاذة، وواحدة متواترة، وهم:

١- «رَغْدًا» بالإسكان للعين مقابل «رَغَدًا» بالفتح، وقد تبع النهج التميمي حيث نسب السكون لتميم.

٢- «أمْنة» بإسكان الميم مقابل «أَمَنة»، وقد ذُكِرَ أنَّهما مصدران بمعنى واحدٍ، ولم يُعْزَ نطقه إلى قبيلةٍ.

٣- «نُزْلًا» بسكون الزاي مقابل «نُزُلًا» بضمها، ونُسِب الإسكان لأهل الحجاز، والتثقيل بالضم لتميمٍ.

٤- «حُرْم» مقابل «حُرُم» بضم الراء، ونُسِب الإسكان لتميمٍ، وقد وافق البيئة البدويَّة في ذلك.

٥- «نَحْسات» بإسكان الحاء مقابل «نَحِسَات» بالكسر، وقد وافقت قراءة الحرميين والبصريين فهي متواترة.

- **المطلب الثالث:** الإتباع الحركي، وفيه ثلاث قراءاتٍ، هي:

١- «يعلَم الله» بفتح اللام مقابل «يعلِم الله» بكسر الميم.

٢- «خِمْسَه» بكسر الخاء مقابل «خُمُسَه» عند الجمهور.

٣- «حِير عين» مقابل «حُورٌ عينٌ»)، وهذا الإتباع الحركي تميل إليه القبائل البدويَّة.

- **المطلب الرابع:** الحذف مقابل الزيادة، وفيه تسع قراءات شاذة، وقراءتين متواترتين، وهي كالآتي:

١- «الحواريُون» بتخفيف الياء مقابل «الحواريُّون» بالتشديد، وأعتقد أنَّ التخفيف ممَّا يميل إليه البدو، وكان النخعي يميل إليه.

٢- «رُبع» مقابل «رُباع» عند الجمهور، وهما بمعنًى، ومال النخعي إلى التخفيف.

٣- «سِلْم» بكسر السين وحذف الألف مقابل «سَلَام» بألف وفتح السين، و«سلام» هي لغة عامة العرب، وعلى رأسهم أهل الحجاز، بينما «سِلْم» يمكن نسبتها إلى تميمٍ، وقراءة النخعي متواترةٌ موافقةٌ لما قرأ به حمزة، والكسائي.

٤- «صعقة» مقابل «صاعقة» عند الجمهور، وقراءة النخعي على وجه التخفيف.

٥، ٦- «فعقَبتم»، «فعقِبتم» بفتح القاف وكسرها مقابل «فَعَاقَبْتم» بألف بعد العين، وقراءة الجمهور تتَّفق مع منهج الحجازيِّين الذين يميلون إلى التأني في الأداء، وأمَّا قراءة النخعي فتتَّفق مع منهج البدو، وخاصةً تميم.

٧- «طيف» مقابل «طائف» عند الجمهور، والمعنى واحد.

٨- «نَخِرة» مقابل «نَاخِرَة»، وهما متواترتان، حيث وافقت قراءة النخعي قراءة ابن كثيرٍ، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وفى التخفيف مقابل التضعيف جاءت «فَرَقُوا» مقابل «فرَّقوا»، و«يضِرْكُم» مقابل «يَضرَّكم»، و«أنبئكم» مقابل «أنبِّئكم».

- **المبحث الثاني:** التوجيه الصرفي لقراءة النخعي، وفيه أربعة مطالب:
- **المطلب الأول:** الفعل الماضي وما يقابله، وفيه «حَرُمَ» مقابل «حُرِّم»، و«أُدْخِلُوا» ماضي مبني للمفعول، مقابل أمر «ادخلوا» عند الجمهور، و«تلاقوه» مقابل «تُلقوه»، و«عُبُدُ» مقابل «عَبَدَ».
- **المطلب الثالث:** الاشتقاق، وفيه أربعة قراءات، وهي اسم فاعل مقابل المصدر، وفيه:

١- «مُجرِيها، ومُرْسِيها» مقابل «مَجَراها ومُرساها».

٢- «خاتمه مسك» مقابل «ختامه مسك».

مصدر مقابل مصدر «مُتجنف» مقابل «متجانف».

مصدر مقابل هيئة: «شَرْعَة» مقابل «شِرْعَة».

- **المطلب الرابع:** اختلاف صيغ الجمع، وفيه قرأ النخعي «سكرى» مقابل «سكارى» وهى شاذة.
- **المطلب الخامس:** الإفراد مقابل الجمع والعكس، وفيه قراءات للنخعي كلها شاذة، ما عدا واحدة؛ فقد قرأ:

١- «هم درجة» مقابل «هم درجات».

٢- «وفي المضجع» مقابل «في المضاجع».

٣- «مسكنهم» مقابل «مساكنهم» وقراءته وافقت بالإفراد قراءة حمزة، وحفص عن عاصم.

٤- قرأ «صُدْقتهن» مقابل «صَدُقاتهن».

٥- قرأ «اللاتي جعل الله لكم قيامًا» مقابل «التي جعل الله لكم قيامًا».

٦، ٧- قرأ «سُرْجا وقُمْرًا» مقابل «سِراجًا وَقَمَرًا».

- **المبحث الثالث:** التوجيه النحوي لقراءة النخعي، واشتمل على تسعٍ وعشرين قراءة موزعة على المطالب كالتالي:
- **المطلب الأول:** قراءة واحدة شاذة وهى «أَفَحُكْمُ» مقابل «أَفَحُكْمَ» عند الجمهور، وقد وُصِفَت قراءته بالضعف، أو أنَّها تُحْفظ ولا يُقَاس عليها.
- **وفي المطلب الثاني:** ثلاث قراءات، هي:

١- «بل عجبتُ» بضم التاء مقابل فتحها عند الجمهور، وهذه القراءة متواترةٌ، حيث وافقت قراءة النخعي قراءة حمزة، والكسائي.

٢- «ولم يكن» في مقابل «ولم تكن» عند الجمهور، وقراءته شاذة لم تُرْوَ عن أحدٍ من السبعة.

٣- «وكلم اللهَ موسى» في مقابل «وكلم اللهُ موسى» وهى أيضًا شاذةٌ.

- **المطلب الثالث:** وفيه ثلاث قراءات، وهي قراءة النخعي، وهى شاذة:

١- «أُنْزِل» مقابل «نُزِّل» و«نَزَّل» عند الجمهور.

٢- «عُبد الطاغوتُ» مقابل «عَبَدَ الطاغوتِ» عند الجمهور إلا حمزة، فقد قرأ «عَبْد».

٣- «عُمُوا وصُمُوا» بالبناء للمفعول مقابل «عَمُوا وصَمُوا» بالبناء للفاعل عند الجمهور.

- **المطلب الثالث:** وفيه اثنتا عشرة قراءة، منها واحدة موافقة لقراءة الجمهور، وهي:

١- «نرتع ويلعب» مقابل «يرتع ويلعب» عند الجمهور.

٢- «فيرى» بالياء مقابل «فترى» عند الجمهور.

٣- «يناله» بالياء مقابل «تناله» عند الجمهور.

٤- «سيستدرجهم» بالياء مقابل «سنستدرجهم».

٥- «نُضِل» بالنون مقابل«يُضِل» عند الجمهور.

٦، ٧- «يُقلب... ويذرهم» مقابل «نقلب... ونذرهم».

٨- «ندبر ونفصل» مقابل «يدبر ويفصل» عند الجمهور، وقراءته شاذة.

٩- «سيدخلهم، ويدخلهم» مقابل «سندخلهم وندخلهم».

١٠-«يُصْـد» بالبنـاء للمفعـول مقابـل «يَصْـعد» بالبنـاء للفاعـل عنـد الجمهور.

١١- «يُـوحِي» بالبنـاء للفاعـل مقابـل «يُـوحي» بالبنـاء للمفعـول عنـد الجمهور.

١٢- «يُقتلون ويَقتلون» للمفعول أولًا ثمَّ الفاعل ثانيًا، والعكس، وقراءته بالبناء للمفعول موافقة لقراءة حمزة، والكسائي، فهي قراءةٌ متواترةٌ.

- **المطلب الرابع** وفيه خمس قراءاتٍ، واحدة متواترة وهى «والأرحَامِ» بالجر مقابل «والأرحامَ»، بالنصب عند الجمهور ما عدا حمزة، وقراءته موافقة لقراءة حمزة، وأربع قراءات شاذة، وهي:

١- «نَزَل عليك الكتاب» مقابل «نزَّل عليك الكتاب».

٢- «ثم يدْرِكُهُ» برفع الكاف مقابل «ثم يُدْركْه».

٣- «يخوفكم أولياءَه» مقابل «يخوف أولياءَه».

٤- «أن تُتَّخذ من دونك» مقابل «أن تَتَّخذ من دونك».

- **المطلب الخامس:** وفيه أربع قراءات واحدة متواترة، وهي:

«بزينةٍ الكواكب» بالخفض والتنوين، وهي موافقة لقراءة حمزة وحفص عن عاصم مقابل «بزينةِ الكواكب» عند الجمهور. وثلاث شاذة وهي:

١- «كَذَب» بالتخفيف مقابل «كذَّب».

٢- «وحيرٍ عين» بالجر مقابل «وحورٌ عين». وقرأها الكسائي بالجر «وحورٍ عين».

٣- «شهادةً الله» مقابل «شهادةَ الله».

- **المبحث الرابع** التوجيه الدلالي لقراءات النخعي:

- **المطلب الأول:** اختلاف المعنى لاختلاف الجذر، وفيه ثماني قراءات، اثنتين متواترتين وهما:

«نُشْرًا»، و«نَشْرًا» مقابل «بُشْرًا»، وست قراءات شاذة وهي:

١- «تُوَفَّاهم» مقابل «تَوَفَّاهم».

٢- «نَشَرًا» مقابل «بُشرًا».

٣- «ليبيتوك» مقابل «ليثبتوك».

٤- «ووصَّى» مقابل «وقضى».

٥- «صوافن» مقابل «صواف».

٦- «أهس» بالسين مقابل «أهش» بالشين.

- **المطلب الثاني:** اختلاف المعنى للزيادة والنقص، ومنه:

١- إدراج كلمة «متتابعات» في قوله تعالى: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ مقابل عدم الإدراج.

وبعد هذه الجولة المباركة مع كتاب الله وقراءاته القرآنية، أضع جهدي المتواضع بين يدى القارئين، والمتخصصين، وعُشَّاق العلوم العربية، والقراءات القرآنيَّة، فإن وجدوا فيما كتبت تقصيرًا، أو خطأ، شكرت لهم تصويبه وتصحيحه، وغَيْرتهم على كتاب الله ولغته.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى طريق الرشاد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

أ.د/ عبد العزيز عبد الحفيظ الخولي.